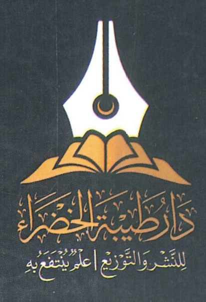


السلف وقيام الليل

أكثر من ٣٥٠ خبر من نوادر أخبار السلف الصالح رحمهم الله في قيام الليل

جمعه وأعدّه وخرّج أحاديثه
عبد الله بن عاقل بن سعد الصّاعدي



السّلف وقيـــام الليل

أكثر من ٣٥٠ خبر من نوادر أخبار السلف الصالح رحمهم الله

في قيام الليل





يمكنكم طلب الكتب



حيثما كنت يصلك طلبك

الطبعة الأولى

(١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م)



@dar_tg — dar_tg1

dar.taibagreen123 — dar.taiba

055 042 8992 — 012 556 2986

yyy.01@hotmail.com — dartaibagreen@gmail.com

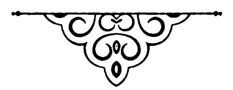
المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه



السّلف وقيــــام الليل

أكثر من ٣٥٠ خبر من نوادر أخبار السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ

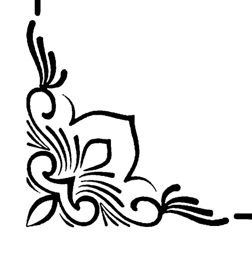
في قيام الليل

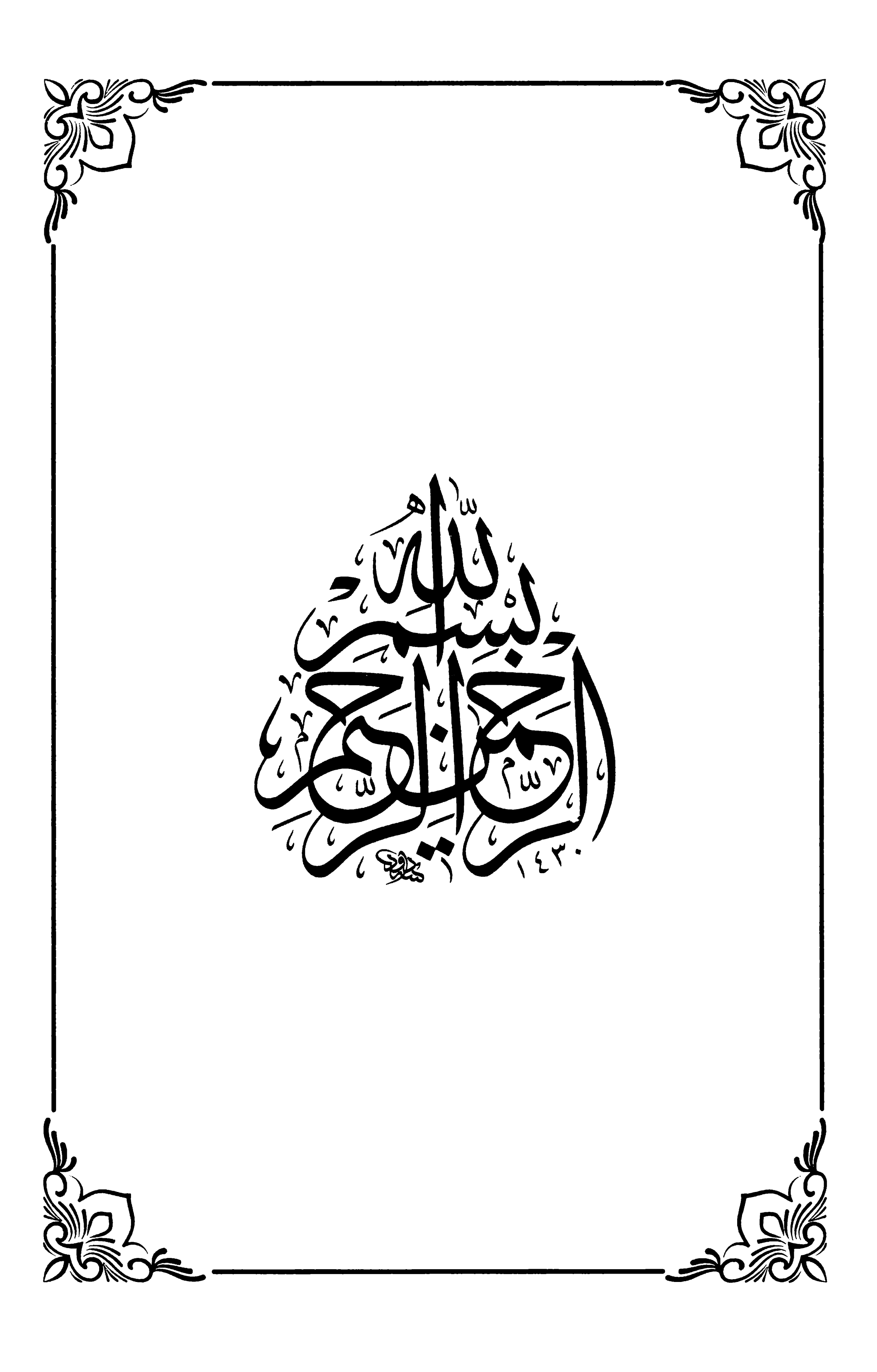


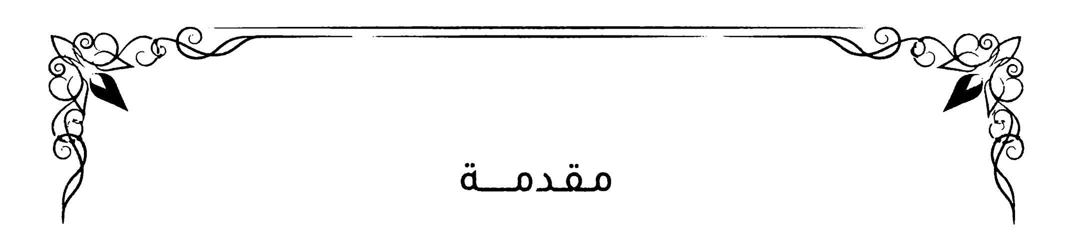
جمعه وأعدّه وخرّج أحاديثه

عبدالله بن عاقل بن سعد الصّاعدي






بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠



مقدمــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد القهار، الملك الجبار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار والنهار على الليل، جرت بأمره الأنهار، وسجدت له الأشجار، وسبحت بحمده الأحجار، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولاند له ولا مثيل، وأشهد أن محمد عبده ورسوله وصفيه وخليله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد:

اعلم -رحمك الله- أن قيام الليل من أفضل العبادات، وأزكى الطاعات، وأشرف المقامات، ومن أحب الأعمال إلى الله ﷻ وأفضلها؛ فهو قرت عيون الموحدين، وسرور المؤمنين، وجنة المتقين، ورياض الصالحين، به تزكى النفوس، وتطهر القلوب، وتنقى الذنوب، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "مَنْ تَزَكَّى من الشرك"[1] [تفسير الطبري]، وقال عطاء وعكرمة: "تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ"[2] [تفسير البغوي].

ولقد أعد الله ﷻ للقائمين والقائمات مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. أخرج مسلم وغيره عن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ، يرفعه قَالَ: «سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ: مَا أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قال.... قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا؛ فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٣).
(٢) تفسير البغوي (٥/ ٢٤٢).

عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ: وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»(١) [السجدة: ١٧]. مسلم.

وهذه الآية إنما نزلت في حق المتهجدين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار، قال تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٦ - ١٧]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هذا مما لا تفسير له"(٢).

أي: لايعلم مقدار ما أخفاه الله ﷻ لهم من الأجر والثواب في الجنة إلا الله تبارك وتعالى.

وقال الحسن البصري: "أخفىٰ قوم عملهم؛ فأخفىٰ الله لهم ما لم تر عين، ولم يخطر علي قلب بشر"(٣).

فهذه المنزلة العالية إنما أعدها الله ﷻ للقائمين والقائمات، والمنفقين والمنفقات، والمستغفرين بالأسحار والمستغفرات؛ لأنهم قاموا بهذه الأعمال زيادة علىٰ الفريضة، ولم يأمروا بها ولم تفرض عليهم، وإنما عملوها قربة إلىٰ الله ﷻ وطلبا لرضاه؛ فكان جزاءهم من الله ﷻ أن كافأهم بهذه المنزلة العالية ثوابا لهم علىٰ ما قدموه، حيث أتو بالفرائض وزادوا عليها، ولو لم يأتوا بالفرائض لما قبل منهم؛ فإنه لانافلة بغير فريضة، فلابد أولا من أداء الفرائض والواجبات وترك المحرمات، ثم الاجتهاد في بقية الطاعات.

وفي حديث رَبِيعَةَ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: «كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ آتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: سَلْنِي، فَقُلْت: أَسْأَلُك مُرَافَقَتَك فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَقُلْت: هُوَ ذَاكَ، فَقَالَ: أَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِك بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(٤). مسلم.

---

(١) مسلم برقم (٣١٢)، والترمذي (٣١٩٧)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني(٣٥٠٣) الصحيحة.

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٦٠٢).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم رقم(١٧٨٤٢).

(٤) مسلم برقم (٤٨٩)، وأبو داود (١٣٢٠)، وأحمد (١٦٥٧٩).

ولاشك أن النبي ﷺ في أعلىٰ درج الجنة، فأشار إليه بكثرة السجود؛ أي في الصلاة، والصلاة شأنها عظيم؛ فقد اشتملت علىٰ كثير من العبادات، بل علىٰ أعظمها أجرا، كذكر الله وتلاوة القرآن والدعاء، وغيرها. وكذلك، تحققت فيها أركان العبودية الثلاث: القولية، والفعلية، والقلبية؛ فالقولية: هي ذكر الله ﷻ وشكره، كقراءة القرآن والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والثناء علىٰ الله ﷻ والدعاء والاستغفار، وبقية الأذكار الواردة في الصلاة، وهي عبادة اللسان، والفعلية: كالركوع والسجود والجلوس والقيام والتنقل بين ذلك، وهي عبادة الجوارح، والقلبية: وهي اتجاه القلب لله ﷻ وانكساره، وخضوعه له بطلب الرحمة والمغفرة وسؤاله من فضله العظيم، وهذا هو لب العبادة وخالصها، وفي الحديث الصحيح «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[(١)]؛ لأن الدعاء لايكون إلا من القلب.

والسجود أعلىٰ مقامات العبودية، وفيه يتحقق معنىٰ العبودية الكامل؛ فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، كما جاء في الحديث، وكلما سجد لله سجدةً رفعه الله بها درجة، وحط بها عنه خطيئة.

فدل هذا علىٰ أن أفضل ما تطلب به الدرجات هو كثرة السجود لله ﷻ، ولا يكون ذلك إلا في الصلاة والإكثار من النوافل، وأفضل النوافل قيام الليل، كما جاء في الحديث.

وعن **ثَوْبَانَ مَوْلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً»**[(٢)]. مسلم.

---

(١) عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠].رواه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجة (٣٨٢٨) واللفظ له، والنسائي في الكبرىٰ(١١٤٠٠)، والطبراني في الكبير (١٩١)، والحاكم (١٨٠٢)، وغيرهم، وصححه الألباني (١٦٢٧) الترغيب والترهيب.

(٢) أحمد (٢٢٤١١)، ومسلم (٤٨٨)، والترمذي (٣٨٨)، والنسائي (١١٣٩).



فضائـل قيـام الليـل

من فضائل قيام الليل: أنه أفضل ما يتقرب به المتقربون إلى الله ﷻ، وأفضل ما يلتمس به رضاه ﷻ. عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»(١). قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أمره بقيام الليل".

◇ **ومن فضائله**: أنه من أعظم الأسباب الموجبة لمحبة الله ﷻ بعد أداء الفرائض والواجبات، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمُ: الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلَّهِ تَعَالَى؛ فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ، وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ وَيَكْفِيَهُ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ!! وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي، وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ، وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ، فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا، فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ سِرًّا**»(٢) الحاكم.

فانظر ياعبدالله، كيف جمع قيام الليل أسباب المحبة! وهل يوجد شيء أعظم

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٩) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ"، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٢٨).

(٢) الحاكم برقم (٦٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٢١/ ١٠٣٨٣)، وقال الهيثمي: "رجاله ثقات"، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٨٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٤٧٨).

مـن محبـة الله ﷻ لعبـده!! فمـن أحبـه الله ﷻ تـولاه، ومـن تـولاه آواه، ومـن آواه كفـاه وحماه كل شيء.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»(١).

ولا شك أن قيام الليل من أفضل النوافل والعبادات، وأحبها إلىٰ الله ﷻ؛ لأنه عبادة محضة خالصة لله ﷻ؛ فالإنسان يقوم في سواد الليل لا يراه إلا الله ﷻ، وهو من صفات أولياء الله المتقين وسجايا الصالحين وسمات المؤمنين، وقد خصه الله ﷻ بالذكر من بين سائر النوافل في آيات كثيرة، وما ذلك إلا لفضله وعلو منزلته، قال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣-٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٥-١٨].

فدلت هذه الآية علىٰ أن قيام الليل والاستغفار بالأسحار والإنفاق في سبيل الله، من أفضل أعمال الإحسان الذي هو أعلىٰ درجات الدين، فقد ذكر ﷻ أنهم نالوا هذه المنزلة بسبب إحسانهم، ثم ذكر أن هذه الأعمال هي التي بلغت بهم درجة المحسنين.

---

(١) البخاري (٦٥٠٢).

◈ ومن فضائله: أنه شرف المؤمن عند ربه ﷻ، عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنهما قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، عِشْ ما شئتَ فإنك ميتٌ، واعمل ما شئتَ فإنك مجزيٌّ به، وأحبِبْ من شئتَ فإنك مفارقُه، واعلم أنّ شرفَ المؤمنِ قيامُ الليلِ، وعزّه استغناؤه عن الناس»[١].

فقيام الليل هو شرف المؤمن الحقيقي، وهو حسبه ونسبه، ولا حسب ولا نسب يوم القيامة إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ، فَمَا أَرَى نَسَبًا يُقَاسُ بِصَالِحِ الأَعْمَالِ
وَإِذَا بَحَثْتَ عَنِ التَّقِي وَجَدْتَهُ رَجُلاً يُصَدِّقُ قَوْلَهُ بِفِعَالِ[٢]

◈ ومن فضائله العظيمة التي يغفل عنها الكثير من الناس: أن فيه ساعة مستجابة لا يُرد فيها الدعاء، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[٣]. مسلم.

فهذي ساعة يغفل عنها الكثير من الناس إلا من رحم الله ﷻ، وهي ساعة مؤكدة الإجابة بإذن الله تعالى، إلا أن يدعو ما ليس له أو يعتدي في الدعاء، فمن قام الليل كله أصابها بإذن الله تعالى لا محالة، كمن قام العشر الأواخر من رمضان فإنه يصيب ليلة القدر بإذن الله تعالى، ولهذا كان السلف يحرصون على قيام الليل كله، وخصوصًا

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١)، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني لغيره الترغيب والترهيب (٦٢٧).
(٢) مفتاح الأفكار للسلمان(٣/ ٩٤).
(٣) مسلم واللفظ له (٧٥٧)، وأحمد (١٤٣٥٥).

الثلث الآخر من الليل، فإنهم لا يُفرِّطون فيه، وأقرب ما تكون هذه الساعة أنها في الثلث الآخر منه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا ﷻ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(١). متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**إذا مضى شطرُ الليلِ أو ثلثاه، ينْزِلُ الله ﷻ إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيقول: هل مِنْ سائلٍ فيُعطى؟ هل مِنْ داعٍ فيُستجابَ له؟ هل مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَيُغفَرَ له؟ حتى ينْفجرَ الصبحُ**»(٢). مسلم.

قلتُ: في هذا الحديث إشارة إلى أن صلاة الفجر داخلة في الثلث الآخر من الليل؛ فعلى مَن فاته الدعاء فيه أن يكثر من الدعاء والاستغفار في صلاة الفجر وبين الأذان والإقامة؛ فإن أفضل الدعاء والاستغفار ما كان في الأسحار.

وعن عثمان بن أبي العاصي ﷺ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**تُفْتَحُ أبوابُ السماءِ نصْفَ الليْلِ، فينادي مُنادٍ: هلْ مِنْ داعٍ فيُسْتَجابَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سائلٍ فَيُعْطى؟ هَلْ مِن مَكروبٍ فيُفَرَّجَ عَنْهُ؟ فلا يَبْقى مسلمٌ يدْعو بدَعْوَةٍ إلا اسْتَجابَ الله ﷻ لَه، إلا زانِيةً تَسْعَى بِفَرْجِها، أَوْ عَشَّاراً**»(٣).

العشار: المكاس.

◇ **ومن فضائله:** أن من قام بعشر آيات فما فوق لم يكتب من الغافلين، عن

---

(١) رواه مالك (٧٢٤/ ٢٣٧)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٦٨)، وأحمد (١١٨٩٢)، وأهل السنن وغيرهم، وصححه الألباني (١٦٤٦) الترغيب والترهيب.

(٢) مسلم (١٧٠).

(٣) رواه أحمد (١٧٩١٢)، والطبراني في الكبير (٨٣٩١)، وفي الأوسط (٢٧٦٩) واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٧١)، وفي الترغيب والترهيب (٢٣٩١).

عبدالله بن عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَن قام بعشر آياتٍ لم يُكْتَبْ من الغافلين، ومَن قام بمئةِ آية كُتبَ من القانتين، ومَن قام بألف آيةٍ كُتِبَ من المُقَنْطَرين»**[١]. قال الحافظ: "مِن سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ إلىٰ آخر القرآن (الناس) ألف آية. والله أعلم".

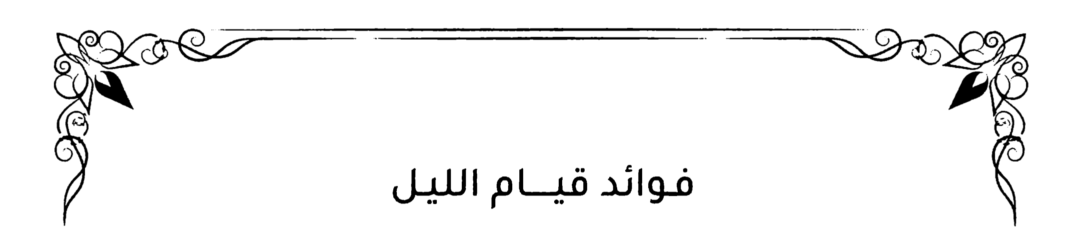
المقنطَرون: أي من كتب له قنطار من الأجر.

والقنطار: قيل ملء جلد ثور ذهبًا أو فضة، وقيل: هو المال العظيم، وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أُوقِيَّةً، وَالْأُوقِيَّةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»**[٢].



(١) رواه أبو داود (١٣٩٨)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٢٥٧٢)، والبيهقي في الشعب (٢٠٠٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٤٧٢٧)، وغيرهم، وصححه الألباني في الصحيحة (٦٤٢).

(٢) خرجه ابن حبان (٢٥٧٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٧٤٨)، وأحمد (٢/ ٣٦٣)، وابن ماجة (٣٦٦٠) في الأدب، وضعفه الألباني في الترغيب والترهيب (٣٧٣).



فـوائد قيــام الليـل

من فوائد قيام الليـل: ما جاء في حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَمُكَفِّرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ**»(١)، وعند الطبراني والبيهقي: «**وَمَطْرَدَةُ الدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ**»(٢).

◊ **فهذه خمس فوائد:**

أولا: «**دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ**»؛ أي: طريقهم وعملهم الدائب الذي تعودوا عليه فلا يدعونه، قال تعالىٰ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧- ١٨].

ثانيا: «**وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ**»؛ أي: ما يتقرب به العبد إلىٰ ربه ﷻ ويلتمس به رضاه ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [العلق:١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان:٢٦]، وفي الحديث عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»(٣).

---

(١) صحيح ابن خزيمة(١١٣٥)، والترمذي (٣٥٤٩)، والحاكم (١١٥٦) وقال: "علىٰ شرط البخاري"، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادة رقم (٤٠٧٩).

(٢) المعجم الكبير للطبراني (٦١٥٤)، وشعب الإيمان(٢٨٢٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٧٩) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ"، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٦٢٨).

وعن أَبي هُرَيرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبدُ مِنْ رَبِّهِ ﷻ وَهُوَ سَاجِدٌ؛ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءِ**»(١).

ثالثا: «**وَمُكَفِّرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ**»؛ أي: ماحيًا ومذهبًا لها بإذن الله ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود:١١٤]. وعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا سَلْمَانُ صَلَاةً، ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ غُصْنِ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ فَحَرَّكَهَا؛ فَتَحَاتَّ وَرَقُهَا، ثُمَّ قَالَ: تَدْرُونَ لِمَ فَعَلْتُ هَذَا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةً، ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ غُصْنِ شَجَرَةٍ يَابِسَةٍ فَحَرَّكَهَا؛ فَتَحَاتَّ وَرَقُهَا، فَقَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ صَلَّىٰ فَأَحْسَنَ الصَّلَاةَ؛ تَحَاتَّتْ ذُنُوبُهُ كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**»(٢). فما أعظم كرم الله ﷻ علينا!! فبمجرد أن تصلي ركعتين تتحات ذنوبك وتتساقط؛ فلهُ الحمد والشكر، وهذا في الفريضة وغيرها. وفي بعض الأحاديث: «ما اجتنبت الكبائر»، والأحاديث في الباب كثيرة. ومختصر القول: أن الصلاة وقيام الليل تحط الأوزار، وتضع الآصار بإذن الله ﷻ، «**ومن صلىٰ الفجر فهو في ذمة الله ﷻ**».

رابعا: «**وَمَنْهَاةٌ عَنِ الْإِثْمِ**»؛ أي: مانعًا وحاجزًا عن اقتراف المحرمات والوقوع في المنكرات بإذن الله ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرَقَ، قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ**»(٣)؛ أي: إن كان صادقًا؛ فإنه سينهاه قيامه وعمله الصالح عن السرقة؛ لأنه لا يمكن أن يجتمع النقيضين في قلب أمرؤ مسلم. وكذلك، فإن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، والصلاة وقيام الليل عصمة لمن اعتصم بهما من الذنوب والمعاصي والآثام بإذن الله ﷻ.

---

(١) مسلم (٢١٥)، واحمد (٩٤٦١)، وأبو داود(٨٧٥)، والنسائي(٨١٣).

(٢) الطبراني في المعجم الكبير (٦١٥٢)، وسنن الدارمي(٧٤٦).

(٣) أحمد (٩٧٧٨)، وإسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، وأخرجه البزار (٧٢٠) كشف الأستار، وابن حبان (٢٥٦٠)، قال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني (٣٤٨٢).

خامسا: «**وَمَطْرَدَةُ الدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ**»؛ أي: مذهبًا ومبعدًا له بإذن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

قال في النهاية: "أي أنها حالة من شأنها إبعاد الداء، أو مكان يختص به ويعرف، وهي مفعلة من الطرد" (١).

وقال الأزدي: "سمعت الخَوَّاص يقول: "دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين"" (٢).

وَدَاوِ بِذِكْرِ اللهِ قَلْبَكَ إِنَّهُ ... لَخيرُ دَوَاءٍ لِلْقُلُوبِ وَأَنْفَعُ (٣)

وعن عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، قال: "كان يقال: قيام الليل محياة للبدن، ونور في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجدًا؛ أصبح فرحًا يجد لذلك فرحًا في قلبه، وإذا غلبته عيناه فنام عن جزئه؛ أصبح لذلك حزينا منكسر القلب، كأنه قد فقد شيئا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا" (٤).

قلتُ: هذا مجرب ومعروف، فليس من شيء أقوى في بدن، ولا أصفى في ذهن، ولا أشرح لصدر، ولا أسعد لقلب، ولا أذهب لهم وغم، أعظم من الصلاة، وقيام الليل، وذكر الله ﷻ، وكلما ازداد الإنسان طاعة زاده الله ﷻ خيرًا، وذهب همه وغمه بإذن الله ﷻ:

دَوَاء قَلْبك خمس عِنْد قسوته ... فَدُمْ عَلَيْهَا تفز بِالْخَيرِ وَالظفر

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١١٧).

(٢) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (١٠/ ٣٢٧).

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان للسلمان (٤/ ١٩٢). تم التصرف في البيت، وأصله:

وداوِ بذكر الله قلبك إنه ... لأشفى دواءٍ للقلب وأنفعُ

(٤) التهجد وقيام الليل (٢/ ٣٦).

خلاء بطن وَقُرْآن تدبره كَذَا تضرع باك سَاعَة السحر
ثمَّ التَّهَجُّد جنح اللَّيْل أوسطه وَأن تجالس أهل الْخَيْر وَالْخَبَر[1]

◊ **ومن فوائد قيام الليل العظيمة، والصلوات عموما: أنه يستعان بهما على دفع** المصائب والبلايا والأمراض والفتن، وتفريج الكرب والمحن، وجلب الرزق والخير والبركة، ويستعان بهما على كل شيء، وعلى كثير من أمور الدنيا والدين، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. ولا شك أن قيام الليل من أفضل الصلوات بعد الفريضة.

قال ابن القيم رحمه الله: "...والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب...، مفرحة للنفس، مذهبة للكسل، منشطة للجوارح، ممده للقوى، شارحة للصدر، مغذية للروح، منورة للقلب، حافظة للنعمة، دافعة للنقمة، جالبة للبركة، مبعدة من الشيطان، مقربة من الرحمن، وبالجملة... فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، **وما ابتلى رجلان بعاهة أو داء أو محنة أو بلية، إلا كان حظ المصلى منهما أقل، وعاقبته أسلم**"[2].

◊ **ومن فوائد قيام الليل والصلوات العظيمة، التي لا يستغني عنها أحد**: أنهما يطردان الهم والحزن بإذن الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

وقال حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: **«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى»**[3].

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي(١/ ٢٨٦).

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٣٠٤)، والداء والدواء (٢٥٠).

(٣) أحمد (٢٣٢٩٩)، وأبو داود (١٣١٩)، والبيهقي في الشعب (٢٩١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادة (٤٧٠٣).

قال الطيبي: "«إذا حزبه أمر صلىٰ»؛ أي: إذا نزل به هم أو أصابه غم صلىٰ، نحوه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥]؛ أي: استعينوا علىٰ البلايا والنوائب بالصبر عليها، والالتجاء إلىٰ الصلاة عند وقوعها، عن ابن عباس: أنه نعي إليه أخوه قثم، وهو في سفر؛ فاسترجع، وتنحىٰ عن الطريق فصلىٰ ركعتين، ثم قرأ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾"(١).

وعن محمد بن موسىٰ البصري قال: "كان أحمد بن المعذل إذا حزبه أمر قام في الليل يصلي، ويأمر أهله بالصلاة ويتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]"(٢).

فالصلاة وقيام الليل مأرز الصالحين، يأرزون فيهما إلىٰ الله ﷻ عند البلاء والكرب، ومأوىٰ المؤمنين، يأوون فيهما إلىٰ الله ﷻ بالدعاء والاستغفار، ويسألونه من فضله العظيم، وملاذ الخائفين، يلذون فيهما إلىٰ الله ﷻ، ويجأرون له بالدعاء، ويسألونه السلامة من كل داء وبلاء.

◈ **ومن فوائد قيام الليل وصلاة الفجر:** أنهما يذهبان خبث الشيطان ودحضه؛ فإن الإنسان إذا نام ربط الشيطان علىٰ قافيته أو رأسه حبلاً، وعقده عدة عقد وضرب عليه؛ ليمنعه من قيام الليل ومن القيام لصلاة الفجر ومن ذكر الله ﷻ؛ وليبعده عن الله ﷻ، وكلما استيقظ قال له: نم نم، عليك ليل طويل، حتىٰ يفوته قيام الليل وصلاة الفجر إلا أن يشاء الله ﷻ، ولكن هذه العقد سرعان ما تنحل بإذن الله ﷻ، فإذا ما قام وذكر الله ﷻ وتوضأ وقام الليل أو صلىٰ الفجر؛ قام نشيطًا طيب النفس خفيفا، منشرح الصدر مبتهجًا سائر يومه مسرورًا، قد تحرر من تلك القيود وتطهر منها، وإذا نام الليل ولم يقم أو لم يصل الفجر أو أخرها؛ قام كسلان خبيث النفس، ثقيل الرأس، بعيدًا عن الله ﷻ، كالذي يتخبطه الشيطان من المس، والعياذ بالله من ذلك.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي (٤/ ١٢٤٧).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٦٥٣).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّىٰ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ؛ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[١] متفق عليه.

وعن جَابِرٍ ﷺ قالُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَىٰ إِلَّا عَلَىٰ رَأْسِهِ جَرِيرٌ مَعْقُودٌ حِينَ يَرْقُدُ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِذَا قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ انْحَلَّتِ الْعُقَدُ؛ وَأَصْبَحَ خَفِيفًا طَيِّبَ النَّفْسِ قَدْ أَصَابَ خَيْرًا»[٢]. أحمد

الجَرِيرُ: الحبْل.

وعَنْ آدَمَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: "مَنْ أَصْبَحَ عَلَىٰ غَيْرِ وِتْرٍ أَصْبَحَ عَلَىٰ رَأْسِهِ جَرِيرٌ قَدْرَ سَبْعِينَ ذِرَاعًا"[٣].

أي: يعقد الشيطان علىٰ قافيته أو رأسه حبلاً بقدر سبعين ذراعـًا، نسأل الله العفو والعافية، ونعوذ بالله من ذلك.

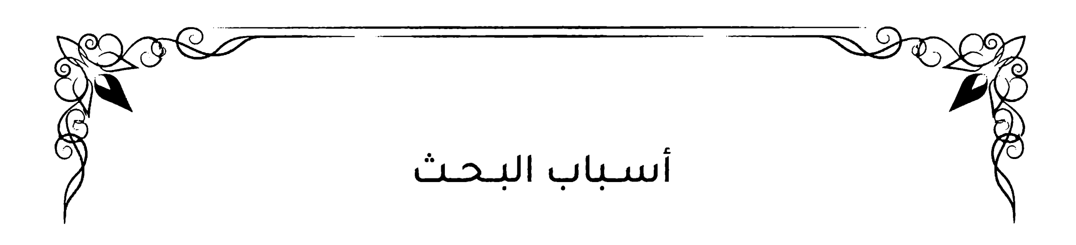
وفضائل قيام الليل والصيام وفوائدهما لاتعد ولا تُحصىٰ، وقد أدرك السلف الصالح ﷭ فضلهما؛ فلازموهما أشد الملازمة، وداوموا عليهما أشد المداومة، وكانوا عليهما من المحافظين الدائمين، ومن القائمين الصائمين، وقلما تسمعهم يذكرون القيام إلا ويذكرون معه الصيام، صنوان لا يفترقان، وذلك في كلامهم كثير.



(١) متفق عليه: البخاري (١١٤٢)، ومسلم (١٧٦٩)، ومالك (٥٣٢)، وأحمد (٧٣٠٨)، وأبو داود (١٣٠٦)، والنسائي (١٦٠٦)، وابن ماجة (١٣٢٩)، وغيرهم.

(٢) رواه أحمد(٣/ ٣١٥)، وابن خزيمة (١١٣٣)، وابن حبان (٢٥٥٤)، وصححه الألباني(٦١٤) الترغيب والترهيب.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٤٦٠٨).



أسـباب البـحـث

لما رأيت عزوف الكثير من أهل الخير والصلاح عن قيام الليل، وانشغالهم بأمور لا فائدة منها، كالجلوس في مجالس لافائدة منها إلا ترديد الأحاديث والخوض في أعراض الناس، وربما الغيبة والنميمة، أو الجلوس أمام الجوالات والمحادثات أو القنوات الساعات الطويلة، وتضييع الأوقات بلا فائدة؛ قمت بجمع مادة هذا البحث؛ ليكون تذكيرا لنفسي المقصرة أولا، ثم لإخواني من أهل الخير والصلاح، ونبراسا على الطريق لمن أراد أن يجد في العمل ويجتهد؛ لعلنا إن قرأنا سير هؤلاء القوم الذين اصطفاهم الله ﷻ من بين عباده واختارهم لعبادته، ورأينا تضحياتهم واجتهادهم، وشدة حرصهم على قيام الليل، وتنافسهم في ذلك أشد المنافسة مع مايلقونه من التعب والنصب وشظف المعيشة والمؤنة؛ أن نتشبه بهم ونسير على نهجهم، ونسلك طريقهم ولو بجزء قليل من الليل، أو رُكيعات نركعها من آخر الليل؛ لعل الله ﷻ أن يتوب بها علينا ويغفر لنا ويرحمنا، إنه غفور رحيم ودود.

واعلم بإن في سير الصالحين عبرة لمن أعتبر، وذكرى لمن أدكر، فأين المعتبرون؟ وأين المدكرون؟ قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١]، وكان السلف -رحمهم الله تعالى- يحبون سير الصالحين وأخبارهم، ويدرسونها كما يدرسون الفقه والحديث، روي عن أبي حنيفة رحمه الله قال: "الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم"[١].

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر القرطبي (١/ ١٧٢).

وعن أبي العباس بن العريف قال: "كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصدفي أقرأ عليه الحديث، فقرأ يوما الحديث ثم أغلق الكتاب، وجعل يحكي حكايات الصالحين، فوقع في نفسي: كيف يجيز الشيخ أن يقطع حديث رسول الله ﷺ ويحكي الحكايات؟ قال: فما تم لي الخاطر حتىٰ نظر إليَّ الشيخ شزرا، وقال: "يا أحمد، الحكايات جند من جنود الله، يثبت الله بها قلوب العارفين من عباده"، قال: فما بقي في جسدي شعرة إلاّ قطر منها العرق، فلما رآني دهشت قال لي: "يا أحمد، أين مصداق ذلك في كتاب الله؟" قلت: الله أعلم، قال:" قوله تعالىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠]""(١). فاللهم ثبت قلوبنا علىٰ دينك، وصرّفها علىٰ طاعتك، واغفر لنا وارحمنا.

لذا قمت بجمع مادة هذا البحث، ولقد اعتمدت فيه علىٰ النقل من الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة من السير والمعاجم، وغيرها، كسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، وحلية الأولياء للأصبهاني، والزهد للأمام أحمد، وغيرها. وجعلته عناوين، فجمعت تحت كل عنوان ما يناسبه ويخصه؛ ليسهل قراءته وفهمه والرجوع إليه عند الحاجة.

ولقد تقصيت فيه كل منفعة، وتوخيت فيه كل مصلحة، وتحاشيت فيه كل مفسدة، واجتنبت فيه كل مخالفة، فتقصيت فيه كل خبر مفيد في قيام الليل، وتتبعتها من مظانها ومواطنها، فوجدتها كثيرة جدًّا؛ فاخترت منها كل ماهو مفيد وفيه عظة وعبرة، وتركت ماسواها ولم أعرج عليها؛ حتىٰ لا يطول البحث علىٰ القاري فيمله. ولقد توخيت فيه الحذر من كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة وعقيدتهم، فاجتنبته وتحاشيته؛ حتىٰ لايلتبس الأمر علىٰ البعض، كذكر أخبار أهل البدع والخرافات في بعض الكتب المحسوبة علىٰ أهل السنة، كأخبار بعض الرافضة،

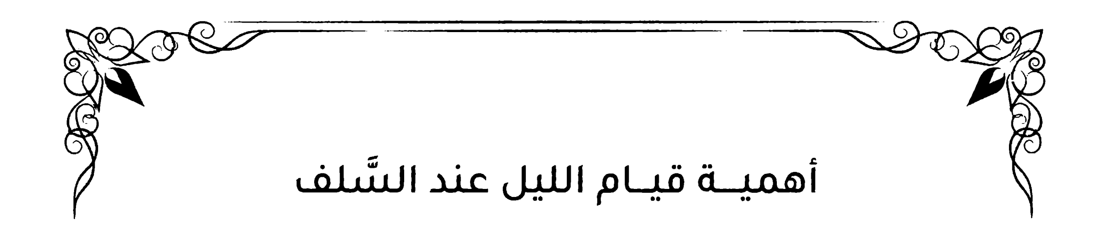
(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (١/ ٢٢).

وكلام بعض المبتدعة والزنادقة، كابن الحلاج وغيره، وبعض الصوفية. وكذلك اجتنبت كلام بعض التابعين المنقطع الذي يخبرون فيه عن الله ﷻ، وإن كان صحيح المعنىٰ، كقول مطرف: "إن العبد إذا استوت سريرته وعلانيته، قال الله ﷻ: هذا عبدي حقا"(١)، وكقول الفضيل: "قال الله ﷻ: إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني"(٢)، وورد مثل هذا عن الحسن، وابن المسيب، وغيرهم من كبار التابعين ﷭، واجتنبت كذلك الاجتهادات الفردية التي تخالف السنة ولم تثبت فيها، كمن نذر أو أخذ علىٰ نفسه ألا ينام العمر كله، أو لا يكلم أحداً، أو لا يأكل لحماً، أو يصلي ألف ركعة كل ليلة أو خمسمائة، أو نحوها؛ حتىٰ لا يغتر بها البعض؛ فيظنها حقاً فيقلدها، ويقع في الخطأ والزلل وهو لا يشعر، وربما قطعت النص فأخذت الكلام الجيد أو ما أريده، وتركت الآخر.

ولقد حرصت فيه بأن يكون مختصراً بقدر المستطاع؛ فاجتنبت كل مايطيله ويثقله ويخرجه عن موضوعه، من تعليقات وشروح وتكرار ومسائل خلاف وغيرها، إلا ما اضطررت إليه؛ حتىٰ لايصبح عبئًا وهمـًا علىٰ القاري وخصوصًا العوام، وما عملته إلا من أجلهم ولهم، ولقد حرصت فيه بأن يكون سهل العبارة، واضح الإشارة، لا لبس فيه ولاخفاء؛ لينتفع به الجميع: الصغير والكبير، والذكر والأنثىٰ، والحر والعبد، والله من وراء القصد.



(١) حلية الأولياء(٢/ ٢٠٤).
(٢) حلية الأولياء(٨/ ٩١).



أهميـة قيـام الليل عند السَّلف

كان السلف رحمهم الله لايقدمون شيئًا من النوافل الدائمة علىٰ قيام الليل؛ لعلمهم بفضله ومنزلته، وكانوا لايدعونه سفرا ولا حضرا، وكانوا يحافظون عليه في جميع الأحوال والأوقات وفي كل الظروف: في المنشط والمكره، والعسر واليسر، والشدة والرخاء، وإذا ما فاتهم شيء منه ندموا عليه ندما شديدا وتحسروا عليه وحزنوا حزنا شديدا.

عن يحيىٰ بن جعدة قال: قال عمر رضي الله عنه: **"لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لقيت الله عز وجل: لولا أن أضع جبهتي لله عز وجل، وأجلس في مجالس ينتقىٰ فيها طيب الكلام كما ينتقىٰ فيها طيب الثمر، وأن أسير في سبيل الله عز وجل"**(١).

وعن سعد بن مسعود، أن أبا الدرداء قال: "لو لا ثلاث ما أحببت أن أعيش يومًا واحدا: الظمأ لله بالهواجر، والسجود في جوف الليل، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما ينتقىٰ أطايب الثمر"(٢).

الهواجر: جمع هاجره، وهو وقت الظهيرة عند اشتداد الحر.

وعن عمرو بن قيس، عمن حدثه، عن معاذ بن جبل رضي الله تعالىٰ عنه، أنه لما حضره الموت قال: "انظروا أصبحنا؟" فأتي فقيل: لم نصبح، فقال: "انظروا أصبحنا؟" فأتي فقيل له: لم نصبح، حتىٰ أتي في بعض ذلك، فقيل: قد أصبحت، قال: "أعوذ بالله من ليلة صباحها إلىٰ النار! مرحبا بالموت مرحبا، زائر مغيب، حبيب جاء

(١) الزهد للإمام أحمد(٩٦)، حلية الأولياء(١/ ٥١).
(٢) الزهد لابن المبارك (١/ ٩٤).

علىٰ فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر"[(١)].

مكابدة الساعات: أي عند قيام الليل.

وعن بلال بن سعد، عن معضد قال: "لولا ثلاث: ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، ولذاذة التهجد بكتاب الله ﷻ، ما باليت أن أكون يعسوبا!!"[(٢)].

اليعسوب: ملكة النحل، وكانوا يظنونها ذكرا لكبر حجمها.

وباع الحسن بن صالح جارية له، فلما انتصف الليل قامت فنادتهم: يا أهل الدار، الصلاة الصلاة! قالوا: طلع الفجر؟ قالت: وأنتم لاتصلون إلا المكتوبة؟! ثم جاءت إلىٰ الحسن، فقالت: بعتني علىٰ قوم سوء لا يصلون إلا الفرائض، ردني ردني[(٣)]. هكذا كان السلف يرون من لايقوم الليل علىٰ أنه رجل سوء.

وقال القاضي عياض عن الشيخ محمد بن مسرور العسّال: "...كان يقوم الليل كله، هو وكل من في داره، ولقد ذُكر أنهم باعوا خادماً سوداء، فرجعت إليهم وقالت: بعتموني من اليهود! فقالوا لها: إنهم مسلمون، قالت: إنهم لا يقومون الليل!! قال: وكان أبو عبد الله هذا، كثير الصلاة والتلاوة؛ يختم كل ليلة ختمة"[(٤)].

وعن بشر بن عبد الله النهشلي قال:" دخلنا علىٰ أبي بكر النهشلي وهو في الموت، وهو يومئ برأسه يرفعه ويضعه كأنه يصلي، فقال له بعض أصحابه: في مثل هذا الحال رحمك الله؟! قال: "إني أبادر طي الصحيفة""[(٥)].

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٢٣٩).
(٢) حلية الأولياء (٤/ ١٥٩).
(٣) لطائف المعارف لابن رجب (٢٦٢)، الثقات للعجيلي (١١٥).
(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك(٦/ ٧٦).
(٥) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٤٢).

وقال أبو سليمان الداراني: "أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا "(١).

وعن المغيرة بن حبيب، قال: "قال عبد الله بن غالب الحداني لما برز إلىٰ العدو: علىٰ ما آسىٰ من الدنيا؟! فوالله ما فيها للبيب جذل، ووالله لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي، وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس في ظلم الليل، رجاء ثوابك وحلول رضوانك؛ لقد كنت متمنيا لفراق الدنيا وأهلها!! قال: ثم كسر جفن سيفه، ثم تقدم فقاتل حتىٰ قتل، فحمل من المعركة وإن له لرمقا، فمات دون العسكر، قال: فلما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك، قال: فرآه رجل من إخوانه في منامه، فقال: يا أبا فراس ما صنعت؟ قال: خير الصنيع، قال: إلام صرت؟ قال: إلىٰ الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ، قال: قلت: أوصني، قال: اكسب لنفسك خيرا، لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلا، فإني رأيت الأبرار نالوا البر بالبر"(٢).

عطلا: أي بلا عمل.

جفن سيفه: بفتح الْجيم وَسكون الفاء؛ أَي غمده.

وعن أبي خالد الأحمر، قال: قال داود الطائي: "ما حسدت أحدا علىٰ شيء إلا أن يكون رجلا يقوم الليل؛ فإني أحب أن أرزق وقتا من الليل". قال أبو خالد: "وبلغني أنه كان لا ينام الليل، إذا غلبته عيناه احتبىٰ قاعدا"(٣).

وعن طلق بن معاوية، قال: "قدم رجل منا يقال له هند بن عوف من سفر، فمهدت له امرأته فراشا فنام عليه، وكانت له ساعة من الليل يصليها فنام عنها، فحلف

(١) إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥/ ١٩٨).
(٢) حلية الأولياء (٦/ ٢٤٧)، ومختصر قيام الليل (٦٦).
(٣) تاريخ بغداد وذيوله(٨/ ٣٤٧).

ألا ينام علىٰ فراش أبدا!!"[١]. أي بليل.

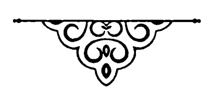
وعن المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه: "أن تميما الداري ﷺ نام ليلة لم يتهجد فيها حتىٰ أصبح، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع"[٢].

وقال الإمام أحمد ﷺ: "من ترك الوتر عمدا فهو رجل سوء، ولا ينبغي أن تقبل له شهادة"[٣]. والوتر هو أقل القيام.

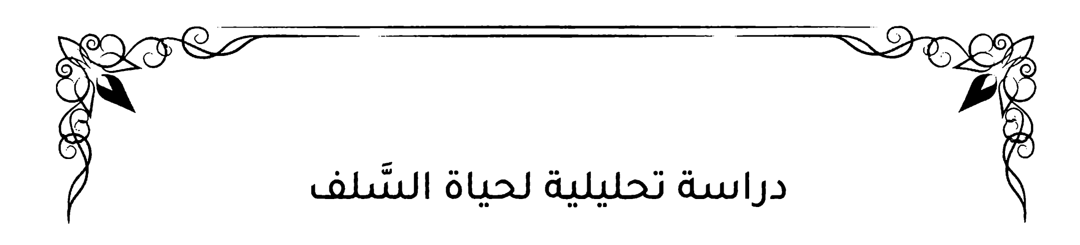
وعن الحسن: "كان يُقال: ما عمل الناس من عمل أثبت في خير من صلاة في جوف الليل"[٤].

وقال الجنيد: سمعت سريا يقول: "رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل"[٥]؛ أي: مايفتح الله ﷻ عليهم من بركة القيام والذكر.

وعن حمزة بن نجيح، قال: سمعت الحسن يقول: "يا ابن آدم، أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك؟!"[٦]. صدق والله، فإن الإنسان إذا فقد الصلاة فقد كل شيء.



(١) التهجد وقيام الليل(٢١٩)، شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٢٤).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٢٤)، والتهجد وقيام الليل(٢١٨).
(٣) المغني لابن قدامة(٢/ ١١٨).
(٤) مختصر قيام الليل لابن أبي الدنيا (٦٢).
(٥) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (١٠/ ١٢١).
(٦) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب(١/ ٢٢٤).



دراسة تحليلية لحياة السَّلف

كان السلف ﷺ لايدعون قيام الليل وصيام النهار والإنفاق في سبيل الله وعمل الخيرات والمسابقة إليها، حتىٰ في أحلك الظروف والأحوال ووقت الشدة والمرض. وكانت نفوسهم تنازعهم علىٰ ذلك أشد المنازعة، وكانوا لا يستطيعون أن يمنعوها من هذه الأعمال، والسبب في ذلك يعود إلىٰ أمرين عظيمين، وهما: خوف شديد من الله ﷻ ومن عذابه وعقابه، قد أقض مضاجعهم وأطار النوم عن عيونهم؛ فلا تراهم إلا قائمين صائمين، مقبلين علىٰ الله ﷻ بفعل الخيرات وترك المنكرات، يسعون في فكاك رقابهم وعتقها من النار.

ثانيها: رغبة شديدة فيما عند الله ﷻ من الأجر والثواب، وما أعده الله ﷻ لأوليائه وعباده الصالحين من النعيم المقيم والثواب العظيم في جناته جنات النعيم؛ فهم يسعون إليها بكل ما أوتوا، ويبذلون وسعهم وطاقتهم في ذلك؛ للفوز بها.

فخوفهم من الله ﷻ قد منعهم من المعاصي والتمادي والتعادي؛ فتجد أحدهم يفر من المعاصي فراره من الأسد، ولايفر من الأسد، ويسامح من أخطأ عليه لوجه الله، وإن قدر عليه، ويسلم علىٰ أشد الناس عداوة له من المسلمين؛ إرضاءً لله تعالىٰ وإن قطعه.

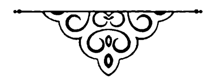
أما رغبتهم فيما عند الله ﷻ من الثواب العظيم والنعيم المقيم، فقد حملتهم علىٰ المسارعة إلىٰ عمل الخيرات وترك المنكرات والمنافسة في ذلك.

وكان هذان الأمران هما الدافع الحقيقي لهم للقيام بهذه الأعمال العظيمة، والتحلي بهذه الأخلاق الكريمة، التي لم تسبق إليها أمة من الأمم، قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]. فإن كان غيرنا قد سبقنا إلىٰ الصناعات والتقنيات؛

فقد سبقناهم إلىٰ مكارم الأخلاق وحسن المعاملات والصفح والعفو. وكان سلفنا الصالح ﷭ من أزكىٰ الناس نفوسًا، وأطهرهم قلوبًا، وأنداهم جيوبًا، وأقلهم عيوبًا، ويعود السبب في ذلك أنهم أخذوا كلام الله ﷻ ورسوله ﷺ بالجد، وأيقنوا أن ماوعد الله ﷻ به ورسوله ﷺ من العذاب الشديد في النار، ويوم القيامة واقع لامحالة ولا مفر منه، إلا بامتثال ما أمر الله ﷻ به ورسوله ﷺ، واجتناب ما نهىٰ الله ﷻ عنه ورسوله ﷺ، وأن ما وعد الله ﷻ به ورسوله ﷺ من النعيم المقيم في الجنة حق، ولن ينالوه إلا بامتثال ما أمروا به واجتناب ما نُهوا عنه، فأيقنوا أنهم إن كذبوا وأعرضوا خسروا الدنيا والآخرة وخسروا أنفسهم، والعياذ بالله، وإن صدقوا وآمنوا فازوا بخيري الدنيا والآخرة؛ فشمروا عن ساعد الجد، وعاملوا الناس بالود، وجانبوا كل مفسد وملحد.

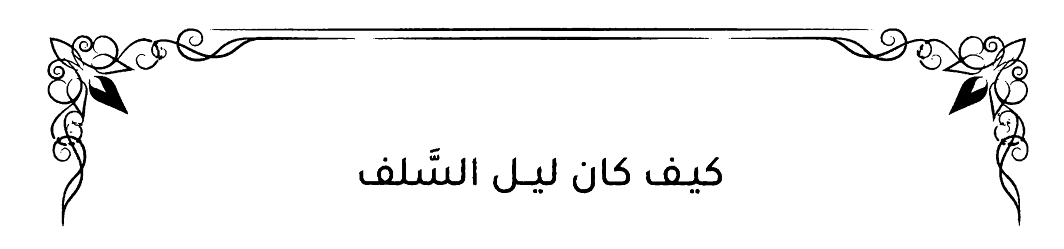
قال شميط بن عجلان عن الصحابة والتابعين: "أتاهم عن الله ﷻ أمر وقذهم عن الباطل؛ فأسهروا الأعين، وأجاعوا البطون، وأظمأوا الأكباد، وأنفقوا الأموال، واهتضموا التالد والطارف في طلب ما يقربهم إلىٰ الله ﷻ، وفي طلب النجاة مما خوفهم به"(١).

وقال الحسن البصري ﵀: "إن لله عبادا هم والجنة كمن رآها فهم فيها متكئون، وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة؛ أما الليل: فصافي أقدامهم، مفترشي جباههم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم؛ وأما النهار: فحكماء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف فهم أمثال القداح؛ فينظر إليهم الناظر فيقول: مرضىٰ وما بهم من مرض، ويقول: قد خولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم"(٢).



(١) صفة الصفوة(٢/ ٢٠٣).

(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٩٤).



كيف كان ليل السّلف

كان ليل السلف ﵏ ليل ذكر وشكر وعبادة وتلاوة قرآن ودعاء واستغفار، فهم كما قال الله ﷻ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات:١٧-١٨].

فلا تكاد تمر ببيت أو بطريق في جنح الظلام وحندس الليل، إلا وتسمع أصوات القراء تسري في كل مكان، وهم يقرؤون القرآن ويتلونه بأصوات ندية، تشنف الآذان وتستوقف العبرات وتأسر القلوب، فكم من لص أتى ليسرق؛ فعاد تائبًا من أثر تلك الأصوات، وكم من صاحب لهو ولغو قد ترك لهوه وتاب.

عن عبد الله بن غالب، قال: "كنت أخدم الربيع بن صبيح، وكنت آتيه بطهوره إذا قام للتهجد، فأسمع من نواحي الدار أصوات المتهجدين، كأنها أصوات النحل إذا هي هيجت"(١).

هيجت: أي استثيرت من أماكنها.

وعن علي بن الأقمر، عن أبي الأحوص، أنه قال: "إن كان الرجل ليطرق الفسطاط ليلا، فيسمع لأهله دويا كدوي النحل، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون؟!"(٢).

الفسطاط: خيامهم في السفر والغزو.

دويا: صوتـًا عاليا.

---

(١) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا، ط ـ الرشد (٢١٧).

(٢) الزهد للإمام أحمد، ط ـ ابن رجب «١/ ٥٧٨»، ومختصر قيام الليل لابن أبي الدنيا (١/ ١٢٤).

وعن أبي الزناد، عن أبيه، قال: "كنت أخرج من السحر إلى مسجد النبي ﷺ، فلا أمر ببيت إلا وفيه قارئ"، وقال: "كنا ونحن فتيان نريد أن نخرج لحاجة، فنقول: موعدكم قيام القراء"(١).

هكذا كان السلف رحمهم الله لاينامون الليل إلا قليلا، وكان قيام الليل شعارا لهم لايغلبون عليه، فأين قراؤنا اليوم من هذا القيام؟!

السحر: آخر الليل.

وأتى طاووس رجلا في السحر، فقالوا: هو نائم، فقال: "ما كنت أرى أن أحدا ينام في السحر"(٢).

وقال الإمام الأوزاعي رحمه الله: "كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء، كأنما على رؤوسهم الطير، مقبلين على أنفسهم، حتى لو أن حميما لأحدهم قد غاب عنه حينا، ثم قدم ما التفت إليه"(٣).

حميما: أي مقربا إليه.

وقال الإمام عاصم بن أبي النجود إمام القراءات رحمه الله: "أدركت أقواما كانوا يتخذون هذا الليل جملا، منهم: زر، وأبو وائل"(٤).

جملا: أي مطية وراحلة إلى الدار الآخرة.

وعن عبد الصمد بن يزيد، قال: سمعت الفضيل يقول: "أدركت أقواما يستحيون من الله في سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب، فإذا تحرك قال: ليس لك هذا، قومي خذي حظك من الآخرة"(٥)، وكذا قال الضحاك(٦).

---

(١) التهجد وقيام الليل (٣٦٧).
(٢) الزهد للإمام أحمد (١/ ٦٢٣)، البداية والنهاية (٩/ ٢٦٩).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٤٠٥).
(٤) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا، ط ـ الرشد (٢٧٨)، صفه الصفوة (٢/ ١٩)
(٥) حلية الاولياء وطبقات الأصفياء، ط ـ السعادة (٨/ ١٠٨)، صفه الصفوة (١/ ٤٢٠).
(٦) مختصر منهاج القاصدين (٧٢).

وعن سفيان، قال: "كان الليل عند منصور مطية من المطايا، متىٰ شئت أصبته قد ارتحله"(١).

مطية: أي راحلة.

وقال الإمام أحمد ﵀: "لقد رأيت قوما صالحين، رأيت عبدالله بن إدريس وعليه جبة من لبود قد أتت عليها سنون، رأيت أبا داود الحفري وعليه جبة مخرقة قد خرج منها القطن وهو يصلي، فيترجح من الجوع، ورأيت أيوب النجار وقد خرج من كل ما يملكه، وكان في المسجد شاب مصفر، يقال له العوفي، يقوم من أول الليل إلىٰ الصباح يبكي"(٢).

لِلهِ دَرّ السَّادَة العُبَّادِ ... فِي أي كَهْفٍ قَدْ ثَوَوْا أَوْ وَادِي
أَلْوَانُهُم تُنْبِيْكَ عَنْ أَحْوَالِهِم ... ودُمُوعُهُمْ عَنْ حُرْقَةِ الأَكْبَادِ
كَتَمُوْا الضِّنَىٰ بِصُدُورِهم وتَحَمَّلُوْا ... سُقْمَ الهَوَىٰ ومَشَقَّةَ الأَجْسَادِ
هَجَروْا المَرَاقِدَ فِي الظَّلامَ لِرَبِّهِمْ ... واسْتَبْدَلوا سَهَرًا بِطِيْبِ رُقَادِ
لايفترون إذا الدجىٰ وافاهُموا ... مِنْ كَثْرَةِ الأَذْكَارِ والأَوْرَادِ
ورَأَوْا عَلامَاتِ الرَّحِيْلِ فَبَادَرُوْا ... تَحْصِيْل مَا الْتَمَسُوْا مِنْ الأَزْوَادِ
فإِذَا اسْتَمَالَ قُلُوْبَهُم دَاعِي الهَوَىٰ ... ذَكَرُوا البِلَىٰ فِي ظُلْمَةِ الأَلْحَادِ
نَظَرُوا إِلَىٰ الدُنْيَا تَغُرُّ بِأَهْلِهَا ... بِوِصَالِهَا وتَكِرُّ بالأَبْعَادِ
فَتَجَنَّبُوْهَا عفةً وتَزَهُّدًا ... وتَزَوُّدُوْا مِن صَالِحِ الأَزْوَادِ
ومَضَوْا عَلَىٰ مِنْهَاجِ صَحْبِ نَبِيِّهِمْ ... يَرجُون جَنات وحُسن مَعَادِ(٣)

---

(١) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا، ط ـ الرشد (٢١٤).

(٢) المدهش لابن الجوزي (٣٠٥).

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان للسلمان (٢/ ٤٤٤). تم التصرف في البيت الأخير، وأصله:

ومَضَوْا عَلَىٰ مِنْهَاجِ صَحْبِ نَبِيِّهِمْ ... فَنَجَوْا غَدًا مِنْ هَوْلِ يَوْمِ مَعَاد

ولمـا فتحـت مكـة، أرادت هنـد زوجـة أبـي سـفيان الـذهاب إلـىٰ رسـول الله ﷺ لتبايعه، فاستأذنت أبا سفيان، فقال لها: "قد كنت بـالأمس مكذبـة بهـذا الأمـر، فقالـت: والله ما رأيتُ اللهَ عُبِد حَقّ عبادته بهذا المسجد قبـل هـذه الليلـة، واللهِ لقـد بـاتوا لـيلهم كلهم يصلون فيه"(١).

وعن الحسن البصري رحمه الله يصف ليل السلف، قال: "... فإذا كان الليل فقيام علىٰ أطرافهم، يفترشون وجوههم، تجري دموعهم علىٰ خـدودهم، ينـاجون ربهـم في فكـاك رقـابهم، كـانوا إذا عملـوا الحسـنة ذابـوا في شـكرها، وسـألوا الله أن يقبلهـا، وإذا عملـوا السيئة أحزنتهم، وسألوا الله أن يغفرها، فما زالوا كذلك وعلىٰ ذلك. فـوالله، مـا سـلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم في أجل منقـوص وعمـل محفـوظ، والموت -والله- في رقابكم، والنار بين أيديكم؛ فتوقعوا قضاء الله في كل يوم"(٢).

وعن أبي أراكة، قال:" صليت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر، فلما سـلم انفتل عن يمينه، ثم مكث كأن عليه كآبة، حتىٰ إذا كانت الشـمس علـىٰ حـائط المسـجد قيد رمح، قال: وحائط المسجد أقصر مما هـو الآن، قـال: ثـم قلـب يـده، وقـال: "والله لقد رأيت أصحاب محمـد، فمـا أرىٰ اليـوم شـيئا يشـبههم، لقـد كـانوا يصـبحون صـفرا غبرا، بين أعينهم أمثال ركب المعزىٰ، قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله، يراوحـون بين جباههم وأقدامهم، فـإذا أصـبحوا فـذكر الله مـادوا كمـا تميـد الشـجر في يـوم ريـح، وهملت أعينهم حتىٰ تبل ثيابهم. والله، لكأن القـوم بـاتوا غـافلين"، ثـم نهـض فمـا رُئـي يضحك حتىٰ ضربه ابن ملجم عدو الله الفاسق" (٣).

قلت: مصداق ذلك في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ

(١) البداية والنهاية (٧/ ٦٠).
(٢) مختصر قيام الليل (١/ ٤٦).
(٣) التهجد وقيام الليل (٢٧١).

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩] ، قال مجاهد: "من أثر الخشوع".

لكأن القوم باتوا غافلين: أي من شدة خوفهم من الله ﷻ؛ يظن من رآهم أنهم باتوا علىٰ معصية، أو لإخفائهم عملهم؛ يظن أنهم باتو غافلين ولم يعملوا شيئًا.

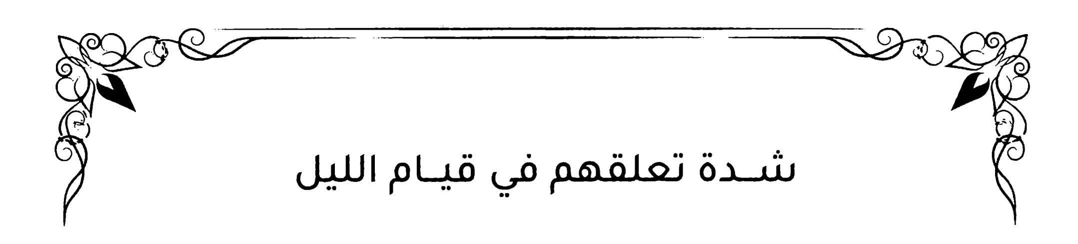
وفي الحديث عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالقُرْآنِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ إِذَا لَقِيَ الخَيْلَ -أَوْ قَالَ: العَدُو- قَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْظُرُوهُمْ»[١]. متفق عليه.

◊ قال ابن المبارك رحمه الله:

إِذَا مَا اللَّيْلُ أَظْلَمَ كَابَدُوْهُ ... فَيُسْفِرُ عَنْهُمُو وَهُمُو رُكُوْعُ
أَطَارَ الخَوْفُ نَوْمَهُمو فَقَامُوْا ... وَأَهْلُ الأَمْنِ فِي الدُّنْيَا هُجُوْعُ
لَهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ وَهُمْ سُجُوْدٌ ... أَنِيْنٌ مِنْهُ تَنْفَرِجُ الضُّلُوْعُ
وخُرْسٌ فِي النَّهَارِ لِطُوْلِ صَمْتٍ ... عَلَيْهِمْ مِنْ سَكِيْنَتِهِمْ خُشُوْعُ[٢]



(١) البخاري (٤٢٣٢-٣٩٩١)، ومسلم (١٦٦-٢٤٩٩).
(٢) مجموعة القصائد الزهديات للسلمان (١/ ٤٨٤)، وديوان ابن المبارك.



شـدة تعلقهم في قيـام الليل

ولـــه خصـــائص مصـــطفون لحبـــه ... اختـــارهم في ســـالف الأزمـــان

اختـــارهم مـــن قبـــل فطـــرة خلقـــه ... بودائـــع وبحكمـــة وبيـــان[١]

الصحابي الجليل أبو ريحانة رضي الله عنه :

عن ضمرة بن حبيب، قال: " استأذن أبو ريحانة صاحب مسلحته من الساحل إلىٰ أهله فأذن له، فقال له الوالي: كم تريد أن أؤجلك ؟ قال: ليلة، فأقبل أبو ريحانة، وكان منزله في بيت المقدس، فبدأ بالمسجد قبل أن يأتي أهله، فافتتح سورة فقرأها، ثم أخرىٰ، فلم يزل علىٰ ذلك حتىٰ أدركه الصبح وهو في المسجد لم يرمه، ولم يأت أهله، فلما أصبح دعا بدابته فركبها متوجها إلىٰ مسلحته، فقيل: يا أبا ريحانه،إنما استأذنت لتأتي أهلك، فلو مضيت حتىٰ تأتيهم ثم تنصرف إلىٰ صاحبك ؟ قال: إنما أجلني أميري ليلة وقد مضت، لا أكذب ولا أخلف، وانصرف إلىٰ مسلحته، ولم يأت أهله"[٢].

تـــاهوا بـــه عمـــن ســـواه لـــه ... ياحســن ماتــاهوا وياحســن مــالهوا[٣]

رضي الله عنك يا أبا ريحانه، تكبدت مسافة الطريق والسير لتأتي أهلك وتراهم، فلما بلغت المنزل ولم يبق إلا رؤيتهم، دخلت مسجدك وقمت تصلي، فنسيت كل شيء ولم تشعر إلا عند أذان الفجر.

---

(١) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (٩/ ٣٥٥)، صفة الصفوة (٢/ ٤٧٩).

(٢) الزهد لابن المبارك (١/ ٣٠٥)، مختصر قيام الليل(٤٦).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤١). تم التصرف في البيت، وأصله:

تـــاهوا برؤيتـــه عمـــا ســـواه لـــه ... يـــا حســـن رؤيـــتهم في عـــز مـــا تـــاهوا

مسلحته: موضع السلاح والجيش. يرمه: يفارقه.

۞ الربيع بن خثيم صاحب ابن مسعود ﷺ، تسرق فرسه وهو يصلي فلا يقطع صلاته:

عن بكر بن ماعز، قال عن الربيع بن خثيم: "اشترىٰ فرسا بثلاثين ألفا، فغزا عليها، ثم أرسل غلامه -يسارا- يحتش، وقام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام، فقال: ياربيع، أين فرسك ؟ قال: سرقت يا يسار، قال: وأنت تنظر إليها ؟ قال: نعم، يا يسار، إني كنت أناجي ربي، فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء، اللهم إنه سرقني، ولم أكن لأسرقه، اللهم إن كان غنيا فاهده، وإن كان فقيرا فأغنه -ثلاث مرات-"[1].

۞ عمرو بن عتبة بن فرقد ﷺ:

كان يخرج إلىٰ العدو مع الناس، فلا يتحارس الناس لكثرة صلاة عمرو، ورأوه ليلة يصلي، فسمعوا زئير الأسد فهربوا، وهو قائم يصلي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد ؟! فقال: "إني لأستحي من الله أن أخاف شيئا سواه!!"[2].

يتحارسون: يجعلون لهم حارسا.

كـرر علـي حـديثهم يـا حـادي فحـديثهم يجلـو الفـؤاد الصـادي[3]

۞ صلة بن أشيم العدوي ﷺ:

عن جعفر بن زيد ﷺ، قال: "خرجنا غزاة إلىٰ كابول، وفي الجيش صلة بين أشيم العدوي ﷺ، قال: فترك الناس بعد العتمة [أي بعد العشاء] ثم اضطجع، فالتمس غفلة الناس، حتىٰ إذا نام الجيش كله وثب صلة فدخل غيضة [وهي الشجر الكثيف الملتف علىٰ بعضه] فدخلت في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة، وبينما هو يصلي، إذ جاء أسد عظيم فدنا منه وهو يصلي؛ ففزعت من زئير الأسد فصعدت إلىٰ شجرة قريبة، أما صلة فو الله، ما التفت إلىٰ الأسد!! ولا خاف من زئيره ولا بالىٰ به!!

---

(١) الزهد للإمام أحمد (٢٦٨)، مختصر قيام الليل (٢٧).

(٢) حلية الأولياء (٤/ ١٥٧)، والزهد للإمام أحمد، ط ـ ابن رجب (١/ ٥٨٦).

(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقاق والآداب (١/ ٦١٩).

ثم سجد صلة فاقترب الأسد منه، فقلت: الآن يفترسه!! فأخذ الأسد يدور حوله ولم يصبه بأي سوء، ثم لما فرغ صلة من صلاته وسلم، التفت إلىٰ الأسد وقال: "أيها السبع اطلب في مكان آخر!!"، فولىٰ الأسد وله زئير تتصدع منه الجبال!! فما زال صلة يصلي، حتىٰ إذا قرب الفجر جلس فحمد محامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: "اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟!"، ثم رجع رحمه الله إلىٰ فراشه [أي ليوهم الجيش أنه ظل طوال الليل نائمًا] فأصبح وكأنه بات علىٰ الحشايا [وهي الفرش الوثيرة الناعمة، والمراد هنا: أنه كان في غاية النشاط والحيوية] ورجعت إلىٰ فراشي، فأصبحت وبي من الخمول شيء الله به عليم"[١].

❁ عامر بن عبدالله القيسي، تدخل الحيه في ثيابه فلا يقطع صلاته:

عن علقمة بن مرثد قال: "انتهىٰ الزهد إلىٰ ثمانية من التابعين، منهم: عامر بن عبد الله؛ إن كان ليصلي فيتمثل إبليس في صورة حية، فيدخل تحت قميصه حتىٰ يخرج من جيبه فما يمسه، قيل له: ألا تنحىٰ الحية عنك؟ فقال: "إني لأستحيي من الله عز وجل أن أخاف سواه!!" فقيل له: إن الجنة لتدرك بدون ما تصنع، وإن النار لتتقىٰ بدون ما تصنع، فقال: "والله لاجتهدن، ثم والله لاجتهدن، فإن نجوت فبرحمة الله، وإن دخلت النار فبعد جهدي"، فلما احتضر بكىٰ، فقيل له: أتجزع من الموت وتبكي؟ فقال: "ما لي لا أبكي؟ ومن أحق بذلك مني؟ والله، ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا علىٰ دنياكم، ولكني أبكي علىٰ ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء""[٢].

بعد جهدي: أي عملي.

رحمك الله ياعامر، تقوم الليل كله وتصوم النهار، ومع هذا كله تخشىٰ ألا تنجو من النار ومن عذاب الله عز وجل !! فأين المغترون بأعمالهم، المخدوعون بأقوالهم، الذين يتمنون

---

(١) تعظيم أمر الصلاة. لمحمد بن نصر المروزي، ت ـ ٢٩٤هـ (٢/ ٨٣٢)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٩/ ١٧٨)، سير أعلام النبلاء، ط ـ الرسالة (٣/ ٤٩٩).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ١١٩)، ومرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٨/ ٤٤٠).

علىٰ الله الأماني، ويريدون أن يدخلوا جنة ربهم بغير حساب ولاعذاب؟! والله المستعان.

يَا نَاظِرًا يَرْنُو بِعَيْنَيْ رَاقِدٍ ... وَمُشَاهِدًا لِلأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدِ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَىٰ الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي ... دَرَكَ الْجِنَانِ بِهَا وَفَوْزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمًا ... مِنْهَا إِلَىٰ الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ[1]

۞ عبدالرحمن بن أبي نعم رحمه الله:

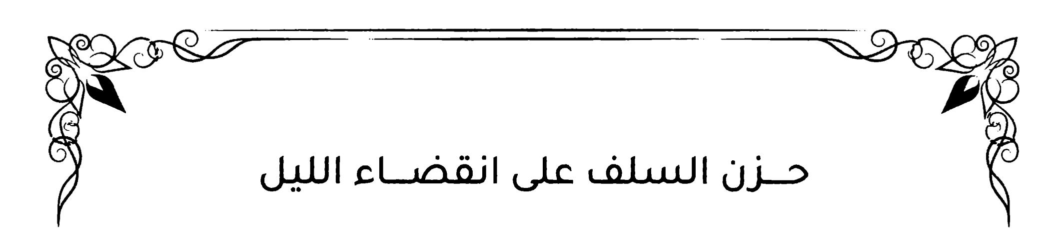
قال الشعبي رحمه الله: "كان عبد الرحمن بن أبي نعم يواصل أربعة عشر يوما حتىٰ نعوده، وبلغ ذلك الحجاج فحبسه خمسة عشر يوما في بيت، ثم فتح عنه فوجده قائما يصلي، فقال: اذهب فأنت راهب العرب"[2].

فانظر يا عبدالله، وانظري يا أمة الله، إلىٰ هؤلاء القوم المخلصين كيف أنساهم حبهم لله ﷻ وشوقهم إلىٰ لقائه كل شيء؟ أنساهم شهواتهم وملذاتهم، وكل مايلقونه من تعب ونصب ومشقه، فقاموا لله تعالىٰ أحسن قيام، وصاموا أحسن صيام، وأعرضوا عن الدنيا وزينتها، ومع هذا كله، يخشىٰ أحدهم أن لاينجو من النار ومن عذاب الله ﷻ، ويخشىٰ أن يقصر به العمل ويزل به الأمل. فلله درهم ما أحسن سرهم وجهرهم، وما أخلص أمرهم!!

لله قوم أَخْلَصُوا فِي حبه ... اختصهم ورضىٰ بهم خداما
قوم إِذا جن الظلام عَلَيْهِم ... قَامُوا فَكَانُوا سجدا وقياما
يتلذذون بِذكرِهِ فِي ليلهم ... ونهارهم لا يفترون صياما[3]



(١) المجالسة وجواهر العلم(٦/ ٤٥).
(٢) مختصر قيام الليل (٦٥).
(٣) بستان الواعظين لابن الجوزي، ط ـ الكتب الثقافية (٢٧٧).



حـزن السلف على انقضـاء الليل

ومـؤنس قلبـه لـيلا طـويلا يلـذ بـه ويوحشـه النهـار

عن عبد الله بن المبارك، عن عثمان بن أبي دهرش ﷺ: أنه كان إذا رأىٰ الفجر أقبل عليه بثه، وقال: "أصير الآن مع الناس، فلا أدرىٰ ما أجني علىٰ نفسي"[١].

بثه: حزنه

◈ وكانت ريحانة ﷺ تقوم الليل كله، فإذا أصبحت نادت:

ذهـب الظـلام بأنسـه وبألفـه ليـت الظـلام بأنسـه يتجـدد[٢]

وقال علي بن بكار: "منذ أربعين سنةً ما أحزنني إلا طلوع الفجر"[٣].

وبكىٰ أبو الشعثاء ﷺ عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "لم أشتف من قيام الليل"[٤]. وكان ﷺ مفتي أهل البصرة في زمانه، قال عنه ابن عباس ﷺ: "تسألوني وفيكم جابر بن زيد؟!"، وقال: "لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد، لأوسعهم علما عن كتاب الله ﷻ"[٥].

وكان الفضيل ﷺ يقول: "أفرح بالليل لمناجاة ربي، وأكره النهار للقاء الخلق"[٦]. وكان يلقب بعابد الحرمين؛ لملازمته لهما وكثرة عبادته بهما.

---

(١) الزهد للإمام أحمد، ط ـ ابن رجب (١/ ٥٩٠).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٦٦).
(٣) المدهش لابن الجوزي (٤٦٢).
(٤) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٢١٧).
(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ٤٩٥).
(٦) المدهش (٤٥٥).

وكانت أم عمر بن المنكدر رحمهما الله تقول له: "إني لأشتهي أن أراك نائما! فقال: والله، إن الليل ليرد علي، فينقضي عني وما قضيت منه أربي!"(١) ؛ أي: حاجتي.

وعن الحكم قال: "لما احتضر عبد الرحمن بن الأسود بكىٰ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أسفا علىٰ الصوم والصلاة! قال: ولم يزل يقرأ القرآن حتىٰ مات رحمه الله "(٢) .

وقال إبراهيم بن أدهم: "مرض بعض العباد فدخلنا نعوده، فجعل يتنفس ويتأسف، فقلت له: علىٰ ماذا تتأسف؟ قال: علىٰ ليلة نمتها، ويوم أفطرته، وساعة غفلت فيها عن ذكر الله عز وجل!". وبكىٰ بعض العباد عند موته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "أن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم!"(٣) .

وعن محمد بن منصور الزاهد قال: "كان لسعد بن يزيد ورد من الليل يقومه، ففتر عن ورده ذات ليلة فأصبح حزينا، وأنشأ يقول:

أَلا فِي سَبِيلِ اللهِ عُمْرٌ رَزِئْتُهُ ... وَطُولُ لَيَالٍ فَاتَ مِنْهَا نَعِيمُهَا

أَأَعْبُرُ أَيَّامِي فَمَا أَسْتَطِيعُهَا ... وَتَذْهَبُ عَيْنِي لَيْلَةً لا أَقُومُهَا

وَتَنْقَطِعُ الدُّنْيَا وَيَذْهَبُ عَيْشُهَا ... وَيَغْتَنِمُ الْخَيْرَاتِ مِنْهَا حَكِيمُهَا

أُعَاوِدُ جَهْلا بَعْدَ خَيْرٍ وَصَبْوَةٍ ... تَمُرُّ بِأَيَّامِي فَتَبْقَىٰ رُسُومُها"(٤)

انظر يا عبد الله، وانظري يا أمة الله، إلىٰ هذا التابعي كيف يتحسر ويتأسىٰ علىٰ ليلة واحدة فاتته لم يقمها!! فهو حزين منكسر القلب علىٰ فواتها، ويرىٰ ذلك خسارة

(١) التهجد وقيام الليل (١٨٦)، صفة الصفوة، ط ـ دار الحديث (١/ ٣٨٠).
(٢) المحتضرين لابن أبي الدنيا(١٤٦).
(٣) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٢١٧).
(٤) فضل قيام الليل للآجري (١٢٤).

عظيمة ومصيبة كبيرة حلت به، فهو يعزي نفسه عليها ويواسيها، فكم قد فاتنا من ليالي وكم قد فاتنا من خير دون أدنىٰ شعور أو ندم؟!

◈ قال سابق البربري:

لا يشعرون إذا ما دينهم نقصوا يومًا وإن نقصت دنياهم شعروا

عمرا رزيته: أي خسرته، والرزية المصيبة.

وعن سعيد بن جبير، قال: قال مسروق: "ما آسىٰ علىٰ شيء من الدنيا إلا السجود في الصلاة"(١).

وعن درست القزار، قال: "لما احتضر يزيد الرقاشي بكىٰ، فقيل: له ما يبكيك يرحمك الله؟ قال: أبكي والله، علىٰ ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار! قال: ثم بكىٰ، وقال: من يصلي لك يا يزيد، ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك إلىٰ الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب؟ ويحكم يا إخوتاه، لا تغتروا بشبابكم! فكان قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر، وشدة كرب الموت، النجاء النجاء! الحذر الحذر يا إخوتاه! المبادرة رحمكم الله"(٢).

رحمك الله يايزيد، فقد وعظت فأبلغت، ونصحت فبررت، وقلت فأصبت، ولكن أين السامع الواعي؟!

يا قوم بالله العظيم نصيحة من مشفق وأخ لكم معوان(٣)

النجاء النجاء: أي الخلاص الخلاص. **المبادرة:** المسارعة.

وعن سليمان بن يسار، قال: "أصبح أبو أسيد وهو يسترجع، فقيل: ما لك؟

---

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ٧٦)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥١٥).

(٢) تاريخ دمشق (٦٥/ ٩٢)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٢/ ٧٧)، التبصرة لابن الجوزي (١/ ٢١٧).

(٣) نونية ابن القيم(١٤٣).

فقـال: نمـت عـن وردي الليلـة.."[١] . الاسـترجاع: هـو أن يقـول الرجـل: إنـا لله وإنـا إليه راجعون.

وكانت أم محمد بن كعب القرظي رحمه الله تقول له: "يا بني، لولا أني أعر فك صغيرا طيبا، وكبيرا طيبا، لظننت أنك أحدثت ذنبا موبقا؛ لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار! قال: يا أماه، وما يؤمنني أن يكون الله عز وجل قد اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي، فمقتني، فقال: اذهب لا أغفر لك! مع أن عجائب القرآن تورد لي أمورا حتىٰ إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي"[٢] .

تخـاف مـن الـذنوب وأنـت بـر ... فكيـف بمـن كسـب الـذنوب[٣]

ومن الذين حزنوا عند الموت علىٰ قيام الليل وصيام النهار، من الصحابة رضي الله عنهم: معاذ وعبدالله بن عمر، وغيرهم. عن سعيد بن جبير رحمه الله، قال: قال ابن عمر رضي الله عنه حين حضرته الوفاة: "ما آسىٰ علىٰ شيء من الدنيا إلا علىٰ ظمأ الهواجر ومكابدة الليل، وأني لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا، يعني الحجاج"[٤] .

وقال ابن رجب رحمه الله: "كان السلف الصالح يتأسفون عند موتهم علىٰ انقطاع أعمالهم عنهم بالموت، وبكىٰ معاذ عند موته، وقال: "إنما أبكي علىٰ ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر"[٥] .

هكذا كان السلف رحمهم الله يتأسفون علىٰ قيام الليل عند فواته، ويحزنون عليه عند انقطاعه، فإذا ماطلع الفجر وانقطعت تلك اللذة التي كانوا يجدونها، وذهب ذلك

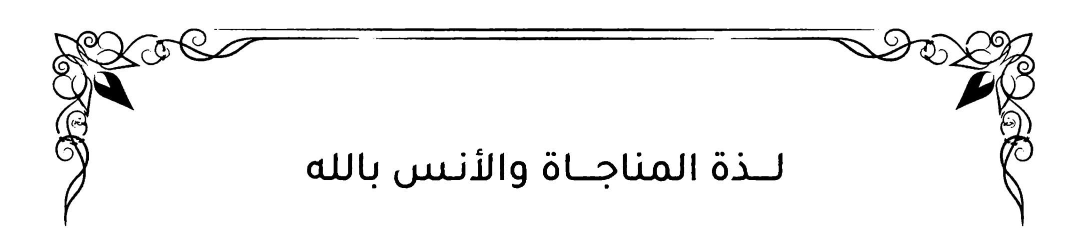
(١) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٨٠).
(٢) حلية الأولياء (٣/ ٢١٤)، التهجد وقيام الليل، ط ـ الرشد (١٨٨).
(٣) من قول العبد الفقير إلىٰ الله.
(٤) مختصر قيام الليل (١/ ٦٢)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٤٦٥).
(٥) لطائف المعارف (٣٠١).

الأنس؛ حزنوا حزنا شديدا علىٰ فراقه، وكأن لسان حالهم يقول ماكانت تقوله تلك المرأة الصالحة الباكية علىٰ ليلها:

ذهـــب الظـــلام بأنســـه وبألفـــه ليـــت الظـــلام بأنســـه يتجـــدد[1]



(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٦٦).



لـذة المناجـاة والأنـس بالله

أَنِســـتُ بـــه فـــلا أَبغـــي ســـواه ... مخافـــةَ أن أَضِـــلَّ فـــلا أَراهُ

فحســـبُي حَسْـــرةً وضـــنىً وسُـــقمًا ... بطَـــرْدِي عـــن مجـــالسِ أوليـــاهُ[١]

قيل لمحمد بن النضر الحارثي رحمه الله: "أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني ؟!"[٢].

وقال يزيد الرقاشي لحبيب العجمي: "ما أعلم شيئًا أقر لعيون العابدين في الدنيا من التهجد في ظلمة الليل"[٣].

وقال عيسىٰ بن إسحاق الأنصاري: سمعت مؤمنة بنت بهلول تقول: "ما النعيم إلا في الأنس بالله، والموافقة لتدابيره"[٤].

وقال ثابت البناني رحمه الله:"ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل"[٥]. وكان يقول: "اللهم إن كنت أعطيت أحدا من خلقك يصلي لك في قبره فاعطنيه"[٦]. وعن إبراهيم بن الصمة المهلبي، حدثني الذين كانوا يمرون بالجص بالأسحار

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٣٧٠). تم التصرف في البيت الثاني، وأصله:

فحســـبُك حَسْـــرةً وضـــنىً وسُـــقمًا ... بطَـــرْدِك عـــن مجـــالسِ أوليـــاهُ

(٢) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (٨/ ٢١٧).

(٣) التهجد وقيام الليل (٣٩٧).

(٤) صفة الصفوة، ط ـ دار الحديث (١/ ٥٧٨).

(٥) حلية الأولياء (٣/ ٣٢٠، ٣٢١)، التهجد وقيام الليل (٢٣٣).

(٦) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥١٩).

قال: "كنا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت سمعنا قراءة القرآن"[١].

وقال مالك بن دينار رحمه الله: "ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالىٰ"[٢].

وقال مسلم بن يسار رحمه الله: "ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل" [٣].

وقال محمد بن المنكدر: "ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في الجماعة" [٤].

وقال بعض العلماء: "ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة، إلا ما يجده أهل التملّق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة" [٥].

وكان حبيب أبو محمد يخلو في بيته، ثم يقول: "من لم تقر عينه بك فلا قرت، ومن لم يأنس بك فلا أنس" [٦].

سبحان من هو أنسي إذ خلوتُ به ... في جَوف ليل وفي الظَّلماء والسَّحَرِ
أنت الحبيبُ وأنت الحبُّ يا أملي ... من لي سواكَ ومن أرجوهُ يا ذخري[٧]

وقال الحسن البصري: "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قالوا وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله عز وجل والأنس به، والشوق إلىٰ لقائه، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه"[٨]. وكذا قال ابن المبارك، ومالك بن دينار رحمهم الله تعالىٰ.

وعن رياح، قال: "كان عندنا سليمان، رجل يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة حتىٰ

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ١٥٩).
(٢) الزهد للإمام أحمد (٤٤٨)، مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٨٠٢).
(٣) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (٢/ ٢٩٤).
(٤) اتحاف السادة المتقين (٥/ ١٩٨)، إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٨).
(٥) اتحاف السادة المتقين للزبيدي (٥/ ١٩٨)، إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٨).
(٦) صفة الصفوة، ط ـ دار الحديث (٢/ ١٨٩).
(٧) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (٦/ ١٩٥).
(٨) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٨٠٢).

أقعد من رجليه، فكان يصلي جالسا ألف ركعة، فإذا صلىٰ العصر احتبىٰ واستقبل القبلة ويقول: عجبت للخليقة كيف آنست بسواك، بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك"[١].

حبيب ليس يعدله حبيب ... ولا لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن سمعي وبصري ... ولكن في فؤادي لايغيب[٢]

وعن إسحاق قال: قال الفضيل: "طوبىٰ لمن أستوحش من الناس وكان الله أنيسه، وبكىٰ علىٰ خطيئته"[٣].

وكانت ريحانة ﷺ من الزاهدات العابدات، قال الربيع ﷺ: "بت أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة بالأبلة، فقامت أول الليل وهي تقول:

قام المحب إلىٰ المؤمل قومة ... كاد الفؤاد من السرور يطير

◈ **فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضاً:**

لا تأنسن بمن توحشك نظرته ... فتمنعن من التذكار في الظلم

واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن ... يسقيك كأس وداد العز والكرم

قال: ثم نادت: [أي عند الصباح] واحرباه، واسلباه!! فقلت: مما ذا؟ فقالت:

ذهب الظلام بأنسه وبألفه ... ليت الظلام بأنسه يتجدد"[٤]

واحرباه: الحريب من دهمه العدو.

(١) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (٦/ ١٩٥).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٤٣٢). تم التصرف في البيت الثاني، وأصله:

حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي ما يغيب

(٣) حلية الأولياء، ط ـ السعادة (٨/ ١٠٨)، روضة الزاهدين (٤٠).

(٤) صفة الصفوة، ط ـ دار الحديث(٢/ ٢٦٦).

واسلباه: السليب من سُلب ماله ومتاعه.

وقال بعض العارفين: "إنه لتمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب"(١).

وعن عبد العزيز بن عمير، قال: قالت أم هارون: "بأبي الليل لما أطيبه، إني لأغتم بالنهار حتىٰ يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله، فإذا جاء السحر دخل الروح قلبي"(٢).

وعن إبراهيم، أن هماما كان يقول في سجوده: "اشفني من النوم باليسير، واجعل سهري في طاعتك. فكان لا ينام إلا هنية وهو جالس"(٣).

وقال أبو سليمان: "أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا"، وقال أيضًا: "لو عوض الله ﷻ أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه في قلوبهم من اللذة، لكان ذلك أكبر من أعمالهم"(٤).

يا مؤنس الابرار في خلواتهم يا خير من حلت به النزال(٥)

وقالت عاتقه الغنوية ﷺ لضرار الطفاوي: "اعلم أنه لن ينال المطيعون في الدنيا لذة أحلىٰ في صدورهم من الازدياد لله في طاعته بقربه، ولحلاوة ساعة من مطيع ألذ في قلوب المريدين من جميع ما أخرج إلىٰ الدنيا من زهرة ولذة، ولن يجد المريد فقد شيء تركه رجاء ثواب الله؛ فجد أي أخي، قبل أن لا يمكنك الجد، وبادر قبل فوات المبادرة؛ فإن الدنيا لا تطيب لعارفها، وإنما تورطها أهل الغرة، وعما قليل فسوف يعلمون. قال: أمسكت فقامت"(٦).

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٢/ ٨٠٢).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٤٣٣).
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ١٩٠).
(٤) المجالسة وجواهر العلم للدينوري (٤/ ٣٨٣)، مختصر منهاج القاصدين (٦٨).
(٥) اتحاف السادة المتقين (٢/ ٤٣٩).
(٦) صفة الصفوة (٢/ ٥٠١).

تورطها أهل الغرة: أي غرتهم وظنوا أنها ستصفوا لهم من الكدر.

وقال الحسن البصري: "تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق"(١). قلت: قد اشتمل قيام الليل على هذه الثلاث كلها وزيادة؛ فهو صلاة، وقرآن، وذكر، ودعاء، واستغفار، وشكر لله ﷻ.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم؛ إذاً لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم"(٢).

ودخل إبراهيم بن أدهم على بعض العباد يعوده، فوجده في الموت أو في مقدمات الموت، فجعل العابد يتنفس ويتأسف، فقال له إبراهيم: "علام تتأسف رحمك الله؟ فقال: ما تأسفي على النقلة من دار الدنيا؛ دار الأحزان والأسقام والخطايا والذنوب، ولكن أسفي على يوم أفطرته، أو ليلة نمتها، أو ساعة غفلت عن ذكر الله..."(٣). فيامن صده هواه، وغره مناه، حتى تمادى في خَطاه، وزاد في بلاه، تزود من الدنيا، قبل فوات الأوقات، وزوال السعات، والندم على مافات.

تَزَوَّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... فَكُلٌّ بِهَا ضَيْفٌ وَشِيكٌ رَحِيلُهُ

وَخُذْ لِلْمَنَايَا لا أَبَا لَكَ عُدَّةً ... فَإِنَّ الْمَنَايَا مَنْ أَتَتْ لا تُقِيلُهُ

وَمَا حَادِثَاتُ الدَّهْرِ إلا لِعِزَّةٍ ... تَبَّتْ قُوَاهَا أَوِ الْمُلْكَ تُزِيلُهُ(٤)

وجاء رجل إلى الحسن البصري، فقال له: "إني أعصي الله وأذنب، وأرى الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أني محروم من شيء!! فقال له الحسن: هل

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٧/ ٦).

(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٢٥)، البداية والنهاية لابن كثير، ط ـ الفكر (١٠/ ١٣٨).

(٣) العاقبة في ذكر الموت (١٣٧).

(٤) المجالسة وجواهر العلم (٧/ ٣٣٤).

تقـوم الليـل؟ فقـال: لا، فقـال: كفـاك أن حرمـك الله مناجاتـه"[١]. صـدق والله، فـإن المحروم من حرم قيام الليل وحرم القرب من الله ﷻ، لا من حرم الدنيا.

وَصِـــلُوا إِلـــىٰ مَـــوْلاهُمُ وبَقِينَـــا ... وَتَنَعَّمُـــوا بِوِصَـــالِهِ وَشَـــقِينَا

ذَهَبَـــتْ شَـــبِيْبَتُنَا وَضَـــاعَ زَمَانُنَـــا ... وَدَنَـــتْ مَنِيَّتُنَـــا فمـــن يُنْجِيْنَـــا[٢]

وعن عمار بن عمرو البجلي، قال: سمعت عمر بن ذر يقول: "لما رأىٰ العابـدون الليـل قـد هجـم عليهم، ونظـروا إلىٰ أهـل السـآمة والغفلـة قـد سـكنوا إلىٰ فراشـهم، ورجعوا إلىٰ ملاذهم من الضجعة والنوم، قاموا إلىٰ الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عبادة السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليـل بأبـدانهم، وباشـروا ظلمته بصفاح وجوههم، فانقضىٰ عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة، ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولىٰ عنهم الليل بربح وغبن"[٣].

وجاء في الأثر: "من أراد أن يدخل علىٰ ربه بـلا استئذان، ويخاطبـه بـلا ترجمـان، فليسبغ وضوءه وليستقبل القبلة وليكبر في الصلاة".

قلت: إن قولهم هذا حق؛ فإنه ما تنعم المتنعمـون بمثـل مناجـاة الله ﷻ ولا أنسـوا بمثله، وكيف لايانسون وهم يناجون ملك الملوك، ومن بيده ملكوت كل شيء!!

فقيام الليل ماهو إلا روضة من رياض الجنة، من دخلها عز عليه فراقها والخـروج من رواقها، فإذا ما أردت أن تدخل تلك الجنة في الدنيا قبل الآخرة فعليك بقيام الليـل؛ فإنه جنة من لاجنة له، وأنس من لا أنيس له.

يـــا مُنتهَـــىٰ ســـؤلِ المحبِّـــين كلِّهـــم ... أبحنـــي محـــلَّ الأُنـــسِ مـــع كـــلِّ زواري

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (١/ ٦٦٥).
(٢) المدهش لبن الجوزي، ط ـ دار الكتب العلمية(٣٩٥).
(٣) حليه الأولياء، ط ـ السعادة (٥/ ١١٣).

ولستُ أبالي فائتا بعد فائتٍ إذا كنتَ في الدارين يا واحدًا جاري[١]

وفي الحديث عَنْ أَنسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[٢].

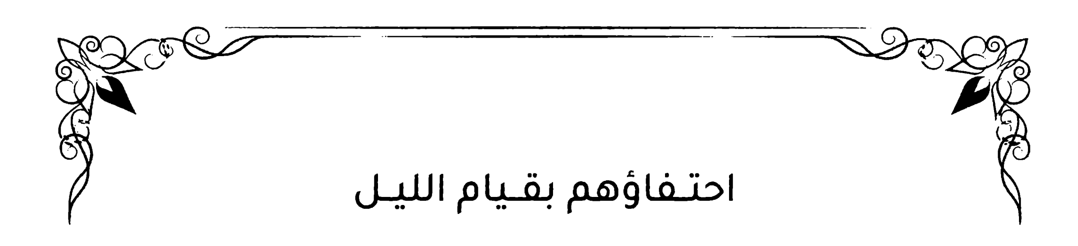
وكان يقول ﷺ: « أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلاَلُ الصَّلاَة »[٣].



(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (١٥/ ٢٠٣).

(٢) أحمد (١٤٠٣٧) و(١٢٢٩٣)، والنسائي (٣٩٣٩)، والطبراني في الأوسط (٥١٩٩)، والحاكم (٢/ ١٦٠)، وغيرهم، وقال الألباني: "حسن صحيح" (٥٢٦١) المشكاة.

(٣) عَن سَالم بن أبي الْجَعْد، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ! فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول: «أَقِمِ الصَّلَاةَ يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِهَا». أبو داود (٤٩٨٥) واللفظ له، واللفظ أعلاه للطبراني المعجم الكبير(٦٢١٥)، وغيرهم، وصححه الألباني في المشكاة (١٢٥٣)، وفي الجامع الصغير(١٣٨٥١).



احتـفاؤهم بقـيام الليـل

كان تميم الـداري ﵁ إذا قـام مـن الليـل للتهجـد اغتلـف بالغاليـة، واشـترىٰ حلـة بألف كان يصلي فيها [١].

الغالية: نوع من الطيب المخلط.

وعن عبدالعزيز بن أبي رواد: "أن المغيرة بن حكيم الصنعاني ﵀ كـان إذا أراد أن يقوم للتهجد لبس من أحسن ثيابه، وتناول من طيب أهله. وكان من المتهجدين"[٢].

وكان رجل من أهل خرسان متعبدًا، وكان إذا جاء الليل تحزم ولبس ثيابه وخُفيه، فيقول له أهله: "الناس إذا أصبحوا لبسوا ثيابهم وذهبوا إلىٰ أسواقهم، وأنت إنما تلبس بالليل ؟! فيقول لهم: وأنا -أيضـًا - أذهب إلىٰ السوق. قال: فيقوم إلىٰ المحراب"[٣]؛ أي: سوق الآخرة.

وكـان ابـن محيريـز ﵀ إذا قـام إلـىٰ الصـلاة بالليـل دعـا بالغاليـة، فتضـمخ مـا يردع ثيابه[٤].

وقال صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل ﵀: "كان لأبي قلنسوة، قـد خاطهـا بيـده، فيها قطن، فإذا قام الليل لبسها، وكنت أسمع أبي كثيراً يتلو سـورة الكهـف"[٥]. قلـت:

---

(١) مختصر قيام الليل (١١٢)، التهجد وقيام الليل (٣٧٧) .

(٢) حلية الأولياء (٨/ ١٩٥)، التهجد وقيام الليل (٣٧١).

(٣) التهجد وقيام الليل (٢٥٦).

(٤) مختصر قيام الليل (١/ ١١٢).

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٣٨٤).

لعله كان يقرأها ليلة الجمعة؛ اتباعا للسنة.

القلنسوة: قميص وبه غطاء للرأس.

وعن مسعر، حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: "كان لمسروق ستر بينه وبين أهله، فيقبل على صلاته أو عبادته ويخلي بينهم وبين دنياهم"[١]. هكذا كان السلف؛ الناس في شغل، وهم في شغل.

إِذا اشْتغل اللاهون عَنْك بشغلهم ... شُغلت بذكرك يَا مُنْتَهى شغلي[٢]

ستر: أي حاجز بقماش أو غيره.

وعن عمرو بن الأسود: "كان يشتري الحلة بمائتين، ويصبغها بدينار، ويجمرها النهار كله، ويقوم فيها الليل كله"[٣].

وعن الأوزاعي، قال: "كان بلال بن سعد من العبادة على شيء لم يسمع بأحد قوي عليه؛ كان له في كل يوم وليلة اغتسالة"[٤].

وعن حصين بن القاسم الوزان، قال: "لو قسم بث عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم، فإذا أقبل سواد الليل نظرت إليه كأنه فرس رهان مضمر متحزم، ثم يقوم إلى محرابه وكأنه رجل يخاطب"[٥].

وعن محمد بن نافع، قال: "أقبلنا مع هرم بن حيان من خراسان، حتى إذا كنا في بعض الطريق تمثلت ليلة سحر ببيت من الشعر، قال: فرفع هرم علي السوط، فجلدني

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٢٧).
(٢) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٨٥). تم التصرف في البيت، وأصله:
إِذا اشْتغل اللاهون عَنْك بشغلهم ... جعلت اشتغالي فِيك يَا مُنْتَهى شغلي
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ٣٣٥).
(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣٧).
(٥) التهجد وقيام الليل (١/ ١٢٩).

جلدة على الظهر التويت منها، قال لي: أفي هذه الساعة التي ينزل فيها الرحمن ويستجاب فيها الدعاء تتمثل بالشعر؟"[١].

رحمك الله ياهرم، لم ترض أن يتمثل ببيت من الشعر العفيف في هذا الوقت الذي ينزل فيه ربنا ﷻ، كيف لو رأيت حالنا اليوم، ماذا عساك تقول أو تفعل؟! جوالات، وقنوات، وحفلات، وسهر إلى الصباح، إلا من رحم الله ﷻ!!

وقالت آمنة بنت يعلى بن سهيل: "كانت عجردة العمية ﵀ تغشانا، فتظل عندنا اليوم واليومين، فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت، ثم قامت إلى المحراب، فلا تزال تصلي إلى السحر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر، فقلت لها أو قال بعض أهل الدار: لو نمتِ من الليل شيئاً، فبكت وقالت: ذِكرُ الموت لا يدعني أنام!!"[٢].

استمع يامن تغط في سبات، وتقطع الليل في سهرات، ولاتتورع عن المحرمات واقتراف السيئات، استمع إلى هذه الكلمات من هذه المرأة التي أقلقها ذكر الممات والخوف من العقوبات، حتى لم تستطع البيات، وقالت: "ذِكرُ الموت لا يدعني أنام!".

تزوّد من الدّنيا فأنّك راحل ... وبادر فإنّ الموت لا شكّ نازل

نعيمك في الدّنيا غرور وحسرة ... وعيشك في الدّنيا محال وباطل

ألا إنّما الدّنيا كمنزل راكب ... أراح عشيّا وهو في الصبح راحل[٣]

أراح عشيا: أي أستراح وقت العشاء.

وعن مجاهد بن جبر، قال: "كانوا يكرهون أكل الثوم والكراث والبصل من الليل، وكانوا يستحبون أن يمس الرجلُ عند قيامه من الليل طيباً؛ يمسح به شاربه

(١) الزهد للإمام أحمد (١٨٨).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٢٤٦).
(٣) شد الإزار في حط الأوزار لأبو القاسم الشيرازي (١/ ٢٠٩).

وما أقبل من اللحية"[١].

وكـان ابـن مسـعود رضي الله عنه يعجبـه الثيـاب الحسـنة النظيفـة، والـريح الطيبـة، إذا قـام إلىٰ الصلاة[٢].

وفي الحديث عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: «**كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَاءٌ يَعْرِضُ عَلَيْهِ سِوَاكَهُ، فَإِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ خَلَا، وَاسْتَنْجَىٰ، وَاسْتَاكَ، وَتَوَضَّأَ، ثُمَّ تَطَلَّبَ الطِّيبَ فِي رِبَاعِ نِسَائِهِ**»[٣].

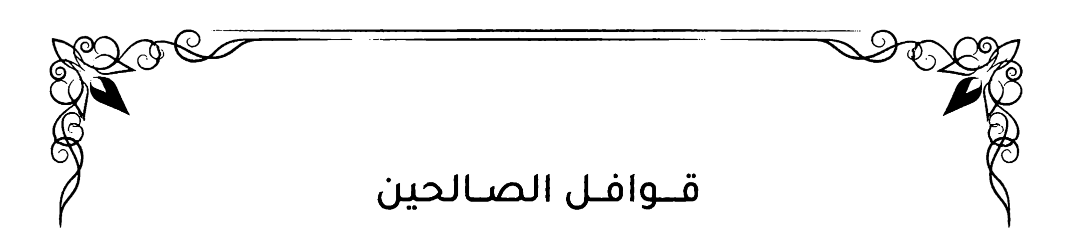
رباع نسائه: بيوتهن.



(١) مختصر قيام الليل (١/ ١١٢)، شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٤٥٢).

(٢) مختصر قيام الليل (١١٢) ، التهجد وقيام الليل (٣٧٧) .

(٣) البزار كما في الكشف (١/ ٣٤١) (٧١٠) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رجاله ثقات" (٣٥٨٢).



قـوافـل الصـالحين

سـارت القافلـة ونـام الغـافلون ومضـى الليـل وعسـكر المحسـنون[(١)]

قال أبو يوسف البزار: "تزوج رياح القيسي امرأة فبنى بها، فلما أصبحت قامت إلى عجينها، فقال: لو نظرت إلى امرأة نكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياح القيسي، ولم أرني تزوجت جباراً عنيداً! فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته، ثم قالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فلم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون وأنت نائم!! ليت شعري من غرني بك يا رياح ؟! وقامت الربع الباقي"[(٢)].

وقال رياح: "اغتممت مرة في شيء من أمر الدنيا، فقالت: أراك تغتم لأمر الدنيا؛ غرني منكم شميط، ثم أخذت هدبة من مقنعتها فقالت: الدنيا أهون علي من هذه"[(٣)].

شميط بن العجلان هو من أمرها أن تتزوج رياح.

هدبة من مقنعتها: أي خيط من خمارها.

عسكر المحسنون: أي قاموا لصلاتهم.

---

(١) من قول العبد الفقير إلى الله.

(٢) صفة الصفوة(٢/ ٢٥٥).

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٢٥٥).

وعن أبي عبد الله البراثي زوج جوهرة العابدة البراثية، قال: "كانت جوهرة تنبهني من الليل، وتقول: يا أبا عبد الله، قد سارت القافلة"[١]؛ أي: قام المتهجدون لصلاتهم.

وكانت إحدىٰ العابدات ﷺ تقول لزوجها: " قم ويحك ! إلىٰ متىٰ تنام؟ قم يا غافل، قم يا بطال، إلىٰ متىٰ أنت في غفلتك؟! أقسمت عليك، ألا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك، ألا تدخل النار من أجلي، بر أمك، صل رحمك، لا تقطعهم فيقطع الله بك"[٢]. هكذا كان السلف ﷺ، يرون أن من لايقوم الليل رجل سوء لاخير فيه.

ويحك: ويلك. **البطال**: السيء.

يا نفس قومي فقد نام الورىٰ إن تصنعي الخير فذو العرش يرىٰ
وأنت يا عين دعي عنك الكرىٰ عند الصباح يحمد القوم السرىٰ[٣]

صدق والله، عند الصباح يحمد القوم السرىٰ، إذا وصلوا إلىٰ الجنات وعاشروا الزوجات ورأوا رب الأرض والسماوات ﷻ.

وكانت عمرة امرأة حبيب العجمي ﷺ تقوم الليل، فتنبهت ليلة وزوجها نائم، فأنبهته في السحر، وقالت له: "قم يا سيدي، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا، ونحن قد بقينا)[٤].

انظر ياعبد الله، وانظري يا أمة الله، إلىٰ هذه المرأة الكيّسة الفطنة، كيف تخاطب زوجها بكل أدب واحترام، وتعاتبه علىٰ عدم القيام وطول المنام! فما أشد غفلتنا،

---

(١) صفة الصفوة، ط ـ دار الحديث (١/ ٥٧٥).
(٢) صفة الصفوة(٢/ ٥٣١).
(٣) لطائف المعارف لابن رجب، ط ـ ابن حزم (٤٦).
(٤) صفة الصفوة(٢/ ٢٤٩).

ومـا أشـد جهلنـا وتفريطنـا!! تسـابق القـوم إلـىٰ جنـة عرضـها السـماوات والأرض، وتسابقنا إلىٰ قطعة أرض، وتسابقوا إلىٰ الدرجات، وتسابقنا إلىٰ المدرجات.

لهونـــا لعمـــر الله حتـــىٰ تـــداركت ... علينـــا ذنـــوب بعـــدهن ذنـــوب
فياليـــت أن الله يغفـــر مامضـــىٰ ... ويـــأذن في توباتنـــا فنتـــوب[١]

زاد قليل: عمل قليل لايبلغك.

وعن محمد بن طلحة بن مصرف رحمه الله، قال: "كان أبي يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل، ويقول: صلوا ولو ركعتين في جوف الليل؛ فإن الصلاة في جوف الليل تحط الأوزار، وهي من أشرف أعمال الصالحين"[٢].

وعن أبي المغيرة النضر بن إسماعيل، قال: "كان في تيم الله شيخ متعبد، قد لصق به فتية متنسكون، قال: كان المسجد مأواه، وكانوا يلزمونه ويأخذون بأدبه، قال: فكان إذا كان الليل نام من أوله هجعة خفيفة، ثم يقوم فيقول: من لقرة العين وخطبة الكواعب الأتراب؟ قال: فيثب أولئك النساك من مضاجعهم، كالليوث تقوم إلىٰ أقرانها، قال: فهم كذلك في تهجد ونحيب ودعاء إلىٰ الفجر، قال: فلم يزالوا علىٰ ذلك حتىٰ ماتوا عليه"[٣].

وكان أحمد ابن الحواري يقول: "واحرماناه! واشؤم خطيئتاه! مضىٰ القوم وبقينا بعد حين قد أمضيناه، فالناس ظفروا بما طلبوا، ولا ندري ما ينزل بنا؟!! فواخطراه! وجعل يبكي"[٤]. رحمك الله يا ابن الحواري، والله كأنك تنظر إلينا وتصف حالنا اليوم!! فنحن الذين مضىٰ القوم وبقينا ولا ندري ماينزل بنا، فنسأل الله عز وجل أن يتوب علينا ويغفر لنا ويرحمنا.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي(٥/ ٤٦١)، والبداية والنهاية (١/ ٢٥٤).
(٢) مختصر قيام الليل للمقريزي (١٠٠).
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ١٧٨).
(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(١٠/ ١٦).

فَكَـــمْ قَـــدْ أَكَلْنَـــا والتَّقِيّـــونَ صُـــوَّمُ وَنُمْنـــا وَهُـــمْ باللَّيْـــلِ يَبْكُـــونَ قُـــوَّمُ
وَلَـــوْ مُفْلِـسٌ يَـدْرِي وَهَـلْ أَيْـنَ خَيَّمُـوْا لَصَـــامَ وَقَـــامَ الليـــلَّ والنـــاسُ نُـــوَّمُ(١)

صدق والله، فلو رأينا الجنات، وما أعد الله ﷻ فيها من القصور العاليات، والأنهار الجاريات، والثمار اليانعات، والزواجات الطاهرات، ورأينا النار، وما أعد الله ﷻ فيها من العذاب الشديد، ومقامع الحديد، وشراب الصديد، وأغلال الحديد، أعاذنا الله من النار ومن عذابها وحرها، ومن خزي يوم القيامة، فلو رأينا ذلك، لما كان هذا حالنا اليوم إلا أن يشاء الله، وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما.

وعن القاسم بن راشد الشيباني، قال: "كان زمعة نازلا عندنا، وكان له أهل وبنات، وكان يقوم فيصلي ليلا طويلا، فإذا كان السحر نادىٰ بأعلىٰ صوت:

يـــا أيهـــا الركـــب المعرســـونا أكـــل هـــذا الليـــل ترقـــدونا
ألا تقومـــون فترحلـــون

قال: فيتواثبون، فيسمع من ههنا باك، ومن ههنا داع، ومن ههنا قارئ، ومن ههنا متوضئ، فإذا طلع الفجر نادىٰ بأعلىٰ صوته: عند الصباح يحمد القوم السري"(٢).

الركب المعرسون: الذين يتوقفون في الطريق للراحة والنوم.

يحمد القوم السري: أي يفرحون ويغبطون بصولهم.

فبـــادر إلـــىٰ الخيـــرات قبـــل فواتهـــا وخـــالف مـــراد الـــنفس قبـــل مماتهـــا
ســـتبكي نفـــوس في القيامـــة حســـرة علـــىٰ فـــوت أوقـــات زمـــان حياتهـــا
فـــلا تغتـــرر بـــالعز والمـــال والمنـــىٰ فكـــم قـــد بلينـــا بـــانقلاب صـــفاتها(٣)

(١) مجموعة القصائد الزهديات للسلمان (١/ ٤٤٦).
(٢) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا، ط ـ الرشد (١٧٠)، والتبصرة (٢/ ٢٩٨).
(٣) مجموعة القصائد الزهديات (١/ ٤٧٦).

فيا عبدالله، يامن تريد لنفسك النجاة والفوز بالجنات، بادر إلىٰ الطاعات، واغتنم الساعات، واحذر الزلات، وتدارك من عمرك ما فات قبل فوات الأوقات، وزوال الساعات، والندم علىٰ ما فات.

وعن الهيثم بن جماز ﷺ، قال: "كانت لي امرأة لا تنام الليل، وكنت لا أصبر معها علىٰ السهر، فكنت إذا نعست ترش علي الماء في أثقل ما أكون من النوم، وتنبهني برجلها، وتقول: أما تستحي من الله؟ إلىٰ كم هذا الغطيط؟ فو الله، إن كنت لأستحي مما تصنع!"[1].

الغطيط: النوم العميق.

وكان ثابت البناني يقوم الليل، فإذا أصبح يأخذ قدميه بيده فيعصرها، ثم يقول: "مضىٰ العابدون وقُطع بي، والهفاه!!"[2].

وكان عبد الرحمن بن زيد ﷺ يوقظ أهله من الليل، ويقول: "يا أهل الدار، انتبهوا؛ فما هذه دار نوم، عن قريب يأكلكم الدود"[3].

تزود من الدنيا فإنك لا تدري — إذا جنَ ليلٌ هل تعيشَ إلىٰ الفجرِ
فكم من صحيحٍ مات من غيرِ علةٍ — وكم من سقيمٍ عاش حينًا من الدهرِ
وكم من صغارٍ يرتجىٰ طولَ عمرِهم — وقد أُدخلت أجسادُهم ظُلمةَ القبرِ
وكم من عروسٍ زينوها لزوجِها — وقد نُسجت أكفانُها وهي لا تدري[4]

وكان بعض الصالحين ينادي بليل علىٰ سور المدينة: "الرحيل، الرحيل"،

(١) تعظيم أمر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي، ت ـ ٢٩٤هـ (٢/ ٨٣٥)، التهجد وقيام الليل، ط ـ الرشد (٢٥٤).
(٢) التهجد وقيام الليل (٢٣٢).
(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٩/ ٤٠٢).
(٤) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب(١/ ١٩٨)، ديوان الشافعي ﷺ.

فلما توفي فقد صوته أمير المدينة، فسأل عنه، فقيل: إنه قد مات فقال:

مــا زال يلهــج بالرحيــل وذِكــره حتــىٰ أنــاخ ببابــه الجمَّــالُ

فأصـــابه مســـتيقظًا متشـــمرا ذا أُهْبـــةٍ لـــم تُلْهِـــهِ الآمـــالُ[1]

وقال السبط: "كـان مكلبـة بـن عبـد الله المستنجدي خازنـا بـدرب دينـار الكبير، وكان صالحا يقوم الليل، سمع الموذن يقول وقت السحر:

يـــا رجـــال اللَّيـــلِ جُـــدُّوا رُبَّ صـــــوتٍ لا يُـــــرَدُّ

مـــا يقـــومُ اللَّيـــل إلا مَـــنْ لـــه عَـــزْمٌ وجِـــدُّ

◈ فبكى مكلبة بكاء شديدًا، وصاحَ بالمؤذِّن: زِدْ، فقال [المؤذن]:

قـــد مضـــىٰ الليـــل وولـــىٰ وحبيبـــا قـــد تجلَّـــىٰ

فصـاح مكلبـة، ومـات!! فـاجتمع جميـع مـن ببغـداد علىٰ بـاب داره، وكـان يومـا عظيما لم يُر ببغداد مِثْلُه، وأُخرجت جنازته، فالسعيد من وصل إلىٰ كفنه، وقُطِّعَ الكفَن قطَعا، ودفن بالوردية"[2].

رحمك الله يامكلبة، من مثلك، ومن يبلغ عملك؟! فقد فلذ قلبك الشوق، وغيرك في غيه يتردد.

وعن بُكير بن عبد الله الأشج، قال: "كان بشر بن سعيد يوقظ أهله بالليل، فيقـول: الصلاة! ثم يقول: إن السفر لا يُقطع إلا بالـدلج، وإن الـدنيا سفرُ نَصَـب، حتىٰ يُفضـي العبد إلىٰ رحمة الله"[3].

الدلج: سواد الليل.

---

(١) التذكرة للقرطبي (٨).

(٢) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان(٢٢/ ١٢٣)، البداية والنهاية(١٣/ ٣٨).

(٣) التهجد وقيام الليل (٢٥٢).

ولما تعلم أبو يزيد البسطامي وهو صغير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل: ١-٢]، قال لأبيه: "يا أبتِ، مَن الذي يقول الله تعالىٰ له هذا؟ قال: يا بني، ذلك النبي ﷺ. قال: يا أبت، مالك لا تصنع أنت كما صنع النبي ﷺ؟ قال: يا بني، إن الله تعالىٰ خص نبيه ﷺ بافتراض قيام الليل دون أمته، فسكت عنه.

فلما حفظ قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل:٢٠]، قال: يا أبتِ، إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون من الليل، فمن هذه الطائفة؟ قال له أبوه: أولئك هم الصحابة ﵃، قال: فلِمَ تترك ما فعله الصحابة؟ قال: صدقت يا بني، لا أترك إن شاء الله تعالىٰ، فكان يقوم من الليل ويصلي".

واستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلي، فقال: "علمني كيف أتطهر وأفعل مثل فعلك وأصلي معك، فقال له أبوه: يا بني، ارقد فإنك صغير بعد، قال: يا أبتِ، إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، أقول لربي: إني قلت لأبي: كيف أتطهر لأصلي معك فأبىٰ، وقال لي: ارقد فإنك صغير بعد؟ قال أبوه: لا والله يا بني، وعلمه، فكان يصلي معه"[١].

وعن أسود بن سالم، أن داود الطائي، كان يقول: "سبقني العابدون وقُطع بي، والهفاه!!"[٢]. وكان ﵀ قد اشتغل بطلب العلم، ثم انقطع للعبادة وزهد وأغلق عليه باب بيته. قال عنه محارب بن دثار: "لو كان داود الطائي في الأمم الماضية؛ لقص الله علينا من خبره"[٣]. قلت: الله أعلم.

(١) شذا الرياحين من أخبار الصالحين (١٨٤)، وعزاه إلىٰ أنباء نجباء الأبناء: (١٩٩).

(٢) حلية الأولياء(٧/ ٣٣٦).

(٣) الأعلام للزركلي (٢/ ٣٣٥).

◊ قال عنه ابن المبارك:

أَلا اِقتَدَيتُم بِسُفيانَ وَمِسعَرِكُم وَبِابِنِ مَغولٍ إِذ يَجمَعُهُمُ الوَرَعُ
وَبِالتَقِيِّ أَخي طَيءٍ فَرابِعُهم زَينُ البِلادِ جَميعًا خَيرُةُ فَرِعُ
مِثلُ الفِراخِ تَراهُم في تَهَجُّدِهِم سُهدُ العُيونِ فَلا غُمضٌ وَلا هَجَعُ[(١)]

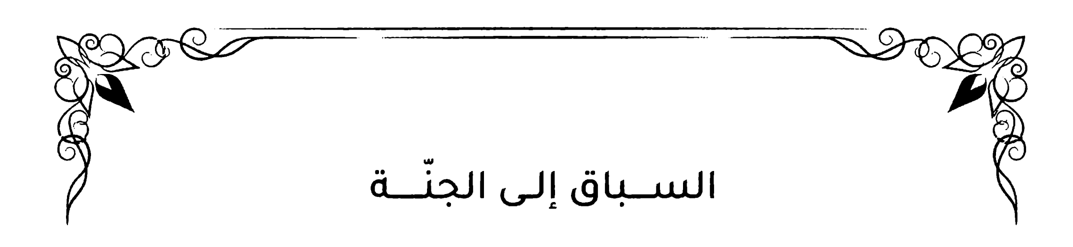
وعن محمد بن الحسن، قال: "كان علي بن الفضيل يصلّي حتىٰ يزحف إلىٰ فراشه، ثم يلتفت إلىٰ أبيه فيقول: يا أبت، سبقني العابدون"[(٢)].

وعن زيد بن أسلم، عن أبيه: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلي من الليل ما شاء الله أن يصلي، حتىٰ إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة، يقول لهم: " الصلاة، الصلاة، ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]"[(٣)].

تَزَوَّدْ مِن معاشك للمعاد وقُمْ لله واعْمَلْ خيرَ زاد
ولا تجمع من الدُّنيا كثيرًا فإنَّ المالَ يُجمعُ للنَّفادِ
أَتَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ لَهُمْ زادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادِ[(٤)]



(١) ديوان ابن المبارك.
(٢) صفة الصفوة(١/ ٣٣٤)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان(١٣/ ٥٠).
(٣) مختصر قيام الليل للمقريزي (١٠٠).
(٤) التذكرة للإمام القرطبي (٣٦٠)، مجموع القصائد الزهدية (٢/ ١٥٤).



السـباق إلى الجنّـة

أَيُّهَـــا الرَّاقِـــدُ كَـــمْ هَـــذَا الْكَـــرَىٰ ... إِنَّ أَهْـــلَ اللهِ جَـــدُّوا فِي السُّـــرَىٰ

طَلَّقُـــوا الـــدُّنْيَا وَمَـــرُّوا زُمَـــرَا ... أَفَتَرْضَـــىٰ أَنْـــتَ أَنْ تَبْقَـــىٰ وَرَىٰ[١]

قال خالد الوراق: "كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يوما فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل، فبكت، ثم قالت: ياخالد، إني لأؤمل من الله تعالىٰ آمالا، لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أن في كرم الله مستغاثا لكل مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر، إذا بعثر ما في القبور وركب الأبرار نجائب الأعمال، فاستبقوا إلىٰ الصراط! وعزة سيدي، لا يسبق مقصر مجتهدا أبدًا، ولو حبا المجد حبوًا!! أم كيف لي بموت الحزن والكمد، إذا رأيت القوم يتراكضون، وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلىٰ الله المحبون، وخلفت المسيئين المذنبين؟ ثم بكت وقالت: يا خالد، انظر لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالأعمال، فإنه ليس بين الدارين دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة، فويل لمن قصر عن خدمة سيدة ومعه الآمال، فهلا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطال!!"[٢].

لله درها، ما أحسن كلامها، وأتم عقلها، وأصدق لهجتها!! وعزة سيدي، لا يسبق مقصر مجتهد، ولو حبا المجد حبوًا، قال تعالىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا

---

(١) مجموع القصائد الزهدية (٢/ ٣٦٣).

(٢) صفه الصفوة (٢/ ٢٥٧).

﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى وأبصرت بعد الموت من قد تزود
ندمت على أن لا تكون كمثله وأرصدت قبل الموت ماكان أرصد[(١)]

لو حبا المجد حبوا: لوكان من أبناء المجد وأهله.

يتراكضون: يسرعون. **يقطعك:** يمنعك.

الخدام: تريد العباد.

وقال رجاء بن مسلم العبدي: "كنا مع عجرد العمية في الدار، فكانت تحيي الليل صلاة، وقال: ربما تقوم من أول الليل إلى السحر، فإذا كان السحر نادت بصوت محزون: إليك قطع العابدون دجى الليالي، بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي، لا بغيرك، أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، ياكريم. قال: ثم تخر ساجدة، نسمع وجبة سقطتها، فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر، وكان ذلك دأبها ثلاثين سنة رحمها الله"[(٢)].

إنْ لِلَّهِ عِبَادًا فُطُنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتَنَا
نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا علموا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا
جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا[(٣)]

لُجة: قال في المعجم: "جمع لجِاج ولُج ولُجَج: ماء كثير تصطخب أمواجه".

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٣١٨)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (٢/ ٥٠٧)، وهي لسابق البربري، دخل على عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، فقال: عظني، فقال له هاذين البيتين ،فبكى عمر حتى سقط مغشيا عليه رحمه الله .

(٢) مختصر قيام الليل (١/ ٩٩).

(٣) رياض الصالحين للإمام النووي ـ ط ـ الرسالة (٢٧).

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النمل:٤٤].

وكانت زجلة العابدة مولاة معاوية ﵁، تقوم الليل وتصوم النهار، فنصحها بعض القراء في الرفق بنفسها، فقالت: "مالي وللرفق بها؟ فإنها هي أيام مبادرة؛ فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدًا! والله يا إخوتاه، لأصلين ما أقلتني جوارحي، ولأصومن له أيام حياتي، ولأبكين له ما حملت الماء في عيناي، ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟"[١].

صدقت والله، فإنها أيام مبادرة وستذهب سريعًا ولن تعود، فهنيئًا لمن وفقه الله ﷻ لقيامها وصيامها واغتنامها.

جدوا فإن الأمر جد	وله أعدوا واستعدوا
لا تغفلن فإنما	آجالكم نفس يعد
ضيعت ما لا بدلي	منه بمالي منه بد
ما نحن فيه متاع أيام	يعار ويسترد
هون عليك فليس كل	الناس يعطىٰ ما يود
وتوق نفسك في هواك	فإنها لك فيه ضد
من كان متبعا هواه	فإنه لهواه عبد[٢]

وعن الحكم بن سنان الباهلي، قال: "حدثتني امرأة كانت تخدم معاذة العدوية، قالت: كانت تحيي الليل صلاة، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي، تقول: يا نفس، النوم أمامك، لو قدمت لطالت رقدتك في القبر علىٰ حسرة أو سرور، قالت: فهي كذلك حتىٰ تصبح"[٣]. قلت: قد قال هذا الكثير من السلف، وبلغ الأمر،

---

(١) شد الإزار في حط الأوزار (١/ ١٦٧).

(٢) التبصرة لبن الجوزي (١/ ٢٧١)، أبيات منتخبه من قصيدة طويلة.

(٣) حلية الأولياء (٥/ ١١٣).

ولكن ساق الهمة ضعيف، وشكوانا إلىٰ الله الخبير اللطيف.

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات

إن في القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات[١]

ومن كلام عمر بن ذر: " كم من قائم في هذا الليل قد اغتبط بقيامه في ظلمة حفرته، وكم من نائم في هذا الليل قد ندم علىٰ طول نومته، عندما يرىٰ من كرامة الله للعابدين غدا، فاغتنموا ممر الساعات والليالي والأيام، رحمكم الله"[٢].

فاغتنم فضل وقت في اكتساب الحسنات

في ركوع وسجود قبل أن يأتي الممات[٣]

وفي الأثر: "قالت أم سليمان بن داود عليهما السلام لسليمان: يا بني، لا تكثر النوم بالليل؛ فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة"[٤].

صدقت والله، فإن فقير الدنيا من ليس له مال، وفقير الآخرة من ليس له عمل.

وقال محمد بن عبد العزيز بن سليمان: حدثتني أمي، قالت: قال أبوك: "ما للعابدين وما للنوم؟ لا نوم والله، في دار الدنيا إلا نوم غالب، قال: فكان والله، لا يكاد ينام إلا مغلوبًا"[٥].

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه، إذا تهجد من الليل قال: "اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف،

---

(١) إحياء علوم الدين(١/ ٣٥٧).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ١٠٩)، تاريخ دمشق لابن عساكر(٤٥/ ٢٤).

(٣) من قول العبد الفقير إلىٰ الله.

(٤) رواه ابن ماجه (١٣٣٢)، وقال الألباني في تعليقه عليه: "ضعيف"، وكذا قال في الترغيب والترهيب: "ضعيف" برقم (٣٧٧)

(٥) صفة الصفوة (٢/ ٢٢٤)، التهجد وقيام الليل (٢٠٥).

اللهم اجعل لي عندك هدىٰ ترده إلي يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد"[١].

فياعبدالله، احذر أن تغرك الدنيا وتلهيك، ويشغلك المال ويطغيك، ويصدك الهوىٰ ويرديك، ويسحبك الصاحب ويغويك؛ حتىٰ تقصر فيما يعنيك، وتتهاون فيما ينجيك؛ فترد علىٰ مالا يرضيك؛ فإن الجنة غالية، والدنيا بالية، ومالها من تالية!!

لا تَأْسَــفَنَّ عَلَــىٰ الــدُّنْيَا وَمَــا فِيهَــا ... فَــالْمَوْتُ لا شَــكَّ يَفْنِينَــا وَيَفْنِيهــا

وَمَــنْ يَكُــنْ هَمَّــهُ الــدُّنْيا لِيَجْمَعَهَــا ... فَسَــوْفَ يَوْمًــا عَلَــىٰ رَغْــمٍ يُخَلِّيهَــا

لا تَشْـبَعُ الــنَّفْس مِــنْ دُنْيَــا تُجَمِّعُهَــا ... وَبُلْغَــةٌ مِــنْ قَــوَامِ الْعَــيْشِ تَكْفِيهَــا

اعْمَــلْ لِــدَارِالْبَقَا رِضْــوَانُ خَازِنُهــا ... الْجَــارُ أَحْمَــدُ وَالــرَّحْمَنُ بَانِيهَــا

أَرْضٌ لَهَــا ذَهَــبٌ وَالْمِسْــكُ طِينَتُهــا ... وَالزَّعْفَــرَان حَشِــيشٌ نَابِــتٌ فِيهَــا

أَنْهَارُهَــا لَــبَنٌ مَحْــضٌ وَمِــنْ عَسَــلٍ ... وَالْخَمْــرُ يَجْــرِي رَحِيقًــا فِــي مَجَارِيهَــا

وَالطَّيْــرُ تَجْــرِي عَلَــىٰ الأَغْصَــانِ عَاكِفَــةً ... تُسَــبِّحُ اللهَ جَهْــرًا فِــي مَغَانِيهَــا

مَــنْ يَشْــتَرِي قُبَّــةً فِــي الْعَــدْنِ عَالِيَــةً ... فِــي ظِــلِّ طُــوبَىٰ رَفِيعَــاتٌ مَبَانِيهَــا

دَلالُهَــا الْمُصْــطَفَىٰ وَاللهُ بَائِعُهَــا ... وَجِبْرَئِيــلُ يُنَــادِي فِــي نَوَاحِيهَــا

مَــنْ يَشْــتَرِي الــدَّارَفِي الْفِــرْدَوْسَ يَعْمُرُهَــا ... بِرَكْعَــةٍ فِــي ظَــلامِ اللَّيْــلِ يُخْفِيهَــا

أَوْ سَــدَّ جَوْعَــةِ مِسْــكِينٍ بِشَــبْعَتِهِ ... فِــي يَــوْمِ مَسْــغَبَة عَــمّ الغَــلا فِيهَــا

الــنَّفْسُ تَبكــي علــىٰ الــدُّنْيَا وَقَــدْ عَلِمَــتْ ... أَنَّ السَّــلامَةَ مِنْهَــا تَــرْكُ مَــا فِيهَــا[٢]



(١) المعجم الكبير للطبراني برقم(٤٨).

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ٢٧٨)، قطعة من قصيدة طويلة لإبراهيم الصولي رحمه الله.





ذكـر النار وخوفهم منهـا

أَطَـارَ الخَـوْفُ نَـوْمَهُمُ فَقَـامُوْا وَأَهْـلُ الأَمْـنِ فِي الـدُّنْيَا هُجُـوْعُ
لَهُـمْ تَحْـتَ الظَّـلاَمِ وَهُـمْ سُـجُوْدٌ أَنِـيْنٌ مِنْـهُ تَنْفَـرِجُ الضُّـلُوْعُ[1]

عن أُسد بن وداعة قال: "كان شداد بن أوس رضي الله عنه، إذا دخل فراشه كان في فراشه بمنزلة القمحة في المقلىٰ علىٰ النار، وكان يقول: اللهم إن النار منعت مني النوم، فيقوم إلىٰ الصلاة فيصلي حتىٰ يصبح"[2].

وكان أسيد رضي الله عنه، إذا أوىٰ إلىٰ فراشه يتقلب كالحبة علىٰ المقلىٰ، ويقول: "إنك لين، وفراش ألين منك [أي في الجنة]، ولا يزال راكعًا وساجدًا إلىٰ الصباح"[3].

وعن أحمد بن أبي الحواري، سمعت أبا سليمان قال: "كان طاوس يفرش فراشه ثم يضطجع، فيتقلىٰ كما تتقلىٰ الحبة علىٰ المقلىٰ، ثم يثب فيدرجه، ويستقبل القبلة حتىٰ الصباح، ويقول: طيّر ذكر جهنم نوم العابدين"[4].

وحُكي: "أن غلامًا بالبصرة اسمه صهيب، كان يقوم الليل كله، فقالت له سيدته: إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار، فقال: إن صهيبًا إذا ذكر النار لا يأتيه النوم"[5].

وعن مالك بن دينار، قال: "قالت ابنة الربيع بن خيثم: يا أبت، مالك لا تنام

---

(١) مجموع القصائد الزهديات للسلمان(١/ ٤٨٤)، ديوان ابن المبارك.
(٢) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا(١/ ٧٣)، مصنف ابن أبي شيبه(٨/ ٣٠٦).
(٣) الزهر الفائح لابن الجوزي(٢٠).
(٤) مختصر قيام الليل (٦٦)، صفة الصفوة (١/ ٤٥٤)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان(١٠/ ٤٣٨).
(٥) إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٧).

والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك ينام"(١).

ذَابَتْ قلوبهم خوف الْعَذَاب غَدا وَقَطعُوا اللَّيْل تسبيحا وقرآنا(٢)

صدق والله، فقد قطعوا الليل أجزاءً؛ فجزء يدعون، وجزء يبكون، وجزء يسبحون، وجزء يستغفرون، فما تراهم إلا قائمين راكعين ساجدين، أمانحن فقد قطعنا الليل في لعب ولهو ونوم، إلا من رحم الله ﷻ، وقليل ماهم.

أراني بَعِيدَ الدَّارِ لا أَقْرُبِ الحِمَىٰ وَقَد نُصِبَتْ لِلسَّاهِرِينَ خِيَامُ

عَلامَةُ بعدي طُولَ لَيْلِيَ نَائِمٌ وَغَيْرِي يَرَىٰ أَنَّ المَنَامَ حَرَامُ(٣)

وكان عامر رحمه الله، إذا جاء الليل قال: "أذهب حر النار النوم، فما ينام حتىٰ يصبح، وإذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم، فما ينام حتىٰ يمسي، فإذا جاء الليل قال: من خاف أدلج، ويقول عند الصباح: يحمد القوم السُرىٰ"(٤).

أدلج: الدلج سواد الليل، والمعنىٰ: سار ليلا.

وعن المغيرة بن حبيب، ختن مالك بن دينار[زوج ابنته]، يقول: "قلت لنفسي: يموت مالك وأنا معه في الدار، لا أعلم ما عمله، قال: فصليت معه العشاء الآخرة، ثم مضيت ثم جئت، فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل، وجاء مالك فدخل فقرب رغيفه فأكل، ثم قام إلىٰ الصلاة فاستفتح، ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك علىٰ النار، قال: فوالله، ما زال كذلك حتىٰ غلبتني عيني [أي علىٰ النوم]، قال: ثم انتبهت، فإذا هو علىٰ تلك الحال يقدم رجلا

(١) حلية الأولياء(٢/ ١١٤).

(٢) بستان الواعظين لابن الجوزي (٢٧٦). تم التصرف في البيت، وأصله:

ذَابَتْ لحومهم خوف الْعَذَاب غَدا وَقَطعُوا اللَّيْل تسبيحا وقرآنا

(٣) معارف الإنعام وفضل الشهور والأيام لابن عبدالهادي الصالحي الحنبلي رحمه الله (٢١١).

(٤) مختصر قيام الليل ١/ ٦٢).

ويؤخر أخرىٰ، ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك علىٰ النار، قال: فوالله، ما زال كذلك حتىٰ طلع الفجر، قال: فقلت لنفسي: والله، لئن خرج مالك فرآني لأقلقن باله أبدا، قال: فجئت إلىٰ المنزل وتركته"(١).

وكان يزيد الرقاشي ﷺ، كثير البكاء، قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: "قلت ليزيد الرقاشي: مالي أرىٰ عينك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قال: عسىٰ الله أن ينفعني به، قال: يا أخي، إن الله توعدني أن عصيته أن يسجنني في النار! والله، لو لم يتوعدني أن يسجنني إلا في الحمام، لكنت حريا أن لا تجف لي عين!! وكان يقول لنفسه: ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضىٰ ربك عنك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس، ألا تبكون وتنوحون علىٰ أنفسكم باقي حياتكم!! مَن الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر، كيف يكون حاله؟ ثم يبكي ﷺ!!"(٢).

صدق والله، فمن سيصلي عن الإنسان بعد موته، إذا هو لم يصل عن نفسه؟! ومن يصوم عنه ويتصدق عنه، ومن يدعو له ويستغفر له، إذا هو نسي نفسه؟! والعياذ بالله، نسأل الله السلامة والعافية.

ألا يــا عــين ويحــك أســعديني بطــول الــدمع في ظلــم الليــالي
لعلــك في القيامــة أن تفــوزي بخيــر الــدهر في تلــك العلالــي(٣)

وعن مطرف بن أبي بكر الهذلي، عن رجل من أهل البصرة، قال: "تعبد رجل من بني تميم، فكان يحيي الليل صلاة، فقالت له أمه: يا بني، لو نمت من الليل شيئا! فقال: ما شئت يا أمة؛ إن شئت نمت اليوم ولم أنم غدا في الآخرة؛ وإن شئت لم أنم اليوم

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٤٧).
(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٢/ ٩٣)، التذكرة للقرطبي (١٢٥).
(٣) صفة الصفوة (٢/ ٢٦٧).

لعلي أدرك اليوم غدا في الآخرة مع المستريحين من عسر الحساب، قالت: يا بني والله، ما أريد لك إلا الراحة؛ فراحة الآخرة أحب إلي لك من راحة الدنيا، فدونك يا بني، فحالف السهر أيام الحياة؛ لعلك تنجو من عسر ذلك اليوم، وما أراك ناجيا، قال: فصرخ الفتىٰ صرخة، فسقط بين يديها ميتا، فاجتمعت عندها رجالات من بني تميم يعزونها، قالت: وهي تقول: وابنياه، قتيل يوم القيامة! وابنياه، قتيل يوم الآخرة! قال: وكانوا يقولون إنها كانت أفضل من ابنها"[(١)].

قُمِ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ ... إِلَىٰ كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعُمْرُ يَنْفَدُ

أَرَاكَ بِطُولِ اللَّيْلِ وَيْحَكَ نَائِمُ ... وَغَيْرُكَ فِي مِحْرَابِهِ يَتَهَجَّدُ

وَلَوْ عَلِمَ الْبَطَّالُ مَا نَالَ عابدا ... مِنَ الأَجْرِ وَالإِحْسَانِ مَا كَانَ يَرْقُدُ

أَتَرْقُدُ يَا مَغْرُورُ وَالنَّارُ تُوقَدُ ... فَلا حَرُّهَا يَطْفَىٰ وَلا الْجَمْرُ يَخْمدُ[(٢)]

بكىٰ ثابت البناني رحمه الله، حتىٰ اشتكىٰ عينه، فقال له الطبيب: اضمن لي خصلة تبرأ عينك، قال: وماهي؟ قال: لا تبك، قال: وما خير في عين لا تبكي؟![(٣)].

صدق والله، ماخير في عين لاتبكي؟! ودمعة واحدة تنجيك من النار ومن عذاب الله عز وجل. عن أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، رَفَعَهُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لا يَلِجُ النَّارَ أَحَدٌ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ عز وجل، حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل، وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مِنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا**»[(٤)].

---

(١) التهجد وقيام الليل (٢٢٠).

(٢) مجموع القصائد الزهدية(١/ ٤٤٦).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٢٣)، الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (١٥٥)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١١/ ٧٧).

(٤) أحمد(١٠٥٦٠)، والترمذي(١٦٣٣)، وقال: "حديث حسن صحيح"، والحاكم(٧٦٦٧)، واللفظ له وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، ورواه النسائي(٣١٠٨) وفي الكبرىٰ(٤٣٠١)، وأبو داود الطيالسي(٢٥٦٥)، وصححه الألباني لغيره(٣٣٤٢) الترغيب والترهيب.

وعن إبراهيم بن مسلم القرشي، قال: "كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر، تكون نهارها صائمة، فإذا جنها الليل تنادي بصوت حزين: هدأ الليل واختلط الظلام، وأوىٰ كل حبيب إلىٰ حبيبه، وخلوتي بك أيها المحبوب المطلوب أن تعتقني من النار"[١].

وقال الحسن: "ابن آدم، عن نفسك فكايس؛ فإنك إن دخلت النار لم تنجبر بعدها أبدا"[٢]. صدق والله، فإن خسارة الآخرة ليس لها عوض، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥].

ليس السعيدُ الذي دُنياه تُسعِدُهُ ... إن السَّعِيدَ الذي يَنْجُوَ مِن النارِ[٣]

وعن نعيم بن مورع التميمي، قال: "حُدثت عن ميسرة القيسي، أنه كان يبكي حتىٰ يغمىٰ عليه، فيقال له: لو رفقت بنفسك؟ فيقول: إنما أُتيت من الرفق بها! والله، لا أرفق بها أبدا والقيامة أمامها، حتىٰ أعلم ما لها عند ربها من خير وشر، قال: وكان قد عمش من طول البكاء"[٤].

زادي قليل ما أراه مبلغي ... فللزاد أبكي أم لبعد مسافتي

أتحرقني بالنار يا غاية المنىٰ ... وأنت رجائي وفيك مخافتي[٥]

إنما أُتيت من الرفق بها: أي حصل التقصير والتفريط من أجل طلب الراحة والرفق.

وقال عطوان بن عمرو التميمي وكان شيخا طويلا مؤذنا هاهنا عابدا، قال قبيصة:

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٠٩)، شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣٢).
(٢) الزهد لابن المبارك(١/ ٥٤٥).
(٣) التبصرة لابن الحوزي (٢/ ٤٨).
(٤) الرقة والبكاء (١٨٤).
(٥) صفة الصفوة (٢/ ٤٢٢). تم التصرف في البيت الثاني، وأصله:

أتحرقني بالنار يا غاية المنىٰ ... فأين رجائي فيك أين مخافتي؟

قد أدركته وأنا صبي، قال: "إني لأبيت ليلي ساهرا متفكرا في أمر الناس وغفلتهم عما يردون عليه من القيامة ومن الأهوال والأفزاع، ثم إلىٰ أين يكون منصرفهم من بين يدي الله ﷻ"[١].

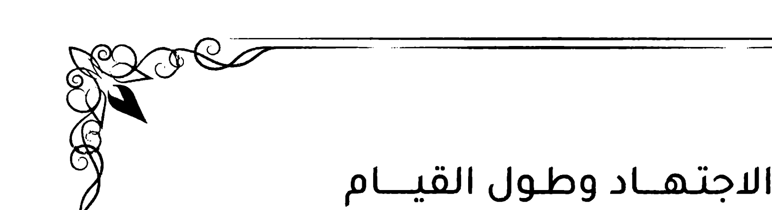
انظر يا عبدالله، إلىٰ هذا التابعي الذي أرقه ذكر القيامة، وما يكون في عرصاتها من الأهوال والأمور العظيمة في ذلك اليوم العصيب، الذي يجمع الله ﷻ فيه الأولين والآخرين، ويحاسبهم علىٰ أعمالهم ويجازي كلا بعمله.

مثل لنفسك أيها المغرور	يوم القامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدنيت	فوق الرؤوس علىٰ العباد تدور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها	ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الوحوش لدىٰ القيامة أحشرت	وتقول للأملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا	وعجائبا قد أحضرت وأمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت	وتهتكت للمشركين ستور
وإذا الجحيم سعرت نيرانها	ولها علىٰ أهل الذنوب زفير
وإذا الجنين بأمه متعلق	يخشىٰ القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية	كيف المصر علىٰ الذنوب دهور[٢]



(١) التهجد وقيام الليل (٢٥٠).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢٤٠) مجموعة القصائد الزهديه (١/ ٤٨١).

الاجتهاد وطول القيام

يا رِجَالَ اللَّيْلِ جِدُّوا   رُبَّ صَوْتٍ لا يُرَدُّ
لا يَقُومُ اللَّيْلَ إلا   مَنْ لَهُ عَزْمٌ وَجِدُّ
لَيْسَ شَيْءٌ كَصَلاةِ   اللَّيْلِ لِلقَبْرِ يُعَدُّ[١]

قال ابن عيينة رحمه الله: "سمعت عبد الكريم يقول: كان طلق لا يركع إذا افتتح سورة البقرة، حتىٰ يبلغ العنكبوت، وكان يقول: أشتهي أن أقوم حتىٰ يشتكي صلبي"[٢]. قلت: من البقرة إلىٰ العنكبوت عشرون جزءاً.

وقال أبو قطن: "ما رأيت شعبة ركع قط، إلا ظننت أنه قد نسي، ولا قعد بين السجدتين، إلا ظننته أنه قد نسي"[٣]. أي لطول ركوعه وسجوده.

وعن عبد الله بن داود الخريبي، يقول: "كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوىٰ فراشه، وكان بعضهم يُحيي الليل، فإذا نظر إلىٰ الفجر قال: عند الصباح يحمد القومُ السُرىٰ"[٤].

وعن منصور، عن هلال بن يساف، قال: "كان الرجل من أهل المدينة، إذا بلغ أربعين سنة تفرغ للعبادة"[٥].

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب (٤٣)، معارف الإنعام وفضل الشهور والأيام لابن عبدالهادي الحنبلي (١٢٥).
(٢) حليه الأولياء (٣/ ٦٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٢)، التهجد وقيام الليل (٢٤٥).
(٣) حليه الأولياء (١٤٥٧)، صفه الصفوة (٤٨٦).
(٤) المجالسة وجواهر العلم (٢٤).
(٥) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٣٥٦).

وكان كرز ﷺ، يطيل القيام والركوع والسجود، وكان له عود يتكئ عليه إذا نعس، عـن ابـن فضيل، عـن أبيـه، قـال: "إن كـرزا كـان لـه عـود عنـد المحـراب، يعتمـد عليـه إذا نعس"(١).

وعن أبي سليمان المكتب، قال: "صحبت كرزا إلىٰ مكة، فكان إذا نزل أخرج ثيابه فألقاها في الرحل، ثم تنحىٰ للصلاة، فإذا سمع رغاء الإبل أقبل، فاحتبس يوما عن الوقت، فانبث أصحابه في طلبه، فكنت فيمن طلبه، قال: فأصبته في وهدة يصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فلما رآني أقبل نحوي، فقال: يا أبا سليمان، لي إليك حاجة، قال: قلت: وما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قال: أحب أن تكتم ما رأيت، قال: قلت: ذلك لك يا أبا عبد الله، فقال: أوثق لي، فحلفت ألا أخبر به أحدا حتىٰ يموت"(٢).

◈ **هذا كرز، وما أدراك ما كرز؟!**

لَـوْ شِـئْتَ كُنْـتَ كَكُـرْزٍ فِـي تَعَبُّـدِهِ ... أَوْ كَـابْنِ طَـارِقَ حَـوْلَ الْبَيْـتِ فِـي الْحَـرَمِ

قَـدْ حَـالَ دُونَ لَذِيـذِ الْعَـيْشِ خَوْفُهُمَـا ... وَسَـارَعَا فِـي طِـلَابِ الْفَـوْزِ وَالْكَـرَمِ(٣)

حال دون لذيذ العيش: أي منعهما خوفهما من الله ﷻ، من الانغماس في نعيم الدنيا وشهواتها.

وعن أبي عبيدة ،قال عن بقي بن مخلدَ: "كان بقيّ يختم القرآن كلّ ليلةٍ في ثلاث عشرة ركعة، وكان يصلي بالنهار مائة ركعة، ويصوم الدَّهر، وكان كثير الجهاد فاضلًا"(٤).

---

(١) التهجد وقيام الليل (٢٣٧).

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٨٠).

(٣) حلية الأولياء (٥/ ٨١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٦،٨٤).

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي(٢٠/ ٢٢٠).

وعن عطاء بن السائب، قال عن مرة بن شراحيل: "كان يصلي مرة كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما ثقل وبدن صلىٰ أربعمائة ركعة، وكنت تنظر إلىٰ مباركه كأنها مبارك الإبل"(١). وكان يُسمىٰ: مرة الطيب؛ لكثرة عبادته رحمه الله.

وعن عبد الله بن أبي زينب، قال: "قالت لي أمي: يا بني، ما توسد أبوك فراشا منذ أربعين سنة في بيتي، قلت: أما كان ينام ؟ قالت: بلىٰ، هجعة خفيفة وهو قاعد قبل الفجر".

وكانت أم الربيع بن خثيم رحمه الله، تناديه: "يا بني، يا ربيع، ألا تنام؟ فيقول: يا أمه، من جن عليه الليل وهو يخاف البيات، حُق له ألا ينام!! ولما رأت ما يلقىٰ الربيع من البكاء والسهر، نادته فقالت: يا بني، لعلك قتلت قتيلا؟ فقال: نعم، يا والدة، قد قتلت قتيلا، قالت: ومن هذا القتيل يا بني ؟ حتىٰ نتحمل علىٰ أهله فيعفوك! والله، لو يعلموا ما تلقىٰ من البكاء والسهر بعد لقد رحموك، فيقول: يا والدتي، هي نفسي"(٢).

وعن مولىٰ لعبد الله بن حنظلة يقال له سعد، قال: "لم يكن لعبد الله بن حنظلة فراش ينام عليه، إنما كان يلقي نفسه هكذا، إذا أعيا من الصلاة توسد رداءه وذراعه يهجع شيئا"(٣).

وكان الفضيل يلقىٰ له حصير بالليل في مسجد فيصلي، ويغلبه النوم فينام ساعة، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي، فيغلبه النوم، فيتوضأ ويصلي، فلا يزال كذلك حتىٰ يصبح، وكان يختم القرآن في كل ليلة(٤).

وكان زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، من أزهد الناس

(١) حلية الأولياء (٤/ ١٦١).
(٢) الزهد للإمام أحمد (٤٥٩).
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ٧٩).
(٤) مرآة الزمان (١٣/ ١٠٧).

وأعبدهم، وسمّي زين العابدين لفرط عبادته، وكان يسمىٰ ذا النفثات، قال مالك: "بلغني: أن عليّ بن الحسين كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة إلىٰ أن مات"(١).

وقد مضت هذه السنة في آل بيت النبي ﷺ، قال ابن المبارك: "كان علي بن عبد الله بن عباس، يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة"(٢)، وكان يسمىٰ بالسجاد لكثرة صلاته.

وقال مصعب الزبيري: سمعت رجلا من أهل العلم يقول: "إنما كان سبب عبادته: أنه رأىٰ عبد الرحمن بن أبان بن عثمان رضي الله عنه وعبادته، فقال: لأنا أولىٰ بهذا منه وأقرب إلىٰ رسول الله ﷺ رحما، فتجرد للعبادة"، وقال ضمرة بن ربيعة: حدثني علي بن أبي حملة، قال: "كان علي بن عبد الله يسجد كل يوم ألف سجدة"، وقال ميمون بن زياد العدوي، عن أبي سنان: "كان علي بن عبد الله معنا بالشام، وكان يخضب بالوسمة، وكان يصلي كل يوم ألف ركعة"(٣).

وروي عن الباقر ثلاثمائة ركعة، وكان هارون الرشيد يصلي كل يوم مائة ركعة(٤).

النفثات: هو ما يكون في الجبين والركب، من أثر السجود.

وكان الإمام حمزة الزيات رحمه الله ،يقوم الليل ويصوم النهار، قال عبيدالله بن موسىٰ: "كان حمزة يُقرئ القرآن حتىٰ يتفرق الناس، ثم ينهض فيصلي أربع ركعات، ثم يصلي ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء، وحدثني بعض جيرانه: أنه لا ينام الليل، وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن". رواه محمد بن علي بن عفان عنه (٥).

---

(١) شذرات الذهب (١/ ٣٧٤).
(٢) فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٨).
(٣) تهذيب التهذيب، ط ـ الفكر (٧/ ٣١٢).
(٤) تاريخ الخلفاء(٢٤٩).
(٥) معرفة القراء الكبار(١/ ١١٥).

وقال الواقدي: "كان ابن أبي ذئب يصلي الليل أجمع، ويجتهد في العبادة؛ فلو قيل له: إن القيامة تقوم غدا، ما كان فيه مزيداً من الاجتهاد!! وقال أخوه: أنه كان يصوم يوما ويفطر يومـًا ثم سرده، وكان شديد الحال؛ يتعشىٰ بالخبز والزيت"(١).

سرد الصوم: أي صام بلا انقطاع.

وكان سلمة بن كهيل من القائمين الصائمين، قال عنه طلحة بن مصرف: "ما اجتمعنا في مكان، إلا غلبنا هذا القصير علىٰ أمرنا[يعني: سلمة بن كهيل]"، وكان ﷺ من أوعية العلم، قال عنه سفيان: "حدثنا سلمة بن كهيل، وكان ركنا من الأركان، وشد قبضته"، وقال عنه عبد الرحمن بن مهدي: "لم يكن بالكوفة أثبت من أربعة: منصور، وأبي حصين، وسلمة بن كهيل، وعمرو بن مرة"(٢).

وكان بشر الحافي ﷺ يطيل القيام، فقيل له: "ألا تستريح لك في الليل ساعة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ، قد قام حتىٰ تورمت قدماه وقطر منهما الدم، مع أن الله تعالىٰ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف أنام وأنا لم أعلم أن الله غفر لي ذنبـًا واحداً؟!"(٣).

سَفَرِي بَعيدٌ وَزادي لَنْ يُبَلِّغَني وَقُوَّتي ضَعُفَتْ والموتُ يَطلُبُني
وَلي بَقايا ذُنوبٍ لَسْتُ أَعْلَمُها الله يَعْلَمُها في السِّرِ والعَلَنِ(٤)

وعن عون بن أبي عمران الجوني، يقول: "كانت أمي تقوم الليل، فتصلي حتىٰ تعصب رجليها وساقيها بالخرق، فيقول لها أبو عمران: دونك هذا يا هذه، فتقول له: هذا عند طول القيام في الموقف قليل؛ فيسكت عنها"(٥).

---

(١) شذرات الذهب (٢٣٨).
(٢) تهذيب الكمال (١١/ ٣١٦).
(٣) تنبيه المغترين (٣٤).
(٤) مجموعة القصائد الزهديات (١/ ١٧٢).
(٥) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣٢).

وعن أبي الوليد قال: "ربما رأيت فاطمة بنت بزيع مولاة الحسن بن يوسف، وكانت امرأة الأغر أبي عثمان، ربما رأيتها تصلي من أول الليل إلىٰ آخره"(١).

وعن عون بن أبي شداد: "أن عبد الله بن غالب كان يصلي مائة ركعة، ثم ينصرف فيقول: لهذا خلقنا وبهذا أمرنا، يوشك أولياء الله أن يكفوا ويحمدوا"(٢).

وعن الهيثم بن معاوية، عن شيخ من أصحابه، قال: "كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة، فإذا مل قال لنفسه: قومي يا مأوىٰ كل سوء! فوالله، ما رضيتك لله ساعة قط"(٣).

وعن العلاء بن سالم -وكان من أهل الخير- عمن حدثه، قال: "صحبت عامر بن عبد قيس أربعة أشهر، ما رأيته نام بليل ولا نهار حتىٰ فارقته، قال: وكان له رغيفان قد جعل عليهما ودكا، قال: فيفطر علىٰ واحد ويتسحر بالآخر، وكان إذا جاء الليل قام يصلي حتىٰ يصبح، وإذا جاء النهار علمنا القرآن حتىٰ تمكن له الصلاة، ثم يقوم فلا يزال يصلي حتىٰ العصر، ثم يعلمنا القرآن حتىٰ يمسي، فإذا جاء الليل قام فصلىٰ حتىٰ يصبح، وكان يفعل ذلك أربعة أشهر، فما رأيته نائما بليل ولا نهار"(٤).

وعن الحسين الكرابيسي قال: "بت مع الشافعي ثمانين ليلة، فكان يصلي نحو ثلث الليل، وما رأيته يزيد علىٰ خمسين آية، فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ بالله منها، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين، فكأنما جمع له الرجاء والرحمة معاً"(٥).

وقال الربيع: "بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة، فلم يكن ينام من الليل إلا

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ١٢٥).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي(٤/ ٥٣٨).
(٣) حلية الأولياء (٦/ ٢١١).
(٤) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (١/ ٦١).
(٥) من أعلام السلف(٢/ ٥).

يسيراً"، وقال أبو الجويرية: "لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر، فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض"، ويروى أنه: ما كان له فراش بالليل (١).

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: "كان لعمر بن عبد العزيز سفط فيه دراعة من شعر وغل، وكان له بيت في جوف بيت [أي: حجرة] يصلي فيه، لا يدخل فيه أحد، قال: فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط، فلبس تلك الدراعة ووضع الغل في عنقه، فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر، ثم يعيده في السفط"(٢).

وعن سفيان بن عيينة قال: "ما قدم مكة في وقتنا رجل، أكثر صلاة من أبي حنيفة". وعن يحيى بن أيوب الزاهد، قال: "كان أبو حنيفة لا ينام الليل"، وعن أبي عاصم النبيل، قال: "كان أبو حنيفة يُسَمَّى الوتد؛ لكثرة صلاته"(٣).

وعن زفر قال: "بات الإمام [أبو حنيفة] عندي ليلة، فقام الليل كله بآية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر:٤٦]"، وروى أنه: "قام الليل كله بآية: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور:٢٧]"(٤).

وعن زائدة يقول: "صليت مع أبي حنيفة في مسجد عشاء الآخرة، وخرج الناس، ولم يعلم أني في المسجد، وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يراني أحد، قال: فقام فقرأ وقد افتتح الصلاة، حتى إذا بلغ إلى هذه الآية: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور:٢٧]، فأقمت في المسجد أنتظر فراغه، فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر"(٥).

---

(١) إحياء علم التراث (١/ ٣٥٥).
(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٠٠).
(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٥٠٥).
(٤) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية (١/ ٤٩٤).
(٥) الطبقات السنية في تراجم الحنفية(٣٢).

◊ قال ابن المبارك، وزاد بعضهم:

لقد زان البلاد ومن عليها ... إمام المسلمين أبو حنيفه
بآثار وفقه مع حديث ... كآيات الزبور علىٰ صحيفه
فما في المشرقين له نظير ... ولا في المغربين ولا بكوفه
رأيت العائبين له سفاها ... خلاف الحق مع حجج ضعيفه
يبيت مشمرا سهر الليالي ... وصام نهاره لله خيفه
وصان لسانه عن كل إفك ... وما زالت جوارحه عفيفه
يعف عن المحارم والملاهي ... ومرضاة الإله له وظيفه
فمن كأبي حنيفة في نداه ... لأهل الفقر في السنة الجحيفه
وكيف يحل أن يؤذىٰ فقيه ... له في الدين آثار شريفه
وقد قال ابن إدريس مقالا ... صحيح النقل في حكم لطيفه
بأن الناس في فقه عيال ... علىٰ فقه الإمام أبي حنيفه(١)

ابن إدريس: يريد الإمام الشافعي رحمه الله.

هكذا كان سلفنا الصالح رحمهم الله؛ علم وعمل، أما اليوم فقد ترك الكثير من طلبة العلم النوافل، بحجة فضل العلم خير من فضل العمل، إلا من رحم الله.

وقال المغيرة: "خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة، فمررت بمالك بن أنس، فإذا أنا به قائم يصلي، فلما فرغ من: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ابتدأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١]، حتىٰ بلغ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]، فبكىٰ بكاء طويلاً وجعل يرددها ويبكي، وشغلني ما سمعت ورأيت منه عن حاجتي التي خرجت إليها، فلم أزل

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٢/ ٢٢٦).

قائماً وهو يرددها ويبكي حتىٰ طلع الفجر، فلما تبين له ركع، فصرت إلىٰ منزلي فتوضأت ثم أتيت المسجد، فإذا به في مجلسه والناس حوله، فلما أصبح نظرت فإذا وجهه قد علاه نور حسن"[١].

انظر ياعبدالله، إلىٰ هذا الإمام الذي باع سقف داره مرتين؛ من شدت الفقر والحاجة!! كيف يبكي خوفا أن يكون من الذين يُسألون عن النعيم!!

هــذا بــلا ذنــب يخــاف جنايــة   كيــف المصر علىٰ الـذنوب دهــور[٢]

وعن أبي مسهر، قال عن الإمام الأوزاعي: "كان يحيي الليل صلاة وقرآناً وبكاء، وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت: أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد موضع مصلاه، فتجده رطباً من دموعه في الليل"[٣].

وقال أبو سَماعة: "كان أبو يوسف يصلِّي بعدما وليَ القضاء، في كل يوم مائتي ركعة"[٤].

وعن أنس بن سيرين، قال: "كان مسروق يصلي، حتىٰ تجلس امرأته خلفه تبكي"[٥]، وفي رواية: "كان يصلي حتىٰ تورمت قدماه"[٦]. عرفوا الحق فلزموه، وأبصروا الطريق فسلكوه، وخافوا الله فأطاعوه.

وكانت عجردة العمية لاتدع قيام الليل، فقيل لها: "لو نمت من الليل شيئا، فبكت وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام!!"[٧]. رحمك الله ياعجردة، لقد كنت عمية ولكن

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢ / ٥٠).

(٢) التذكرة للقرطبي (٢٤٠).

(٣) من أعلام السلف(٤/ ٦).

(٤) طبقات علماء الحديث (١/ ٤٢٢).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٧).

(٦) التهجد وقيام الليل (٢٨٥).

(٧) صفة الصفوة (٢/ ٢٤٦).

قلبك كان بصيرا، وكنت امرأة ولكن كنتي خير من كثير من الرجال، ولا عجب في ذلك ولا غرو؛ فإن إناث الأسود أقوىٰ من ذكور الذئاب، وإناث الصقور أقوىٰ من كثير من الطير، والثمرة الطيبة أصلها طيب.

وعن امرأة حسان بن أبي سنان، قالت: "كان يقوم فيصلي، فقلت له: يا أبا عبد الله، كم تعذب نفسك، ارفق بنفسك! فقال لي: اسكتي ويحك، فأوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها"[١].

تزود من معاشك للمعاد　　　فهذا العيش ماضي للنفاد

ولاتغفل فإن الموت آتٍ　　　ولن يبقىٰ سوىٰ عمل وزاد[٢]

وكان الحسن البصري ﷺ، يقول لأهل زمانه: "والله، إن اجتهادكم كاللعب بالنظر لمن كان قبلكم!!"[٣].

وعن طلحة بن أبي السن قال: "كان الشيخ أبو بكر يقوم الليل كله، فإذا صلىٰ الفجر نام الضحىٰ، فإذا صلىٰ الظهر يصلي إلىٰ العصر، فإذا صلىٰ العصر نام إلىٰ قبل صلاة المغرب، فإذا صلىٰ العشاء قام إلىٰ الفجر، وكانت هذه عادته"[٤].

وعن يحيىٰ بن بسطام، قال: قال ضيغم: "صلىٰ خليفة العبدي حتىٰ انشقت قدماه"[٥].

وعن أحمد بن سلمة، قَال: "كان هناد كثير البكاء، وكنت عنده ذات يوم في مسجده، فلما فرغ من القراءة عاد إلىٰ منزله فتوضأ، فانصرف إلىٰ المسجد، وقام علىٰ

---

(١) التهجد وقيام الليل (٢٠٢).

(٢) البيت الثاني من قول العبد الفقير إلىٰ الله.

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٢٤٦).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر(٥/ ١٨٦-١٨٧).

(٥) التهجد وقيام الليل(١/ ٢٣٠).

رجليه يصلي إلىٰ الزوال وأنا معه في المسجد، ثم رجع إلىٰ منزله فتوضأ، فانصرف إلىٰ المسجد فصلىٰ بنا الظهر، ثم قام علىٰ رجليه يصلي إلىٰ العصر، ويرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيرا، ويصلي إلىٰ العصر، ثم صلىٰ بنا العصر، وجاء إلىٰ صحن المسجد وجعل يقرأ القرآن في المصحف إلىٰ الليل، فصليت معه صلاة المغرب، وقلت لبعض جيرانه: ما أصبره علىٰ العبادة! فقال: هذا عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل!! وما تزوج قط، وما تسرىٰ قط، وكان يقال له: راهب الكوفة"[1].

لله دَرُّ السَّادَةِ الْعُبَّادِ ... فِي أي كَهْفٍ قَدْ ثَوَوْا أَوْ وَادِي

هَجَرُوا الْمَرَاقِدَ فِي الظَّلامِ لِرَبِّهِمْ ... وَاسْتَبْدَلُوا سَهَرًا بِطِيبِ رُقَادِ

لا يَفْتُرونَ إِذَا الدُّجَىٰ وَافَاهُمُوا ... مِنْ كَثْرَةِ الأَذْكَارِ وَالأَوْرَادِ

ورَأَوْا عَلامَاتِ الرَّحِيلِ فَبَادِرُوا ... تَحْصِيلِ مَا الْتَمَسُوا مِن الأَزْوَادِ[2]

وعن يحيىٰ بن سعيد، حدثنا سفيان الثوري، قال: "لو رأيت منصوراً يصلي؛ لقلت: يموت الساعة"[3].

وقال عبد الرزاق: "ما رأيت أحسن صلاة من ابن جريج! كان يصلي ونحن خارجين، فيرىٰ كأنه اسطوانة، ولا يلتفت يميناً ولا شمالا"[4].

وعن عبد الله بن مسلم، قال: "كان سعيد بن جبير إذا قام في الصلاة، كأنه وتد"[5]. وعن يحيىٰ بن عبد الرحمن، قال: "سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية: ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس:٥٩] حتىٰ يصبح، وعن حماد: أن سعيد بن جبير قرأ

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣٦)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي(١١/ ٣١١) تاريخ الاسلام للذهبي (١٨/ ٥٣١).

(٢) موارد الظمآن في دروس الزمان (٢/ ٤٤٤).

(٣) سير أعلام النبلاء(٦/ ١٣٠).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي(٣/ ١٤٧).

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٠٨).

القرآن في ركعة في الكعبة، وقرأ في الركعة الثانية بقل هو الله أحد"[١].

وكان وِرد ضيغم في اليوم والليلة أربعمائة ركعة، وصلىٰ حتىٰ بقي راكعا لا يقدر علىٰ السجود...وكان يقول: "رأيت المجتهدين، إنما قووا علىٰ الاجتهاد بما يدخل قلوبهم من الحلاوة في الطاعة"[٢].

وعن عمرو بن قيس، قال: "ما رفعت رأسي بليل قط، إلا رأيت موسىٰ بن أبي عائشة قائما يصلي"، قال غير إسحاق: "وكان يدعىٰ المتهجد؛ من شدة تغير لونه"[٣].

وعن عمر بن محمد بن زيد، أن أباه أخبره: "أن عبد الله بن عمر كان له مهراس فيه ماء، فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلىٰ الفراش فيغفي إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي، ثم يرجع إلىٰ فراشه فيغفي إغفاء الطائر، ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي، فيفعل ذلك في الليلة أربع مرات أو خمسا"[٤].

مهراس: بكسر الميم، حجر مجوف يهرس ويدق فيه الحبوب وغيرها.

وعن عون بن عبدالله بن عتبه، عن أبيه، قال: "كَانَ عَبْدُ اللهِ إِذَا هَدَأَتِ الْعُيُونُ، سَمِعْتُ لَهُ دَوِيًّا كَدَوِيِّ النَّحْلِ حَتَّىٰ يُصْبِحَ"[٥]؛ يريد: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

هكذا كان السلف رحمهم الله تعالىٰ، لا يملون ولا يسأمون من كثرة القيام والصيام، وذكر الله عز وجل، وتلاوة القرآن، وما ذلك إلا لما يدخل قلوبهم من الروح، والفرح والسرور، وما يجدونه من لذة العبادة والطاعة والمناجاة عند قيامهم وصيامهم، وذكرهم

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٤٥).

(٢) تاريخ الإسلام(٤/ ٨٦٧).

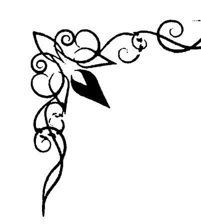
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ١٢٣).

(٤) الزهد لابن المبارك (٤٣٨)، مختصر قيام الليل للمروزي (١/ ٤٦).

(٥) الحاكم (٣/ ٣٥٦).

لله ﷻ؛ فقـامـوا خيـر قيـام، وصـامـوا خيـر صـيام، وقـدموا لأنفســهـم، وتـزودوا لآخرتهم، فلم تلههم الآمال، ولـم تشغلهم الأشغال، فالعاقل الكيس من اعتبر وانزجر، وسار على الأثر، ولم تغيره الغير.





أيها الراقد تيقظ

أَيُّهَـــا الرَّاقِـــدُ ذَا اللَّيْـــلَ التَّمَـــامْ قُـــمْ بِجِـــدٍّ فَاللَّيَـــالِي فِـــي انْصِـــرَامْ

وَتَقَـــرَّبْ بِصَـــلاَةٍ وَصِـــيَامْ وَابْتَهِـــلْ للهِ فِـــي جُـــنْحِ الظَّـــلاَمْ

فَعَسَـــىٰ تلْحَـــقُ بِـــالْقَومِ الْكِـــرَامْ

أَيُّهَـــا الرَّاقِـــدُ ذَا اللَّيْـــلَ الطَّوِيـــلْ لَـــيسَ فِـــي الـــدُّنْيَا مَقَـــامٌ يَـــا نَبِيـــلْ

ضُـــرِبَتْ وَاللهِ أَبْـــوَاقُ الرَّحِيـــلِ وَسَـــرَىٰ الرَّكْـــبُ بِوَخْـــدٍ وَذَمِيـــلْ

يَتبَـــارونَ إِلَـــىٰ دَارِ السَّـــلاَمْ

أَيُّهَـــا الرَّاقِـــدُ كَـــمْ هَـــذَا الْهُجُـــودْ مَـــا تَـــرَىٰ الْقَـــومَ اسْـــتَعَدُّوا لِلْوُفُـــودْ

بِقِيَـــامٍ وَرُكُـــوعٍ وَسُـــجُودْ وخُشُـــوعٍ وخُضُـــوعٍ لِلْـــوَدُودْ

وَدُمُـــوعٍ تَتَجَـــارَىٰ كالْغَمَـــامْ

أَيُّهَـــا الرَّاقِـــدُ كَـــمْ هَـــذَا الْكَـــرَىٰ إِنَّ أَهْـــلَ اللهِ جَـــدُّوا في السُّـــرَىٰ

طَلَّقُـــوا الـــدُّنْيَا وَمَـــرُّوا زُمَـــرَا أَفَتَرْضَـــىٰ أَنْـــتَ أَنْ تَبْقَـــىٰ وَرَىٰ

فاسْـــتَعِنْ بِـــاللهِ وَانْهَـــضْ بِاهْتِمَـــامْ

أَيُّهَـــا الرَّاقِـــدُ كَـــمْ هَـــذَا الرُّقَـــادْ قُـــمْ بِـــإِخْلاَصٍ وَجِـــدٍّ وَاجْتِهَـــادْ

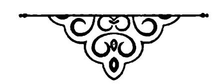
وَتَـــزَوَّدْ فَـــالتُّقَىٰ أَفْضَـــلُ زَادْ إِنَّ أَهْـــلَ الْجِـــدِّ فَـــازُوا بِـــالْمُرَادْ

مَـــنْ يُطِـــعْ مَـــولاَهُ يَظْفَـــرْ بِـــالْمَرَامْ

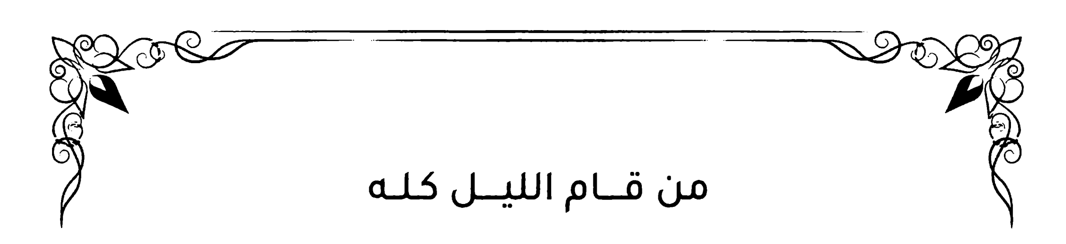
كَيفَ يَهْنَى بِمَنامٍ وَسُبَاتْ عَالِمٌ أَنْ سَوفَ يَلْقَى السَّكَرَاتْ
وَيَذُوقَ الْمُرَّ مِنْ كاسِ الْمَمَاتْ رَبِّ وَفِّقْنَا وَأَيِّدْ بِالثَّبَاتِ
عِنْدَمَا نجْرَعُ كاسَاتِ الحِمَامْ

إنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَغُرُورْ كلُّنَا فِيهَا عَلَى وَشْكِ الْعُبُورْ
لاَ تَغُرَّنَّكَ هَاتِيكَ الْقُصُورْ كُلُّ مَنْ فِيهَا سَيَمْضِي لِلْقُبُورْ
مُلْصِقًا بالرَّغْمِ خَدًّا لِلرَّغَامْ

آهِ مِنْ ذِكْرِ الْبلَى مَا أَوجَعَهْ آهِ مِنْ دَاعِ النَّوَى مَا أَسْمَعَهْ
آهِ مِنْ هَولِ اللِّقَاء مَا أَفْظَعَهْ آهِ مِنْ كاسِ الرَّدَى مَا أَبْشَعَهْ
رَبِّ ثَبِّتْنَا لَدَى ذَاكَ الْمَقَامْ[١]



(١) مجموعة القصائد الزهدية(٢/ ٣٦٣).



من قام الليل كله

قطع الليل رجال ورجال وصلوه
لا يميلون إلى النوم ولا يستعذ بوه
وكأن النوم شيء لم يكونوا يعرفوه

عن حماد بن سلمة، قال: **"كان سليمان التيمي طوى فراشه أربعين سنة، ولم يضع جنبه بالأرض عشرين سنة، وكانت له امرأتان"**(١).

وقال بعضهم: "رأيت رب العزة في النوم، فسمعته يقول: وعزتي وجلالي، لأكرمن مثوى سليمان التيمي؛ فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة"(٢).

لله در رجال لم يمل بهم لين الفراش ولا الأوانس الخرد

الغداة: صلاة الفجر. **الأوانس الخرد:** الجميلات.

وعن المسيب بن واضح، أراه عن ابن المبارك، أو غيره، قال: **"أقام سليمان التيمي أربعين سنة إمام الجامع بالبصرة، يصلي العشاء الآخرة والصبح بوضوء واحد"**(٣).

وعن معمر مؤذن سليمان التيمي، قال: "صلى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة، وسمعته يقرأ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]، فلما أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك:٢٧]، جعل يرددها حتى خفّ أهل

---

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٩).
(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣١).
(٣) حلية الأولياء (٣/ ٢٩).

المسجد فانصرفوا، فخرجت وتركته، وغدوت لأذان الفجر، فنظرت فإذا هو في مقامه، فسمعت فإذا هو لم يجزها، وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك:٢٧]"[١].

ولما نزل به الموت، قيل له: أبشر، فقد كنت مجتهدا في طاعة الله تعالىٰ، فقال: "لا تقولوا هكذا؛ فإني لا أدري ما يبدو لي من الله ﷻ، فإنه يقول سبحانه: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧]"[٢].

وكانت باليمن امرأة عابدة، إذا أمست تقول: "يانفس، الليلة ليلتك، قومي فتعبدي؛ لعله لاتكون لك ليلة سواها"؛ فتصلي الليل كله! فإذا أصبحت تقول: "يانفس، اليوم يومك، قومي فتعبدي واجتهدي؛ لعله لا يكون لك يوم غيره"؛ فتصوم وتعبد، فلم يزل ذلك حالها ستين سنة أو أقل أو أكثر[٣].

هكذا كان سلفنا الصالح ﷺ، يبادرون آجالهم ويقصرون آمالهم ويسارعون في أعمالهم، أما نحن فنستبطي آجالنا ونطيل آمالنا ونسوف أعمالنا؛ حتىٰ قعدنا وفاتنا كل خير، إلا من رحم الله ﷻ.

سَبِيلك فِي الدُّنْيَا سَبِيل مُسَافر ... وَلَا بُد من زَاد لكل مُسَافر

وَلَا بُد للْإنْسَان من حمل عدَّة ... وَلَا سِيمَا إِن كثرة عليه المخاطر[٤]

صدق والله، فالإنسان في سفر؛ منذ أن ولد وهو يسير إلىٰ الله ﷻ، فيسير ما قدر الله ﷻ له، ثم يأتيه أجله ويغادر هذه الدنيا إلىٰ الأبد ثم لايعود إليها؛ فمن أحسن

(١) حلية الأولياء (٣/ ٢٩).

(٢) العاقبة في ذكر الموت (١٣٣).

(٣) مختصر قيام الليل للمقريزي (١٠٠).

(٤) المدهش لابن الجوزي (٥٢٢)، تم التصرف في البيت الثاني، وأصله:

وَلَا بُد للْإنْسَان من حمل عدَّة ... وَلَا سِيمَا إِن خاف صولة قاهر

فلنفسه، ومن أساء فعليها.

وعن أبي الأحوص: "أن منصور بن المعتمر، كان إذا جاء الليل اتزر وارتدا إن كان صيفا، وإن كان شتاء التحف فوقه ثيابه، ثم قام إلىٰ محرابه، فكأنه خشبة منصوبة حتىٰ يصبح"، وقال: "قالت جارية [ابنة لجاره]: يا أبت، أين الخشبة التي كانت في سطح منصور؟! قال: يا بنية، ذاك منصور كان يقوم الليل" [(١)]. رَحِمَهُ اللَّهُ.

أكرم بهم من رجال لو رأيتهم ... وللظلام علىٰ الأكوان استار

خمص البطون من الدنيا كأنهم ... خيل الرهان وهذي الدار مضمار

وعن عاصم بن علي، قال: "كان يزيد بن هارون بن زاذي يقوم الليل، وصلىٰ الصبح بوضوء العتمة نيفا وأربعين سنة"[(٢)].

وقال له رجل: "كم جزؤك من الليل؟ فقال: وأنام من الليل شيئا؟! إذن لا أنام الله عيني"[(٣)]. انظر كيف غضب عندما سأله السائل عن جزئه؛ لأنه كره النوم ليلا!!

العتمة: العشاء.

وعن سلمة بن حسان العدوي، عن الحسن: "أن معاذة العدوية لم تتوسد فراشا بعد أبي الصهباء، حتىٰ ماتت"[(٤)]، أبو الصهباء: زوجها.

وعن أبي عيسىٰ النخعي، قال: "لم يُفرش لأبي بكر بن عياش فراش خمسين سنة"، وعن الحماني، قال: "لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلىٰ تلك الزاوية التي في البيت؛ قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة"، وفي رواية عن ابنه إبراهيم قال: "بكيت عند أبي حين حضرته

---

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ١٣٠-١٣٥).

(٢) تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي(١/ ٢٣٢).

(٣) مرآة الزمان (١٣/ ٧٩).

(٤) التهجد وقيام الليل (١/ ٨٦).

الوفـاة، فقـال: مـا يبكيـك؟ أتـرىٰ الله يضـيع لأبيـك أربعـين سـنة، يخـتم القـرآن كـل ليلة؟"[١].

وعن موسىٰ بن طرفة، قال: "كانت الجارية تفرش لعلي بن بكـار، فيلمس بيـده ويقـول: والله، إنـك لطيـب! والله، إنـك لبـارد! والله، لا علوتـك ليلتـي!! فكـان يصـلي الغداة بوضوء العتمة"[٢].

وعن سلمة بن سلام، قال: "نزل الأوزاعي علىٰ أبي، ففرشنا لـه فراشـا، فأصـبح علىٰ حاله"، وعن الوليد بن مسلم، كان يقـول: "مـا رأيـت أكثـر اجتهـادا في العبـادة مـن الأوزاعي"[٣].

وعن عمرو بن عون، قال: "مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء عشاء الآخـرة، قبـل أن يموت عشر سنين". وكان رَحِمَهُ اللهُ من أهل الحديث، عن نصـر بـن بسـام وغيـره، قـالوا: "أتينا أبـا محفـوظ معروفـاً الكرخـي، فقـال لنـا: رأيـت النبـي ﷺ في النـوم، وهـو يقـول لهشيم: يا هشيم، جزاك الله عن أمتي خيرًا! قال ابـن بسـام: فقلـت: يـا أبـا محفـوظ أنـت رأيته؟ قال: نعم، هشيم خير ممـا نظـن، هشـيم خيـر ممـا نظـن، هشـيم خيـر ممـا نظـن، رضي الله عن هشيم"[٤].

وعن عبـد المـنعم بـن إدريـس، عـن أبيـه، قـال: "صـلىٰ وهـب بـن منبـه، وطـاوس اليماني، الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة"[٥].

وعن نسير، قال: "بت بالربيع ذات ليلة، فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا

(١) صفة الصفوة (٢/ ٩٦).
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٣١٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٥٤٩).
(٤) صفة الصفوة (٢/ ١٠).
(٥) صفة الصفوة (٢/ ٢٢٨).

يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١]، فمكث ليلته حتىٰ أصبح، ما يجوز هذه الآية إلىٰ غيرها، ببكاء شديد"(١).

وعن مسمع بن عاصم المسمعي، قال: "كانت بالبحرين امرأة عابدة، يقال لها منيفة، فكانت إذا هجم الليل عليها قالت: بخ بخ يا نفس، قد جاء سرور المؤمن، فتتحزم وتلبس وتقوم إلىٰ محرابها، فكأنها الجذع القائم حتىٰ تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هي في صلاة حتىٰ ينادىٰ بالعصر، فإذا صلت العصر هجعت إلىٰ غروب الشمس، هذا دأبها، قيل لها: لو جعلت هذه النومة في الليل؛ كان أهدأ لبدنك، فقالت: لا والله، لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا.

قال أبو سفيان: فحدثني رجل من أهلها، قال: فمكثت كذلك أربعين سنة، ثم ماتت"(٢).

قـــومٌ إِذَا جـــن الظـــلام عَلَـــيْهِم ... قَـــامُوا فَكَـــانُوا سُـــجَّدًا وقيامًـــا

يتلـــذذون بِـــذكرِهِ فِـــي لـــيلهم ... ونهـــارهم لَا يفتـــرون صـــياما(٣)

بخ بخ: كلمة تقال عند الإعجاب بالشيء.

وعن محمد بن عبد الأعلىٰ، يقول: قال المعتمر بن سليمان: "لو لا أنك من أهلي ما حدثتك هذا عن أبي: مكث أربعين سنة يصوم يوما، ويفطر يوما، ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء"(٤).

وعن عبد الله المكي أبي محمد، قال: "كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة، قامت علىٰ سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت: إلهي، غارت النجوم، ونامت

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٣٦).

(٢) صفه الصفوة (٢/ ٣٢٦).

(٣) التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (٢/ ٢٤٢).

(٤) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣٠).

العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك! فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهنىٰ! أم رددتها علي فأعزىٰ! فوعزتك، لهذا دأبي أبداً ما أبقيتني، وعزتك، لو انتهرتني ما برحت من بابك! ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك!"[١].

هكذا كان سلفنا الصالح ﷺ في تبتلهم ودعاءهم واستغفارهم.

لبست ثوب الرجا وَالنَّاس قد رقدوا	وَقمت أَشْكُو إِلَىٰ مولَايَ مَا أجد
وَقلت يَا عدتي فِي كل نائبة	وَمن عَلَيْهِ لكشف الضّر أعْتَمد
أَشْكُو إِلَيْك أمورا أَنْت تعلمهَا	مَالِي علىٰ حملهَا صَبر وَلَا جلد
وَقد مددت يَدي بالضر مبتهلا	إِلَيْك يَا خير من مدت إِلَيْهِ يَد
فَلَا تردنها يَا رب خائبة	فبحر جودك يروي كل من يرد[٢]

وعن جرير، عن ابن شبرمة، قال: "كان زبيد اليامي يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: جزء عليه، وجزء علىٰ عبد الرحمن ابنه، وجزء علىٰ عبد الله ابنه، وكان زبيد يصلي ثلث الليل ثم يقول: لا يدهمنا، قم! فإن تكاسل صلىٰ جزأه، ثم يقول للآخر: قم! فإن تكاسل صلىٰ جزأه؛ فيصلي الليل كله"[٣].

وعن سعيد بن عامر، عن سلام، قال: "كان أيوب السختياني يقوم الليل كله، فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح، رفع صوته كأنه قام تلك الساعة"[٤].

اعلم رحمك الله، أن تحميل النفس فوق طاقتها؛ بوضع حبل أو وتد أو عكاز

(١) صفة الصفوة، ط ـ دار الحديث (٢/ ٢٤٦).
(٢) البداية والنهاية (١٢/ ٢٠٢).
(٣) معجم الشيوخ للسبكي(١/ ١١٣).
(٤) سير أعلام النبلاء(٦/ ١٧).

أو غيره، أمر منهي عنه إلا لعذر، كمرض أو كبر سن أو عجز أو نحوه، إلا أن يكون هناك شوق كبير مثل شوق السلف، أو خوف مثل خوفهم، ولايُخشىٰ عليه من الفتنة. قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] ، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قُلْتُ: فُلاَنَةُ، لاَ تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلاَتِهَا، فَقَالَ: «مَهْ! عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا»، وزاد مسلم: «وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ، مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»(١) . متفق عليه.

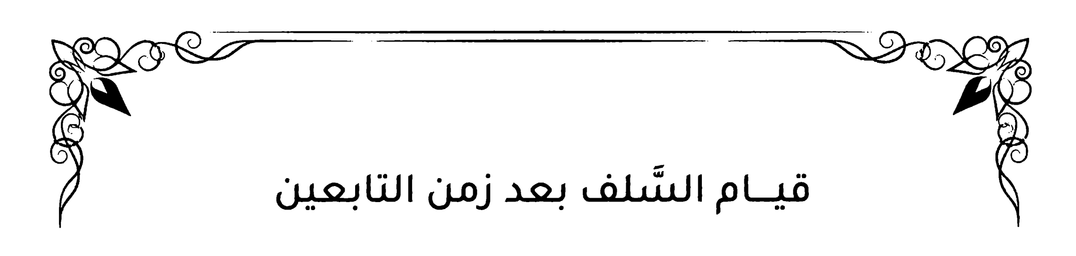
مَـهْ: كلمـة زجـر ونهـي، بمعنـىٰ اكفـف، وفي النهايـة: "اسـم مبنـي علـىٰ السكونِ، بمعنىٰ: اسكت"(٢)، وعند الداودي أن أصلها من كلمتين: (ما هذا) ثم صُيرت واحدة (مه).

واعلم أنه ليس كل أحد يستطيع قيام الليل كله؛ فهناك المريض والعاجز وغيرهم، وهناك من يقوم علىٰ مصالح العباد ولايسد أحد مكانهم؛ فمن الأطباء من يسهر الليل كله في غرفة العمليات؛ لإنقاذ حياة شخص من الموت، ومنهم من يسهر علىٰ إسعاف المرضىٰ وإنقاذهم، ورأيت من الأطباء من يقف بباب عيادته المئات من الناس، ويبقىٰ جل وقته معهم حتىٰ آخر النهار، فهؤلاء لاشك أن أجرهم عظيم عند الله ﷻ؛ لإنهم لو قاموا الليل كله وتركوا عملهم هذا، فمن سيعالج المرضىٰ؟! فجزاهم الله عن المسلمين خيرا.

وهناك من يسهر الليل كله لحراسة الناس وحفظ أمنهم، فلو قام الليل فمن يحفظ الأمن ويحرس الناس؟! وهناك الكثير ممن يقوم علىٰ مصالح البلاد والعباد، فجزاهم الله خيرا.

---

(١) متفق عليه: البخاري(١١٥١)، ومسلم(٢٢١و٧٨٥).
(٢) النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٧٧).



قيـام السَّلف بعد زمن التابعين

الإمام الحافظ الخطيب البغدادي، صاحب التاريخ المعروف رحمه الله:

قال ابن العماد: "كان يتلو في كل يوم وليلة ختمة، وكان حسن القراءة جهوري الصوت، وله تاريخ بغداد الذي لم يصنف مثله .. وكان قد تصدق بجميع ماله وهو مائتا دينار، على العلماء والفقراء، وأوصى أن يتصدق بثيابه، ووقف كتبه على المسلمين، ولم يكن له عقب، انتهى"، توفي رحمه الله سنة ٤٦٣ هـ[١].

الإمام المقرئ أبو منصور الخياط رحمه الله:

قال أبو سعد بن السمعاني: "كان له ورد يقرأ فيه سبعا كاملا من القرآن بين العشاءين، قائما وقاعدا حتى طعن في السن، وكان صاحب كرامات، وقال ابن النجار: بلغ عدد من أقرأهم أبو منصور القرآن سبعين ألفا، قال: هكذا رأيته بخط أبي نصر اليونارتي الحافظ"[٢].

وقال ابن الجوزي: "كان أبو منصور من كبار الصالحين الزاهدين المتعبدين، كان له ورد بين العشاءين يقرأ فيه سبعا من القرآن، قائما وقاعدا حتى طعن في السن، وقال ابن ناصر عنه: كان شيخا صالحا زاهدًا صائمًا أكثر وقته، ذا كرامات ظهرت له بعد موته. وذكر ابن السمعاني، أن الشيخ أبا منصور الخياط رؤي في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي بتعليم الصبيان فاتحة الكتاب"[٣]، توفي رحمه الله سنة ٤٩٩هـ.

---

(١) شذرات الذهب(٣/ ٤٠٦).
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء(٢/ ٧٤).
(٣) شذرات الذهب(٣/ ٤٠٦).

۞ الإمام أبو حكيم النهرواني الحنبلي(١) رحمه الله :

قال ابن العماد: "قرأ عليه العلم خلق كثير وانتفعوا به، منهم: ابن الجوزي، وقال: قرأت عليه القرآن والمذهب والفرائض. وممن قرأ عليه: السامري صاحب المستوعب، ونقل عنه في تصانيفه، قال ابن الجوزي: وكان زاهدًا عابدًا كثير الصوم، يضرب به المثل في الحلم والتواضع من العلماء العاملين، مؤثرا للخمول، ما رأينا له نظيرا في ذلك، يقوم الليل ويصوم النهار، ويعرف المذهب والمناظرة، وله الورع العظيم، وكان يكسب بيده، وإذا خاط ثوبا فأعطي الأجرة مثلا قيراطا؛ أخذ منه حبة ونصفا ورد الباقي، وقال: خياطتي لا تساوي أكثر من هذه!!"(٢) ، توفي رحمه الله سنة ٥٥٦هـ.

۞ الإمام الحافظ أبو بكر الحازمي الهمذاني(٣) رحمه الله :

قال عنه ابن النجار: "كان ثقة نبيلا زاهدا عابدا ورعا، ملازما للخلوة والتصنيف وبث العلم، أدركه أجله شابًّا، قال: وسمعت أبا القاسم المقرئ -جارنا- يقول: وكان صالحا، كان الحازمي في رباط البديع، فكان يدخل بيته في كل ليلة ويطالع ويكتب إلىٰ الفجر، فقال البديع للخادم: لا تدفع إليه الليلة نورا للسراج؛ لعله يستريح الليلة، فقال: فلما جنّ الليل اعتذر إليه الخادم لانقطاع النور، فدخل بيته وصف قدميه، ولم يزل يصلي ويتلو إلىٰ أن طلع الفجر، وكان الشيخ خرج ليعلم خبره فوجده في الصلاة! مات الحازمي رحمه الله في جمادىٰ الأولىٰ سنة ٥٨٤هـ"(٤).

---

(١) هو أبو حكيم النهرواني إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين بن حامد ابن إبراهيم النهرواني الرزاز، الفقيه الحنبلي الفرضي الزاهد الحكيم الورع، ولد سنة ثمانين وأربعمائة، وسمع الحديث من أبي الحسن بن العلاف وأبي عثمان بن ملة وأبي الخطاب، وبرع في المذهب والخلاف والفرائض ،وأفتىٰ وناظر، وكانت له مدرسة بناها بباب الازح، وكان يدرس ويقيم بها. غاية النهاية في طبقات القراء (٢/ ٧٤).

(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٤/ ١٧٥).

(٣) هو محمد بن موسىٰ بن عثمان بن موسىٰ بن عثمان بن حازم، الإمام الحافظ البارع النسابة، أبو بكر الحازميّ الهمذانيّ، صاحب كتاب «الناسخ والمنسوخ»، وكتاب «عجالة المبتدئ». طبقات المفسرين للداوودي(٢/ ٢٦٤).

(٤) طبقات المفسرين للداوودي(٢/ ٢٦٤).

الإمام الحافظ عبدالغني المقدسي رحمه الله:

قال السبط أبو المظفّر: ".. وكان يُصلّي كلّ يومٍ وليلة ثلاثمائة ركعة ورد الإمام أحمد، وكان يقوم اللّيل عامَّةَ دهره، ويحمل ما أمكنه إِلَىٰ بيوت الأرامل واليتامىٰ سرّا، وكان أوحد زمانه فِي عِلم الحديث".

وقال الإمام الذهبي: "سمعت محمود بن سلامة الحراني التاجر، غير مرة يقول: كان الحافظ عبد الغني نازلا عندي بأصبهان، وما كان ينام من الليل إلا قليلا، بل يصلي ويقرأ ويبكي، حتىٰ ربما منعنا النوم إلىٰ السحر، أو ما هذا معناه. وقال الضياء: وأنا أقول: كان الحافظ عبد الغني المقدسي أمير المؤمنين في الحديث. سمعت التاج الكندي يقول: لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني[يعني المقدسي]. وعن أبي موسىٰ بن عبد الغني، قال: كنت مع والدي بمصر، وهو يذكر فضائل سفيان الثوري، فقلت في نفسي: إن والدي مثله، قال: فالتفت إلي وقال: أين نحن من أولئك؟ توفىٰ رحمه الله سنة ٦٠٠ هـ"[١].

شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة المقدسي رحمه الله:

قال السبط: "... وكان إماما في التفاسير والفقه والحديث والفنون، ولم يكن في زمانه مثله بعد أخيه أبي عمر، والعماد (ولا) أزهد منه ولا أورع منه، وكان كثير الحياء، عزوفا عن الدنيا وأهلها، هينا لينا متواضعا، محبا للمساكين، حسن الأخلاق، جوادا سخيا، ... كثير العبادة، يقرأ كل يوم وليلة سبعا من القرآن، ولا يصلي ركعتي السنة في الغالب إلا في بيته اتباعا للسنة، وكان صحيح الاعتقاد مبغضا للمشبهة، وقال: من شرط التشبيه أن يرىٰ الشيء ثم يشبهه، من رأىٰ الله تعالىٰ حتىٰ يشبهه لنا؟!"، قال ذلك ليبطل قول المشبهة.

وحكىٰ أبو الحسن علي بن حمدان الجرائحي، قال: "كنت أبغض الحنابلة لما

---

(١) تاريخ الإسلام (١٢/ ١٢٠٣).

شاع عنهم من سوء الاعتقاد، فمرضت مرضا شنج أعضائي، وأقمت سبعة عشر يوما لا أتحرك، وتمنيت الموت، فلما كان وقت العشاء جاءني الموفق، وقرأ علي آيات ورقاني، وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢]، ومسح على ظهري؛ فأحسست بالعافية، وقام، فقلت: يا جارية، افتحي له الباب، فقال: أنا أروح من حيث جئت، وغاب عن عيني، وقمت من ساعتي إلى بيت الوضوء، فلما أصبحت دخلت الجامع فصليت الفجر خلف الموفق وصافحته، فعصر يدي وقال: احذر أن تقول شيئا، فقلت: أقول وأقول"، ورأى أحمد بن سعد المقدسي، وكان من الصالحين، قال: رأيت ليلة العيد ملائكة ينزلون من السماء جملة، وقائل يقول: انزلوا بالنوبة، فقلت: ما هذا؟ قال: يتلقون روح الموفق الطيبة في الجسد الطيب"، وقال عبد الرحمن بن محمد العلوي: "وكنا بجبل بني هلال، فرأينا على قاسيون ليلة العيد ضوءاً عظيما؛ فظننا أن دمشق قد احترقت، وخرج أهل القرية ينظرون إليه، فوصل الخبر بوفاة الموفق، ودفن بقاسيون"[١]، توفي رحمه الله سنة ٦٢٠هـ.

۞ الإمام الورع النووي رحمه الله :

عن أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، قال: "كنت ليلة في أواخر الليل بجامع دمشق، والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة، وهو يردد قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات:٢٤]، مراراً، بحزن وخشوع، حتى حصل عندي من ذلك أمر عظيم"[٢].

وقال عنه ابن كثير رحمه الله: "... وكان قليل النوم، كثير السهر في العبادة والتلاوة والذكر والتصنيف.."[٣].

وعن الفقيه أبو علي سعيد بن عثمان الشوائي الجبرتي، أنه قال: "رأيت النبي ﷺ

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ط ـ الرسالة العلمية (٢٢/ ٢٦٦ـ٢٦٧).

(٢) المنهل العذب الروي في ترجمة النووي للسخاوي(٢٧).

(٣) طبقات الشافعية(١/ ٩١٢).

في النوم، وأنا بساحل موزع، فقال: إذا اختلف عليك كلام صاحب المهذّب وكلام الغزالي وكلام النووي؛ فخذ بقول النووي؛ فإنه أعرف بسنّتي، قال: ورأيته ﷺ ثانيةً، وسألته عن النووي، فقال: ذاك محيي ديني"، توفي رحمه الله سنة ٦٧٦هـ[١].

◈ قال عنه البرهان الجعبري:

لله دَرّ إمام زاهدٍ ورع ... أبدىٰ لنا من فتاوىٰ الفقه منهاجا

ألفاظُه كعقود الدّر ساطعةٌ ... علىٰ الرياض تزيد الحسن إبهاجا

الإمام الواعظ ابن الجوزي رحمه الله :

قال ابن رجب: "وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه: أن الشيخ كان يقوم الليل ويصوم النهار، وله معاملات، ويزور الصالحين إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر إذا جن الليل، ولا يكاد يفتر عن ذكر الله، وله في كل يوم وليلة ختمة يختم فيها القرآن، كذا قال! وهذا بعيد جدا مع اشتغاله بالتصانيف"[٢].

وقال سبطه أبو المظفر: ".. وكان يختم القرآن في كل أسبوع، ولا يخرج من بيته إلا إلىٰ الجمعة أو المجلس"؛ أي: مجلس العلم.

وعندما سجن بواسط اشتغل بالعبادة، وكان يقول: "قرأت بواسط مدة مقامي بها كل يوم ختمة، ما قرأت فيها سورة يوسف؛ من حزني علىٰ ولدي يوسف وشوقي إليه"، توفي رحمه الله سنة ٥٩٧هـ[٣].

الإمام المقرئ الشاطبي، صاحب حرز الأماني رحمه الله :

قال عنه الإمام الذهبي: ".. وكان ثقة في نفسه زاهدا ورعا قانتا لله، منقبضا عن الناس كبير القدر، نزل القاهرة وتصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية"[٤].

---

(١) المنهل العذب الروي في ترجمة النووي للسخاوي (٢٨).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب(٢/ ٤٨٦).
(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (١٢/ ١١٠٠).
(٤) العبر في أخبار من عبر للإمام الذهبي(٤/ ٢٧٥).

وقـال عنـه في معرفـة القـراء الكبـار: "كـان موصـوفا -أيضـا- بالزهـد والعبـادة والانقطاع، وقد تصدر للإقراء بالمدرسة الفاضلية"[١].

وكان ﷺ كفيفا، وله كرامات كثيرة عجيبة، قال تلميذه السخاوي[٢]: "أقطع بأنه كان مكاشفا، وأنه سأل الله تعالىٰ كفاف حاله، ما كان أحد يعلم أي شيء هو".

قال: "وذكرت له يوما جامع مصر، وقلت له: قد قيل إن الأذان يسمع فيه من غير المؤذنين ولا يدرىٰ ما هو، فقال: قد سمعته مرارا لا أحصيها عند الزوال"[٣]، توفي ﷺ بمصر سنة٥٩٠هـ.

◊ **ومن شعره:**

قـــــل للأميـــــــر نصـــــــيحة	**لا تـــــــركنن إلـــــــىٰ فقيـــــــه**
إن الفقيــــــــــه إذا أتـــــــــىٰ	**أبـــــــوابكم لا خيــــــــر فيـــــــه**

۞ الشيخ أبو عمر بن قدامة المقدسي، أخو الموفق[٤] ﷺ:

قال الحافظ الضياء: "... وكان الله قد جمع له معرفة الفقه والفرائض، وكان لا يترك قيام الليل من وقت شبوبيته، وقلل الأكل في مرضه قبل موته حتىٰ عاد كالعود، ومات وهو عاقد علىٰ أصابعه يسبح، قال وحدثت عنه زوجته، قالت: كان يقوم الليل، فإذا جاءه النوم عنده قضيب يضرب به علىٰ رجله؛ فيذهب عنه النوم، وكان كثير الصيام سفرا وحضرا، وقال عبد الله: أنه في آخر عمره سرد الصوم؛ فلامه أهله، فقال:

---

(١) معرفة القراء الكبار للذهبي(٣١٣).

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني السخاوي، المتوفىٰ سنة ٦٤٣هـ، أحد تلاميذ الشيخ، وهو غير السخاوي المحدث صاحب ابن حجر.

(٣) معجم الادباء(٥/ ٢٢١٧).

(٤) هو الشيخ الزاهد العابد محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة، أبو عمر، شيخ الصالحية والمقادسة، أخو الموفق، كان صاحب أوراد وعبادات وإيثار علىٰ الغير وإنفاق في سبيل الله.

أغتنم أيامي! وكان لا يسمع بجنازة إلا حضرها، ولا مريض إلا عاده، ولا بجهاد إلا خرج فيه! وكان يقرأ في الصلاة كل ليلة سبعا مرتلا، ويقرأ في النهار سبعا بين الظهر والعصر، وكان يقري ويلقن إلىٰ ارتفاع النهار، ثم يصلي الضحىٰ طويلة ... ، وكان يصلي في كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة نافلة، وله أوراد كثيرة، وكان يزور القبور كل جمعة بعد العصر، ولا ينام إلا علىٰ وضوء، ويحافظ علىٰ سنن وأذكار عند نومه، وكان لا يترك غسل الجمعة، ولا يخرج إلىٰ الجمعة إلا ومعه شيء يتصدق به، وكان يؤثر بما عنده لأقاربه وغيرهم، ويتصدق كثيرا ببعض ثيابه حتىٰ يبقىٰ في الشتاء بجبة بغير قميص"[١].

وقال السبط أبو المظفر: "... وكان يصوم الدهر إلا من عذر، ويقوم الليل من صغره، وما كان يفطر إلا في يوم عيد، ويحافظ علىٰ الصلوات الخمس في الجماعات، ويخرج من ثلث الليل الأخير إلىٰ المسجد في الظلمة، فيصلي إلىٰ الفجر، ويقرأ في كل يوم سبعا من القرآن بين الظهر والعصر، ويقرأ بعد العشاء الآخرة آيات الحرس، ويس والواقعة وتبارك، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، والمعوذتين، وإذا ارتفعت الشمس لقن الناس إلىٰ وقت الضحىٰ، ثم يقوم فيصلي الضحىٰ ثماني ركعات، ويقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألف مرة، ويزور المقابر بعد العصر في كل جمعة"[٢].

۞ العلامة نجم الدين أحمد بن شهاب المقدسي[٣] رحمه الله:

قال الضياء: "من وقت قدومه إلىٰ دمشق لم يزل يشغل الناس، ويذكر الدروس في التفسير، والحديث، والخلاف، وغير ذلك، وحفظ الصحيحين، وكان لا يكاد يقعد بلا اشتغال، وهو ممن يقوم الليل، ويداوم علىٰ صلاة الضحىٰ؛ صلاة حسنة طويلة،

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد، ط ـ العلمية(٥/ ٢٧).

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٢/ ١٧٦).

(٣) هو أحمد بن الشهاب محمد بن خلف بن راجح بن بلال بن هلال بن عيسىٰ، القاضي العلامة، نجم الدين، أبو العباس المقدسي الحنبلي ثم الشافعي. تاريخ الإسلام(١٤/ ٢٦٣).

قال: وسمعت: أنه يقرأ كل ليلة ثلث القرآن، وسمعت عمر بن صومع يذكر: أنه رأى الحق في النوم، فسأله عن النجم، فقال: هو من المقربين، فذكرت التعصب عليه لما أثبت رؤية الهلال، فقال: ما يضره، وهذا ما يقضي إلا بالحق أو ما هذا معناه"(١)، توفى رحمه الله ٦٣٨هـ.

الإمــام ابن دقيق العيد رحمه الله :

عن الصاحب شرف الدين، قال: "كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب الأوقات، فكنا نراه في الليل؛ أما مصليا، وإما يمشي في جوانب البيت وهو مفكر إلى طلوع الفجر، قال: وسمعت الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المالكي، يقول: أقام الشيخ تقي الدين أربعين سنة لا ينام الليل، إلا أنه كان إذا صلى الصبح اضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار"(٢)،توفي رحمه الله سنة ٧٠٢هـ.

شيخ الإسلام ابن تيميــة رحمه الله :

قال تلميذه ابن عبد الهادي: "أما تعبده رضي الله عنه ، فإنه قل أن سمع بمثله؛ لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى إنه لم يجعل لنفسه شاغلة تشغله عن الله تعالى، ما يراد له من أهل ولا من مال [أي: أنه لم يتزوج].

وكان في ليله متفردا عن الناس كلهم، خاليا بربه عز وجل ضارعا، مواظبا على تلاوة القران العظيم، مكررا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا ذهب الليل وحضر مع الناس بدأ بصلاة الفجر، فإذا فرغ من الصلاة أثنى على الله عز وجل هو وان حضر بما ورد من قوله: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام...**»، ثم يقبل على الجماعة، ثم يأتي بالتهليلات الواردات حينئذ، ثم يسبح الله ويحمده ويكبره ثلاثا وثلاثين، ويختم المائة بالتهليل، كما ورد،... ثم يشرع في الذكر، وكان قد عُرفت عادته، لا يكلمه أحد بغير

---

(١) تاريخ الإسلام(١٤/ ٢٦٣).
(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(٥/ ٣٥١).

ضرورة بعد صلاة الفجر، فلا يزال في الذكر يُسمع نفسه، وربما يُسمع ذكره من الروحانية، هكذا دأبه، حتىٰ ترتفع الشمس ويزول وقت النهي عن الصلاة"[١]، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨هـ.

۞ الإمام المحقق المدقق ابن قيم الجوزية رحمه الله :

قال عنه تلميذه ابن رجب: "وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلىٰ الغاية القصوىٰ، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والاستغفار، والافتقار إلىٰ الله، والانكسار له، والاطراح بين يديه علىٰ عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علما، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله، وقد امتحن وأوفي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة، منفردا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ.

وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القران بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك علىٰ الكلام في علوم أهل المعارف، والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه، ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة"[٢]،توفي رحمه الله سنة ٧٥١هـ.

۞ الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله :

كان زاهدا ورعا حسن الديانة، كما كانت له صحبة بمشاهير قراء زمانه، وبالكثير من كبار الزهاد والعباد والناسكين والمعتدلين من المتصوفين غير الشاطحين.

---

(١) العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية(١/ ٧٥٨).
(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب(٥/ ١٧٠).

قال عنه تلميذه تقي الدين بن رافع السلامي: "كان خيرا صالحا متواضعا حسن الخلق حلو المحاضرة، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة، له ورد بالليل [أي قيام بالليل]، وعنده مروءة وكرم".

وقال عنه الزركشي: "كان عليه من الزهد التام، والإيثار العام، والسبق إلى الخيرات"[١]، توفي رحمه الله سنة ٧٤٨هـ.

الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال ابن حبيب عنه: "إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، وأطرب الأسماع بقوله وشنف، وحدث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط"[٢].

وقال عنه ابن حجى، أحد تلامذته: "أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ورجالها، وأعرفهم بجرحها وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك"[٣].

الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله:

كان عابدا زاهدا متقشفا، قال عنه الحافظ ابن حجر: "كان رحمه الله... ذا عبادة وتهجد، منجمعا عن الناس لا يخالطهم، ولا يتودد إلى أحد من ذوي الولايات.

وقال العليمي: اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه، وله مصنفات مفيدة، ومؤلفات عديدة"[٤]،توفي رحمه الله سنة ٧٩٥هـ.

الإمام الحافظ العراقي رحمه الله:

حكى رفيقه الحافظ الهيثمي، قال: "... وقد لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل،

---

(١) حيات التابعين (١٤٣٧).

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر(١/ ٣٩).

(٣) تاريخ ابن حجي(١/ ١٢).

(٤) شذرات الذهب لابن العماد(٦/ ٣٣٨).

بل صار له كالمألوف، وإذا صلىٰ الصبح استمر غالبا في مجلسه مستقبل القبلة، تاليا ذاكرا إلىٰ أن تطلع الشمس، ويتطوع بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وستة شوال، كثير التلاوة إذا ركب"[١]؛ أي: ركب الدابة.

وقال عنه الحافظ ابن حجر: "كان لا يترك قيام الليل بل صار له كالمألوف، وكان كثير التلاوة إذا ركب، وكان عيشه ضيقا". قال رفيقه الشيخ نور الدين الهيثمي: "رأيت النبي ﷺ في النوم، وعيسىٰ عليه السلام عن يمينه، والشيخ زين الدين العراقي عن يساره"[٢]، توفي بالقاهرة سنة ٨٠٦هـ.

۞ الإمام الحافظ الهيثمي[٣] رحمه الله:

قال عنه تلميذه ابن حجر: "... وكان تزوج ابنة الشيخ زين الدين العراقي، ورزق منها أولاداً، وقد عاشرتهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل، ورأيت من خدمة الشيخ نور الدين هذا لشيخنا [العراقي] وتأدبه معه من غير تكلف لذلك، ما لم أره لغيره، ولا أظن أحداً يقوىٰ عليه"[٤].

وقال عنه الأقفهسي: "كان إماما عالما حافظا زاهدا، متواضعا متوددا إلىٰ الناس، ذا عبادة وورع"[٥]،توفي رحمه الله سنة ٨٠٧هـ.

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي(٤/ ١٧٥).

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني(٣٧١).

(٣) هو علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صلح نور الدين أبو الحسن الهيثمي القاهري الشافعي الحافظ، ويعرف بالهيثمي، كان أبوه صاحب حانوت بالصحراء، فولد له هذا في رجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ،ونشأ فقرأ القرآن، ثم صحب الزين العراقي وهو بالغ ولم يفارقه سفرا وحضرا حتىٰ مات؛ بحيث حج معه جميع حجاته، ورحل معه سائر رحلاته، ورافقه في جميع مسموعه؛ بمصر والقاهرة والحرمين وبيت المقدس ودمشق وبعلبك وحلب وحماه. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٥/ ٢٠١).

(٤) المجمع المؤسس (/ ٢٦٥).

(٥) الثقات للعجلي (٤١).

۞ الإمام المفسر القرطبي[١] رحمه الله:

قال عنه الداوودي، في طبقات المفسرين: "كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة وتصنيف، جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا في خمسة عشر مجلدا، سماه كتاب جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن، وهو من أجلّ التفسير وأعظمها نفعا، أسقط منه القصص"[٢].

۞ الإمام ابن خطيب[٣] رحمه الله:

قال عنه قاضي شهبة: "... اشتغل في صغره، وحصل وكتب بالشامية على مسائل بسبب الانتهاء بها جماعة، فكان أحسنهم كتابة، وذلك سنة بضع وخمسين، وسمع الحديث، ثم ترك في المدارس والوظائف وأقبل على العبادة والطاعة، قال صاحبه الحافظ شهاب الدين بن حجي: كان يقوم الليل ويتحرى وسطه وينام، ويصوم يوما ويفطر يوما، وتارة يفطر أياما ويصوم مثلها، ويواظب على صوم الأيام الثلاثة، ويكثر من تلاوة القرآن والتسبيح، وهو مع ذلك على زيه الأول ولباس الفقهاء، وكان شكلا حسنا ذا وجه نير وانبساط مع من يحادثه، وإذا خلا وحده فلا تراه إلا مصليا أو تاليا او ذاكرا أو ما شاء الله من أنواع الخير، ويكثر المطالعة في الكتب الفقهية والزهدية وغير ذلك، وكان فهمه في الفقه والعلم فهما جيدا، وله أسئلة ويبدي إشكالات ويجيب ويبحث، وبالجملة فما في الفقهاء مثله ولا أعبد منه"[٤]،توفي رحمه الله سنة ٨٠٠هـ.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان.

(٢) طبقات المفسرين للداوودي(٢/ ٦٩).

(٣) هو الحسن بن علي بن سرور بن سليمان، الإمام العالم العامل العابد الفقيه الأوحد، بدر الدين أبو محمد بن الخطيب علاء الدين، الرمثاوي الأصل الدمشقي، المعروف بابن خطيب الحديثة، مولده سنة ست وثلاثين وسبعمائة.

(٤) طبقات الشافعية لقاضي شهبة (٣/ ١٥٢).

الإمام الحافظ ابن حجر رحمه الله:

قال تلميذه السخاوي: "... وأما تهجده فما كان يتركه، بل أخبرني غير واحد ممن رافقه في السفر: أنه كان يقوم الليل في السفر أيضا، وكذا لم يتركه في ضعف موته قائما، بل ربما توكأ علىٰ ولده إلىٰ أن أعيىٰ".

وقال: "... وأما أنا فبت معه، عقب وفاة ابنة أخت أم أولاده بتربتهم بجامع المارداني، فصلينا معه العشاء بالجامع المذكور، ورجعنا فنام والتف في لحاف حتىٰ مضىٰ من الليل النصف فيما أظن، ثم استيقظ والجماعة كلهم نائمون، واتفق أنني كنت مستيقظا، فهممت لأقوم معه فمنعني، وهو في سكون زائد ورشاقة؛ خوفا من استيقاظ أحد، فدخل الخلاء ثم توضأ وضوءا خفيفا جدا في تمام علىٰ جاري عادته، واستقبل المحراب فصلىٰ إلىٰ أن غلبني النوم، وكان يطيل القيام وكأنه كان يقرأ راتبا من القرآن في تهجده، ثم استيقظت فأجده نائما، وأظنه استمر كذلك إلىٰ أن قام لصلاة الصبح، وقمنا معه فصلينا بالجامع المارداني أيضا".

وقال: "... وأما صومه: فكان رحمه الله يسرد الصوم أولا، ثم صار يصوم يوما ويفطر يوما، مع الحرص علىٰ صوم تاسوعاء وعاشوراء وعرفة وستة شوال، ويأكل وقت الفطر يسيرا، ثم يتسحر بشيء يسير كذلك، قريب الفجر جدا، وأظنه كما كان يقصد في الصوم صوم داود عليه السلام، كذلك كان يتحرىٰ طريقته في الصلاة؛ ينام نصف الليل الأول، ويقوم ثلثه، وينام سدسه".

وقال: "وأما تلاوته: فكان يكثر منه، لا سيما في حال ركوبه وعقب صلاة الصبح، بتدبر وتأن وسكون، إذا مر بآية رحمة سأل، أو عذاب تعوذ، ولقد صليت معه المغرب، فقرأ في الركعتين بغالب سورة الأعراف، وكان شرع فيها بناء علىٰ قراءة السورة بتمامها؛ فإنه استأذن الجماعة، وكنا أربعة أو ثلاثة، فقرأ ما يقتضي التخفيف"[١]،توفي رحمه الله سنة ٨٥٢هـ. حال ركوبه: أي وقت ركوب الدابة.

---

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي(٣/ ١٠٤٤).

الإمام الحافظ السخاوي[١] رحمه الله:

كـان رحمه الله كثيـرا مـا يجـاور بـالحرمين ويتعبـد بهمـا إلـىٰ أن مـات، قـال عنـه صاحب الشذرات: "...حفظ القرآن العظيم وهو صغير، وصلىٰ به في شهر رمضان... وسمع الكثير علىٰ شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، ولازمه أشد الملازمة وحمل عنه ما لم يشاركه فيه غيره، وأخذ عنه أكثر تصانيفه... وحج بعد وفاة شيخه ابن حجر مع والديه، ولقي جماعة من العلماء... ثم حج سنة سبعين، وجاور وحدث هناك بأشياء من تصانيفه وغيرها، ثم حج في سنة خمس وثمانين، وجاور سنة ست وسبع [سنتين] وأقام منهما ثلاثة أشهر بالمدينة النبوية، ثم حج سنة اثنتين وتسعين، وجاور سنة ثلاث وأربع [سنتين]، ثم حج سنة ست وتسعين، وجاور إلىٰ أثناء سنة ثمان [ثلاث سنين]، فتوجه إلىٰ المدينة فأقام بها أشهرا وصام رمضان بها، ثم عاد في شوالها إلىٰ مكة وأقام بها مدة، ثم رجع إلىٰ المدينة وجاور بها إلىٰ أن مات"، وقال عنه: "وانتهىٰ إليه علم الجرح والتعديل؛ حتىٰ قيل: لم يكن بعد الذهبي أحد سلك مسلكه"[٢]،توفي رحمه الله بالمدينة المنورة، علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، سنة ٩٠٢هـ، ودفن بالبقيع.

الإمام الحافظ السيوطي رحمه الله:

قال في شذرات الذهب: "كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه؛ رجالا وغريبا ومتنا وسندا واستنباطا للأحكام منه، وأخبر عن نفسه أنه يحفظ مائتي ألف حديث، قال: ولو وجدت أكثر لحفظته، قال: ولعله لا يوجد علىٰ وجه الأرض الآن

---

(١) هو شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الأصل، القاهري المولد، الشافعي المذهب، نزيل الحرمين الشريفين، ولد في ربيع الأول سنة إحدىٰ وثلاثين وثمانمائة، وأخذ العلم علىٰ عدة مشايخ، منهم: الإمام ابن حجر ولازمه حتىٰ مات وألف عدة كتب، منها: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، وغنية المحتاج في صحيح مسلم، وغيرها.

(٢) شذرات الذهب لابن العماد(٨/ ١٤-١٥-١٦).

أكثر من ذلك! ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة، والانقطاع إلىٰ الله، والاشتغال به صرفا، والإعراض عن الدنيا وأهلها، كأن لم يعرف أحدا منهم، وشرع في تحرير مؤلفاته، أقام في روضة المقياس، ولم يفتح طاقات بيته التي علىٰ النيل من سكناه، وكان الأمراء والأغنياء يأتون إلىٰ زيارته ويعرضون عليه الأموال النفيسة فيردها.

ورؤي النبي ﷺ في المنام، والشيخ السيوطي يسأله عن بعض الأحاديث، والنبي ﷺ يقول له: **هات يا شيخ الحديث**"[1]،توفي رحمه الله سنة ٩١١هـ.

۞ محدث الحرمين أبو حفص المحرسي التونسي رحمه الله:

قال صاحب الترجمة: "كان الشيخ رحمه الله يقوم الليل، ويكثر من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن والاستغفار، وقد عرف ذلك عنه لأنه كان جهوري الصوت، وكان يصل صوته من مجلسه في باب العمرة [بالحرم] إلىٰ الجالس في باب السلام". قلت: وهذه المسافة تبلغ أكثر من مائة متر تقريباً.

قال: "وكان من القائمين الليل، قال عنه الشيخ أحمد صديق: بات عندي ليلة، فكان يقوم الليل بالصلاة ويجهر بالقراءة جداً، وكان جهير الصوت؛ حتىٰ قال لي الشيخ عبد الرسول -وكان جارنا-: ما تركني الشيخ عمر أنام هذه الليلة"[2]،توفى رحمه الله سنة ١٣٦٨هـ.

هذا بعض من وجدت له ترجمة في قيام الليل من السلف بعد زمن التابعين، ولا أظن أن أحداً من السلف الصالح كان يدع قيام الليل، ولكن كانوا يخفونه حتىٰ لا يطّلع عليه أحد.

---

(١) شذرات الذهب (١٠/ ٧٦).

(٢) محدث الحرمين عمر بن حمدان المحرسي (١/ ٥٢).

قال عمرو بن شيرويه الفارسي: "نزل رجل بالشرقي، فقام الضيف يصلي من الليل، فقال له صاحب المنزل: يا هذا، لا ترفع صوتك؛ فيرىٰ جيراني أني أقوم فأصلي من الليل" (١).

طـوبىٰ لمـن قـرأ القـرآن فأحكمـه ... ولمـن وعـاه بسـمعه وتفهمـه

ولمـن تهجـد في مصـلاه بـه ... ولمـن تـدبره وحـل مترجمـه

ولمـن أحـل حلالـه وأتـىٰ علـىٰ ... تحـريم مـا فيـه الحـرام فحرمـه (٢)



(١) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٨٥).

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للإمام السخاوي (٥/ ١٨٦).



من رأى رؤيا في قيام الليل

كان زياد بن عبد الله النميري ﵀، من القوامين، فنام ليلة عن ورده، قال: "فأتاني آت في منامي، فقال: قم يا زيا د على عبادتك من التهجد، وحظك من قيام الليل، فهو والله خير لك من نومه توهن بدنك، وينكسر لها قلبك، قال: فاستيقظت مرعوباً، ثم عاودني والله النوم، فأتاني ذلك أوغيره، فقال: قم يا زياد، فلا خير في الدنيا إلا للعابدين ! فوثبت فزعاً"(١).

قال ثابت البناني: "لا يسمى عابد أبدا عابدا، وإن كان فيه كل خصلة خير، حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم، والصلاة... "(٢). قلت: ولايكون ذلك إلا بأداء الواجبات وترك المحرمات، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ...»(٣).

والمحارم: هي كل ماحرمه الله ﷻ، ورسوله ﷺ، من الكبائر وغيرها، وقد جمع بعض أهل العلم الكبائر في كتاب، منهم الإمام الذهبي.

وعن يحي بن سعيد بن أبي الحسن، قال: "كان أبي إذا جن عليه الليل قام فتوضأ، ثم عمد إلى محرابه، فلم يزل قائماً فيه يصلي حتى يصبح، قال أبي: فنمت ليلة عن وقتي كنت أقوم فيه، فإذا بشاب جميل وقف عليَّ، فقال: قم يا سعيد إلى خير

---

(١) حليه الأولياء (٦/ ٢٦٧)، التهجد وقيام الليل (٣١٨)، مختصر قيام الليل (١/ ١٠٥).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٣١٨).

(٣) رواه أحمد (٨٠٩٥)، والترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجة (٤٢١٧)، والطبراني في الأوسط (٧٠٥٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٠٩٦)، وفي الزهد (٨١٨)، وأبو يعلى (٦٢٤٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٣٠)، وفي صحيح الجامع (١٠٠).

ما أنت قائم إليه، وقم إلىٰ تهجدك فإن فيه رضاء ربك وحض نفسك، وهو شرف المؤمنين عند ملكيهم يوم القيامة، قال: فحدثت به أخي الحسن، فقال: قد أطاف بي هذا الشاب قديماً"[١].

وقال داود بن رشيد: "قمت ليلة أصلي، فأخذني البرد لما أنا فيه من العري، فأخذني النوم، فرأيت كأن قائلا يقول: يا داود، أنمناهم وأقمناك، فتبكي علينا؟! قال الحربي: فأظن داود ما نام بعدها"[٢]؛ أي: ما ترك قيام الليل.

وعن عبد الواحد بن زيد، قال: "كنا في غزاة لنا ونحن في العسكر الأعظم، فنزلنا منزلا، فنام أصحابي وقمت أقرأ جزئي، قال: فجعلت عيناي تغلباني وأغالبهما حتىٰ استتممت جزئي، فلما فرغت وأخذت مضجعي قلت: لو كنت نمت كما نام أصحابي كان أروح لبدني، فإذا أصبحت قرأت جزئي، قال: فقلت هذه المقالة في نفسي! والله، ما تحركت بها شفتاي ولا سمعها أحد من الناس مني، قال: ثم نمت، فرأيت في منامي كأني أرىٰ شابا جميلا قد وقف علي وبيده ورقة بيضاء كأنها الفضة، فقلت: يا فتىٰ، ما هذه الورقة التي أراها بيدك؟ قال: فدفعها إلي فنظرت، فإذا فيها مكتوب:

ينام من شاء علىٰ غفلة ... والنوم أخو الموت فلا تتكل

تنقطع الأعمال فيه كما ... تنقطع الدنيا عن المنتقل

قال: وتغيب الفتىٰ عني فلم أره، قال: فكان عبد الواحد يردد هذا الكلام كثيرا، ويبكي ويقول: فرق النوم بين المصلين وبين لذتهم في الصلاة، وبين الصائمين وبين لذتهم في الصيام، ويذكر أصناف الخير"[٣].

وقال أبو سفيان: "حدثني رجل من البحرين، يقال له عامر بن مليك، قال: رأيت

(١) مختصر قيام الليل (١/ ١٠٥)، التهجد وقيام الليل (٣١٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٣٤)، ط ـ الرسالة.
(٣) حليه الأولياء، ط ـ السعاد (٦/ ١٦٢)، التهجد وقيام الليل (٣٣٥).

منيفة بعد موتها في منامي، فقلت: يا منيفة، ما حال الناس هناك؟ فأقبلت علي، وقالت: عن أي حالهم تسأل؟ الدار واحدة لأهل الطاعة، يتعالون فيها بالأعمال! ولا تسأل عن حال أهل النار! قال: فبكيت والله، من قولها: لا تسأل عن حال أهل النار! ثم وليت فأتبعتني صوتًا: يا عامر، عليك بالجد والاجتهاد؛ لعلك أن تجري في مساعي السابقين غداً، قال عامر: فمرضت والله، من هذه الرؤيا شهراً"(١).

وعن أبي سعيد، عن رجل من أهل الإسكندرية، قال: "كنت أبيت في مسجد بيت المقدس، قال: فكان قلَّ من يخلو من المتهجدين، قال: فقمت ذات ليلة بعدما قد مضى ليل طويل، فنظرت فلم أر في المسجد متهجدا، فقلت: ما حال الناس الليلة؛ لا أرى منهم أحدا يصلي ؟ قال: فوالله، إني لأفكر في ذلك في نفسي، إذ سمعت قائلا يقول من نحو القبة التي على الصخرة، كلمات كاد والله، أن يصدع بهن قلبي كمدا أو احتراقا وحزنا، قال: قلت: يا أبا سعيد وما قال ؟ قال: سمعته يقول بصوت حرف:

يا عجبا للناس لذت عيونهم ... مطاعم غمض بعده الموت منتصب

وطول قيام الليل أيسر مؤنة ... وأهون من نار تفور وتلتهب

قال: فسقطت والله، لوجهي وذهب عقلي، فلما أفقت نظرت فإذا لم يبق متهجد إلا قام"(٢).

وقال علي بن سليمان الأنماطي: "رأيت علي بن أبي طالب ﷺ في المنام، على خلقته التي وصفوه بها،وهو يقول:

لولا أن قوم لهم ورد يقومونا ... وآخرون لهم سرد يصومونا

لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا ... لأنكم قوم سوء لا تطيعونا(٣)

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٧٩).

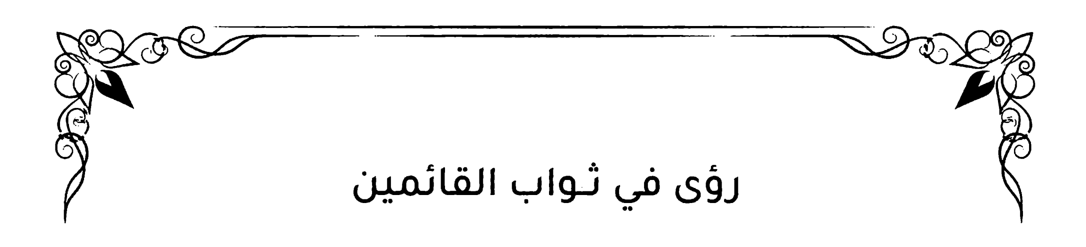
(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٧٤).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر(١/ ٢٦).

وهذا حق؛ فإن الله ﷻ ما أهلك الأمم الماضية إلا بذنوبهم وعصيانهم، قال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨ - ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣].





رؤى في ثواب القائمين

عن إبراهيم بن خالد بن ميناس رحمه الله، قال: حدثني صاحب لنا من الصوريين، قال: "مثلت لي القيامة في منامي، فجعلت أنظر إلىٰ قوم من إخواني، قد نضرت وجوههم وأشرقت ألوانهم وعليهم الحلل دون ذلك الجمع، فقلت: ما بال هؤلاء مكتسون، والناس عراة؟ ووجوههم مشرقة نضرة، والناس غبر كما نشروا من القبور؟ قال: فقال لي قائل: أما الذي رأيت من الكسوة، فإن أول ما يكسىٰ من الخلائق بعد النبيين المؤذنون وأهل القرآن، وأما ما رأيت من إشراق الوجوه، فذلك ثواب السهر والتهجد مع عظيم ما يدخر لهم في الجنة، قال: ورأيت قوما علىٰ نجائب، فقلت: ما بال هؤلاء ركبان، والناس حفاة مشاة؟ قال: فقيل لي: هؤلاء الذين قاموا لله علىٰ أقدامهم تقربا إليه، أثابهم بذلك خير الثواب؛ مراكب لا تروث ولا تبول، وأزواجا لا يمتن ولا يهرمن، قال: فصحت والله، في منامي: واها للعابدين، ما أشرف اليوم مقامهم!! قال: واستيقظت والله، وأنا وجل القلب مما كنت فيه"[1].

نجائب: هي خيار الإبل وأفضلها.

واها للعابدين: أي هنيئا لهم ما نالوه من الأجر والثواب العظيم.

فازوا بها ورجال الله فائزة وفي العناية تخصيص وإيثار

وفي الحديث، عن عقبة بن عامر الجهني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «... **يُجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ:**

---

(١) التهجد وقيام الليل (٣٥٠).

سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ لِمَنِ الْكَرَمُ الْيَوْمَ! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانَتْ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ؟، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ؟ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ لِمَنِ الْكَرَمُ الْيَوْمَ! ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْمَدُونَ رَبَّهُمْ؟»[١].

قلت: قد اشتمل القيام على هذه الثلاث؛ فالقائمون هم الذين تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع، وهم الذين لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله، وهم الشاكرون الحامدون، «أفلا أكون عبدا شكورا؟!».

وعن فروة الزاهد، عن رجل من أهل الأردن، قال: "كنا مرابطين بالصيرفية، وكنا لا نكاد أن ننام عامة الليل؛ نتحارس فيها بالتكبير والتهليل، قال: ثم ينام من ينام ويقوم المتهجدون إلىٰ صلاتهم، فنمت ذات ليلة في آخر الليل، فإذا أنا بقوم قد هبطوا علىٰ أهل المسجد ومعهم حلل، فهم يقفون علىٰ كل مصلي فيلبسونه حلة من حللهم، فإذا انتهوا إلىٰ نائم جاوزوه إلىٰ غيره، حتىٰ انتهوا إلي فقلت: ألا تلبسونني من حللكم هذه حلة؟ فقالوا لي: إنها ليست حلل لباس، إنما هو رضوان الله يحل عليهم"[٢].

اللهم أحلل علينا رضوا نك، واغفر لنا سبحا نك، ونجنا من نيرانك.

وعن سفيان قال: "كان محمد بن جحادة من العابدين، وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أيسره، قال: فرأت امرأة من جيرانه كأن حللا فرقت علىٰ أهل مسجدهم، فلما انتهىٰ الذي يفرقها إلىٰ محمد بن جحادة، دعا بسفط مختوم فأخرج حلة خضراء، قالت: لم يقم لها بصري، قالت: فكساه إياها، وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله، لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه [تعني الحلة]"[٣].

(١) مستدرك الحاكم (٢/ ٤٣٢). التعليق: من تلخيص الذهبي(٣٥٠٨) صحيح.
(٢) التهجد وقيام الليل (٣٢٢).
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ٣٠٣).

لـــو كنـــت مـــن أحبابنـــا للزمتنـــا فكســيت مــن إحســاننا خلــع الرضــاء
لكـــن هجـــرت مقامنـــا وتركتنـــا فلـذاك ضـاق عليـك متسـع الفضـاء [١]

وقال المغيرة بن حبيب، عن عبد الله بن غالب رحمه الله " لما دفن، أصابوا من قبره رائحة المسك، فرآه رجل فيما يرىٰ النائم، فقال: يا أبا فراس ماذا صنعت؟ قال: خير الصنيع، قال: إلىٰ ما صرت؟ قال: إلىٰ الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين، وطول التهجد، وظمأ الهواجر، قال: فيما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ، قال: أوصني! قال: بكل خير أوصيك، قال: أوصني! قال: اكسب لنفسك خيرا، لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلا، فإني رأيت الأبرار نالوا البر بالبر" [٢].

عطلا:أي بلا عمل.

وعن الحارث الغنوي، قال: "سجد مرة الهمداني، حتىٰ أكل التراب جبهته، فلما مات رآه رجل من أهله في منامه، كأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدري يلمع، قال: فقلت له: ما هذا الذي أرىٰ بوجهك؟ قال كُسِيَ موضع السجود بأكل التراب له نوراً، قال: فما منزلتك في الآخرة؟ قال: خير منزلة؛ دار لا يُنقل عنها أهلها ولا يموتون" [٣].

عَلَيْـكَ بِالتَّهَجُّـدِ وَقُـمْ طَـوِيلا وَاسْـجُدِ وَبِتْ نَدِيمَ الْفَرْقَدِ وَاسكب كُئُوسَ الأَدْمُعِ
وَارْكَعْ إِذَا اللَّيْلُ دَجَىٰ رُكُوعَ خَوْفٍ وَرَجَا وَعُدَّ إلىٰ سُفْنِ النَّجَا إِلَىٰ الْفَضَاءِ الأَوْسَعِ
فجَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ قَدْ تَزَخْرَفَتْ لِمَنْ عَبَدْ وَقَامَ لَـيْلا وَسَجَدْ فِـي طِمْـرِهِ الْمُرَقَّـعِ
وَنُهِّـدَتْ أَبْكَارُهَـا وَاطَّـرَدَتْ أَنْهَارُهَـا وَغَـرَّدَتْ أَطْيَارُهَـا فِـي كُـلِّ غُصْـنٍ مُونِـعِ

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب، ط ـ الفاروق (٤/ ٩٠). تم التصرف في الأبيات، وأصلها:

لـــو كنـــت لازمـــت الوقـــوف ببابنـــا للبســـت مـــن إحســـاننا خلـــع الرضـــا
لكـــن تركـــت حقوقنـــا وهجرتنـــا فلـــذاك ضـــاق عليـــك متســـع الفضـــاء

(٢) مختصر قيام الليل (١/ ٦٦).

(٣) صفة الصفوة(٢/ ٢١).

يَا مَنْ لَهُ تَبَتُّلِي فِي كُلِّ لَيْلٍ أَلْيَلِ ... وَمَنْ إِلَيْهِ مَوْئِلِي دُونَ الْوَرَىٰ وَمَفْزَعِ (١)

وعن مسمع بن عاصم المسمعي، قال: "قالت لي رابعة العابدة: اعتللت علة قطعتني عن التهجد وقيام الليل، فمكثت أياما أقرأ جزئي إذا ارتفع النهار؛ لما يذكر فيه أنه يعدل بقيام الليل، قال: ثم رزقني الله العافية، فاعتادتني فترة في عقب العلة؛ فكنت قد سكنت إلىٰ قراءة جزئي بالنهار وانقطع عني قيام الليل، قالت: فبينا أنا ذات ليلة راقدة، أريت في منامي كأني دفعت إلىٰ روضة خضراء ذات قصور وبيت حسن، فبينا أنا أجول فيها أتعجب من حسنها، إذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه، قالت: فشغلني حسنها عن حسنه، فقلت: ماذا تريدين منه؟ دعيه! فوالله، ما رأيت طائرا قط هو أحسن منه! قالت: فقالت: فهلا أريك شيئا هو أحسن منه؟ قال: قلت: بلىٰ، قالت: فأخذت بيدي فأدارت بي في تلك الروضة، حتىٰ انتهت بي إلىٰ باب قصر فيها، فاستفتحت ففتح لنا، ثم قالت: افتحوا لي بيت رابعة، قالت: ففتح لها باب شاع منه شعاع واستنار من ضوئه ما بين يدي وما خلفي، قالت: فدخلت وقالت: فادخلي، قالت فدخلت في بيت يحار فيه البصر تلألؤا وحسنا، ما أعرف له في الدنيا شبيها أشبهه به، قالت: فبينا نحن نجول فيه إذ رفع لنا باب يخرق إلىٰ بستان، قالت: فأهوت نحوه وأنا معها، فتلقانا فيه وصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ بأيديهم المجامر، فقالت لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد فلانا قتل في البحر شهيدا، قالت: أفلا تجمروا هذه المرأة ؟ قالوا: قد كان لها في ذلك حظ فتركته، قالت: فأرسلت يدها من يدي، ثم أقبلت علي فقالت:

صلاتك نور والعباد رقود ... ونومك ضد للصلاة عنيد

وعمرك غنم إن عقلت ومهلة ... يسير ويفنىٰ دائبا ويبيد

قالت: ثم غابت من بين عيني واستيقظت بعد الفجر، قالت: فوالله، ما ذكرتها فتوهمتها إلا طاش عقلي وأنكرته بعيني، قال: ثم سقطت رابعة مغشيا عليها". قال

(١) معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٤٠٩)، أبيات مختاره من قصيدة عبدالقاهر بن عبدالواحد القاضي.

دهثم العجلي: "ما نامت رابعة بعد هذه الرؤيا بليل حتىٰ ماتت"(١).

وعن يحيىٰ بن كثير، قال: "رأيت زبيدا اليامي في المنام، فقلت: إلىٰ ما صرت يا أبا عبد الرحمن ؟ قال: إلىٰ رحمة الله، قلت: فأي عملك وجدت أفضل ؟ قال: الصلاة.."(٢).

وعن أبي بكر بن عياش، عن الأجلح قال: "رأيت سلمة بن كهيل في النوم، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: قيام الليل"(٣).

ورأىٰ محمد بن إبراهيم الإمام الجنيد - سيد الطائفة بعد موته- فقال له:"ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا رُكيعات كنا نركعها في الأسحار"(٤).

هذي حقيقة الدنيا؛ يذهب كل شيء: المناصب والمراكز والرتب والدرجات، ولايبقىٰ إلا الحسنات والسيئات: "ما نفعنا إلا رُكيعات"، فليت شعري هل نفقه هذا الكلام ونفهمه؟

وعن أبي عبد الله البراثي زوج جوهرة البراثيه رحمهما الله، قال: "رأت جوهرة في منامها خياما مضروبة، فقالت لمن ضربت هذه الخيام؟ فقيل: للمتهجدين بالقرآن، فكانت بعد ذلك لا تنام"(٥).

وقد ورد ذكر الخيام في القرآن والسنه، قال تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧٢-٧٣]، صدق الله ﷻ، وفي الحديث عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ،

---

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٧٦).

(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ٨٩).

(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ٣٣).

(٤) حليه الأولياء (١٠/ ٢٥٧)، شعب الإيمان (٤/ ٥٤٣).

(٥) صفة الصفوة (١/ ٧١٥).

عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا، فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ، مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ»[١] . متفق عليه.

ولك أن تتخيل حجم هذه الخيمة العظيمة التي عرضها ستون ميل، وفي رواية: «ارتفاعها» ، فقد تكون على هيئة خيام الدنيا، وقد تكون مستديرة الشكل على هيئة القبة، فقد جاء في وصف الكوثر: «حافتاه قباب الؤلؤ»، وهذه الخيمة من لؤلؤ، ومن المعلوم أن الخيمة متقاربة الأطوال، وهذا عرضها، فما بالك بطولها؟ والميل الواحد = ١.٦٠٩ كيلومتر، و٦٠ ميلا= ٩٦.٥٤ كيلومتر؛ أي أن عرضها يقارب مائة كيلو متر، وكذلك ارتفاعها وطولها، وهذا يعني أن هذه الخيمة تضاهي أكبر المدن في العالم؛ فهي أكبر من مدينة الرياض، وأكبر من مدينة جدة، وأكبر من مدينة القاهرة!! وهي من لؤلؤة واحدة مجوفة، وبها غرف كثيرة وزوجات، وهذا كله لشخص واحد فقط، ولك أن تتخيل حجم هذه الخيمة العظيمة الكبيرة التي لم يخلق مثلها في البلاد، ولم ير مثلها العباد!!

وكان بعض السلف يقوم الليل، فنام ليلة، فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: "قمْ فصل، ثم قال له: أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل، هم خزانها"[٢] .

لقد فَازَ بِالْملكِ الْعَظِيم عِصَابَة ... تبيت قيَاما فِي دجى اللَّيْل ترهب

إِذا أشرف الْجَبَّار من فَوق عَرْشه ... وَقد زينت حور الْجنان الكواعب

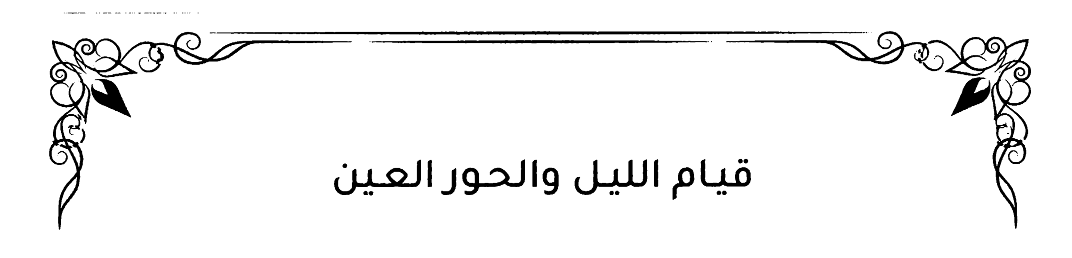
فناداهم سهلا وَأهلا ومرحبا ... أبحت لكم دَاري وَمَا شِئْتُم أطلبوا[٣]



(١) البخاري(٤٨٧٩)، مسلم(٢٨٣٨).

(٢) معارف الإنعام وفضائل الشهور والأيام (١٢٧).

(٣) بستان الواعظين لابن الجوزي(١٢٢).



قيام الليل والحور العين

تَـيَقَّظْ لِسَـاعَاتٍ مِـنَ اللَّيْـلِ يَـا فَتَـىٰ   لَعَلَّـكَ تحظـىٰ فِـي الْجِنَـانِ بِحُورِهَـا
فَتَـنْعَمُ فِـي دَارٍ يَـدُومُ نَعِيمُهَـا   مُحَمَّـدٌ فِيهَـا وَالْخَلِيـلُ بِزورِهَـا[1]

عن عبد العزيز بن سلمان العابد، حدثني مطهر السعدي ﷺ، قال: "أُريت كأني علىٰ ضفة نهر يجري بالمسك الأظفر، حافتاه شجر ولؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، وإذا أنا بجوارٍ مزينات، يقلن بصوت واحد: سبحان المسبح بكل لسان سبحانه، سبحان الدائم في كل الأزمان سبحانه، فقلت: من أنتن؟ فقلن: خلق من خلق الرحمن سبحانه، فقلت: ما تصنعن هاهنا؟ فقلن:

ذرأنا إلـه النـاس ربُّ محمـد   لقـوم علـىٰ الأطـراف بالليـل قُـوم
ينـاجون ربَّ العـالمين إلههـم   وتسـري همـوم القـوم والنـاس نـوم

فقلت: بخٍ بخٍ لهؤلاء! من هؤلاء؟ لقد أقر الله أعينهم بكن؟ فقلن: أوما تعرفهم؟ قلت: لا والله، ما أعرفهم ! قلن: بلىٰ، هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر"[2].

ومصداق ذلك في الحديث الصحيح، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذْ عَرَضَ لِي نَهَرٌ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، قَالَ: فَأَهْوَىٰ الْمَلَكُ بِيَدِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ مِسْكًا أَذْفَرَ»**[3] . البخاري.

---

(١) فضل قيام الليل والتهجد للآجري (١٢٥).
(٢) التهجد وقيام الليل (٣٥٣/ ٣٥٤)، صفه الصفوة (٢/ ١٨٥).
(٣) خرجه البخاري برقم (٤٩٦٤)، وأحمد (١٣١٥٧)، واللفظ له، والترمذي (٣٣٦٠)، وابن حبان (٦٤٧٤)، وغيرهم.

وقال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري رحمهما الله: "بينما أنا ساجد، إذ ذهب بي النوم، فإذا أنا بالحوراء قد ركضتني برجلها، فقالت: ياحبيبي، أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلىٰ المتهجدين في تهجدهم ؟ بؤسا لعين آثرت لذة النوم علىٰ مناجاة العزيز!! فقدم ؛ فقد دنا الفراغ، ولقي المحبون بعضهم بعضا، فما هذا الرقاد؟! حبيبي وقرت عيني، أترقد عيناك، وأنا أربىٰ لك في الخدور منذ كذا وكذا ؟ فوثبت فزعا وقد عرقت استحياء من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي"[١].

ركضتني برجلها: أي ركضت قدمه برجلها.

وقال أزهر بن ثابت التغلبي: "كان أبي من القوامين لله في سواد هذا الليل، قال: رأيت في منامي امرأه لاتشبه نساء الدنيا، فقلت: من أنت ؟ قالت: حوراء أمة الله، قلت: زوجيني نفسك، قالت: اخطبني إلىٰ سيدي وأمهرني، قلت: وما مهرك ؟ قالت: طول التهجد"[٢].

وعن عون بن أبي شداد، أن رجلا كان يقوم من الليل فيحييه صلاة، ففتر عن ذلك، قال: فأتاه آت في منامه، فقال: "قد كنت يا فلان نديب الخطبة، فما الذي قصر بك عن ذلك؟ قال: وما ذاك؟ قال: كنت تقوم من الليل، أوما علمت أن المتهجد إذا قام إلىٰ تهجده قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلىٰ خطبته؟"[٣].

ونام عبد الواحد بن زيد ﷺ عن ورده ليلة، فرأ حوراء تقول له: " يا ابن زيد، جد في طلبي، فإني في طلبك، ثم جعلت تقول:

من يشتريني ومن يكن سكني   يأمن في ربحه من الغبن؟!

فقلت: ياجاريه، ماثمنك ؟ **فأنشأت تقول:**

(١) صفه الصفوة (٢/ ٣٨١).
(٢) مختصر قيام الليل (١/ ١٠٥)، التهجد وقيام الليل (٣٢٠).
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ٢٦٤).

تّودد لله مع محبته … وطول فكر يشاب بالحزن

فقلت: لمن أنت ياجاريه؟ فقالت:

لمالك لايرد لي ثمنا … من خاطب قد أتاه بالثمن

فانتبه، وآلىٰ علىٰ نفسه أن لا ينام بالليل"(١).

آلى: حلف أو أخذ علىٰ نفسه عهدا.

وعن مضر القاري ، رَحِمَهُ اللَّهُ قال: "كان رجل من العباد قلما ينام من الليل، قال: فغلبته عينه ذات ليله فنام عن جزئه، فرأىٰ فيما يرىٰ النائم، كأن جارية وقفت عليه كأن وجهها القمر المستتم، قال: ومعها رق فيه كتاب، فقالت: أتقرأ أيها الشيخ؟ قلت: نعم، قالت: فاقرأ هذا الكتاب، قال: فأخذته من يدها ففتحته، فإذا فيه مكتوب:

ألهتك لذت نومة عن خير عيش … مع الخيرات في غرف الجنان

تعيش مخلدا لا موت فيها … وتنعم في الجنان مع الحسان

تيقظ من منامك إن خيرا … من النوم التهجد بالقرآن

قال: فوالله، ما ذكرتها قط إلا ذهب عني النوم"(٢).

قلت: نسب الإمام الغزالي هذه القصة في الإحياء، إلي الإمام مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد ورد ذكر الخيرات الحسان في القرآن والسنة، قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧٠-٧١]، صدق الله تعالىٰ، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أزْواجَ أهْلِ الجنَّةِ ليُغَنِّينَ أزْواجَهُنَّ بأحْسنِ أصواتٍ، ما سمِعَها أحدٌ قَطُّ، إنَّ مِمّا يُغَنِّينَ به: نحنُ الخيْراتُ الحِسَانُ، أزواجُ قومٍ كِرام، ينظُرونَ بقُرَّةِ أعْيان، وإنَّ مِمّا يُغَنِّينَ به: نحنُ الخالِداتُ فلا نَمُتْنَهْ، نَحنُ الآمِناتُ فلا نَخَفْنَهْ، نحنُ

(١) حليه الأولياء (٦/ ١٥٧)، صفه الصفوة (٢/ ٣٢٤).
(٢) حليه الأولياء (١٠/ ١٥)، صفة الصفوة (٢/ ٥٢٧) ، التهجد وقيام الليل (٣١٧).

المُقيماتُ فلا نَظْعَنَّهْ»(١).

وقال سليمان بن منصور: "كنت في مجلس أبي منصور، فوقعت رقعة في المجلس، فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، يا أبا السري، أنا رجل من إخوانك تبت على يديك، وأنا اشتريت من الله ﷻ حوراء على صداق ثلاثين ختمة، فختمت منها تسعا وعشرين فأنا في الثلاثين، إذ حملتني عيناي فرأيت كأن حوراء خرجت علي من المحراب، فلما رأتني أنظر إليها أنشأت تقول برخيم صوتها:

أَتَخْطُبُ مِثْلِي وَعَنِّي تَنَامُ   وَنَوْمُ الْمُحِبِّينَ عَنِّي حَرَامُ

لِأَنَّا خُلِقْنَا لِكُلِّ امْرِئٍ   كَثِيرِ الصَّلَاةِ بَرَاهُ الصِّيَامُ

فانتبهت وأنا مذعور"(٢).

الصداق: مهر المرأة.   **حملتني عيناي**: أي غلبتني على النوم.

وعن محمد بن عبد العزيز السائح، قال: حدثنا أبي، قال: "كان فتى من المتعبدين له ورد من الليل يقومه، ففتر عن ورده ذلك، قال: فبينما أنا ذات ليلة راقد، رأيت في منامي كأن فتى وقف علي، فقال لي:

تَيَقَّظْ لِسَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ يَا فَتًى   لَعَلَّكَ تحظى فِي الْجِنَانِ بِحُورِهَا

فَتَنْعَمُ فِي دَارٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا   مُحَمَّدٌ فِيهَا وَالْخَلِيلُ بزورِهَا

فَقُمْ فَتَيَقَّظْ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ   لعلك تقضي مَا بَقِيَ مِنْ مُهُورِهَا"(٣)

وقال علي بن الحسن رحمه الله: "كان لنا جار من المتعبدين قد برز في الاجتهاد، فصلى حتى تورمت قدماه، وبكى حتى مرضت عينه، فاجتمع إليه أهله وجيرانه،

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٧٣٤)، وفي الأوسط (٤٩١٧)، وقال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح" (١٨٧٦٠) مجمع الزوائد، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٣٧٤٩) وفي غيره.

(٢) حلية الأولياء(٩/ ٣٢٩)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٤/ ٣٢٦).

(٣) فضل قيام الليل للآجري (١٢٥).

فسألوه أن يتزوج؛ فاشترىٰ جارية، وكانت تغني وهو لايعلم، فبينا هو ذات يوم في محرابه يصلي، رفعت الجارية صوتها بالغناء؛ فطار لبه، فرام ماكان عليه من العباده فلم يطق، فأقبلت الجاريه عليه، فقالت: يامولاي، لقد أبليت شبابك، ورفضت لذت الدنيا أيام حياتك؛ فلو تمتعت بي؛ فمال إلي قولها، واشتغل باللذات عما كان فيه من العباده، فبلغ ذلك أخا له كان يوافقه علىٰ العباده؛ فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من الناصح الشفيق، والطبيب الرفيق، إلىٰ من سلب حلاوة الذكر، والتلذذ بالقرآن، والخشوع والأحزان؛ بلغني أنك اشتريت جارية بعت بها من الآخرة حظك؛ فإن كنت بعت الجزيل بالقليل، والقرآن بالقيان، فإني محذرك هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وموتم الأولاد!! فكأنه قد جاء علىٰ غرة فأبكم منك اللسان، وهدم منك الأركان، وقرب منك الأكفان، وأحتوشك الأهل والجيران، وأحذرك من الصيحة إذا جثت الأمم لهول ملك جبار!! فاحذر يا أخي، مايحل بك من ملك غضبان، ثم طوىٰ الكتاب، وانفذه إليه، فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فغص بريقه، وأذهله ذلك، فنهض مبادرا من مجلس سروره، وكسر آنيته، وهجر جاريته، وآلىٰ أن لايطعم الطعام ولا يتوسد المنام.

قال الذي وعظه: فلما مات [أي بعد زمن] رأيته في المنام بعد ثلاث، فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: قدمنا علىٰ رب كريم أباحنا الجنة، وقال:

الله عوضني ذو العرش جارية ... حوراء تسقيني طورا وتهنيني

تقول لي أشرب بما قد كنت تأملني ... وقر عينا مع الولدان والعين

يا من تخلىٰ عن الدنيا وأزعجه ... عن الخطايا وعيد في الطواسين"[1]

القيان: المغنيات. **آلى:** حلف أو أخذا علىٰ نفسه عهدا.

الطواسين: ورق الرسائل.

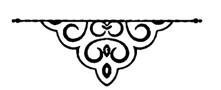
---

(١) التوابين لابن قدامة ـ ط ـ ابن حزم (١٥٥).

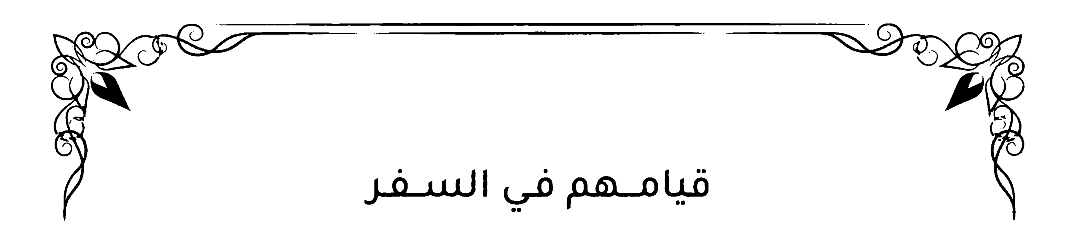
وحكىٰ اليافعي عن عبد الواحد بن زيد، قال: "بينما نحن ذات يوم في مجلسنا هذا، قد تهيأنا للخروج إلىٰ الغزو، وقد أمرت أصحابي: أن تهيؤوا لقراءة آية، فقرأ رجل في مجلسنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]، فقام غلام في مقدار خمس عشرة سنة، أو نحو ذلك، وقد مات أبوه وورثه مالاً كثيراً، فقال: يا عبد الواحد بن زيد، إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة؟ فقلت: نعم حبيبي، فقال لي: أشهدك أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة! فقلت له: إنّ حدّ السيف أشدّ من ذلك، وأنت صبي، وإني أخاف أن لا تصبر وتعجز عن ذلك! فقال: يا عبد الواحد، أبايع الله بالجنة ثم أعجز!! أنا أشهد الله أني قد بايعته، أو كما قال ﷺ، قال عبد الواحد: فتقاصرت إلينا أنفسنا، وقلنا: صبي يعقل ونحن لا نعقل؟! فخرج من ماله كله وتصدق به، إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج كان أوّل من طلع علينا، فقال: السلام عليك يا عبد الواحد، فقلت: وعليك السلام، ربح البيع! ثم سرنا وهو معنا، يصوم النهار، ويقوم الليل، ويخدمنا ويخدم دوابنا، ويحرسنا إذا نمنا، حتىٰ إذا انتهينا إلىٰ بلاد الروم، فبينما نحن كذلك، إذا به قد أقبل وهو ينادي: واشوقاه، إلىٰ العيناء المرضية؛ فقال أصحابي: لعله وسوس هذا الغلام واختلط عقله، فقلت: حبيبي، وما هذه العيناء المرضية؟ فقال: إني غفوت غفوة، فرأيت كأنه أتاني آت، فقال لي: اذهب إلىٰ العيناء المرضية، فهجم بي علىٰ روضة فيها نهر من ماء غير آسن، وإذا علىٰ شط النهر جوار عليهنّ من الحليّ والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية، فقلت: السلام عليكنّ، أفيكنّ العيناء المرضية؟ فقلن: نحن خدمها وإماؤها، امضِ أمامك فمضيت أمامي، فإذا بنهر من لبن لم يتغير طعمه في روضة فيها من كل زينة، فيها جوار لما رأيتهنّ افتتنت بحسنهنّ وجمالهنّ، فلما رأينني استبشرن بي وقلن: والله، هذا زوج العيناء المرضية، فقلت: السلام عليكنّ، أفيكنّ العيناء المرضية؟ فقلن: وعليك السلام يا وليّ الله، نحن خدمها وإماؤها، فتقدم أمامك فتقدّمت، فإذا أنا بنهر من خمر، وعلىٰ

شط الوادي جوار أنسينني من خلفت، فقلت: السلام عليكنّ، أفيكنّ العيناء المرضية؟ قلن: لا نحن خدمها وإماؤها، امض أمامك فمضيت أمامي، فإذ بنهر آخر من عسل مصفىٰ، وجوار عليهن من النور والجمال ما أنساني ما خلفت، فقلت: السلام عليكنّ، أفيكنّ العيناء المرضية؟ فقلن: يا وليّ الله، نحن إماؤها وخدمها، فامض أمامك، فمضيت إلىٰ خيمة من درّة بيضاء، وعلىٰ باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأتني استبشرت ونادت في الخيمة: أيتها العيناء المرضية، هذا بعلك قد قدم، قال: فدنوت من الخيمة ودخلت، فإذا هي قاعدة علىٰ سرير من ذهب مكلل بالدّر والياقوت، فلما رأيتها أفتتنت بها، وهي تقول: مرحباً بك يا وليّ الرحمن، قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها، فقالت: مهلاً، فإنه لم يؤذن لك أن تعانقني؛ لأن فيك روح الحياة، وأنت تفطر الليلة عندنا، قال: فانتبهت يا عبد الواحد، ولا صبر لي عنها، قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتىٰ ارتفعت لنا سرية من العدوّ، فجعل الغلام فعددت تسعة من العدو قتلهم وكان هو العاشر، فمررت به وهو يتشحَّط في دمه وهو يضحك ملء فيه، حتىٰ فارق الدنيا رضي الله عنه ونفعنا به آمين"[1].

يَاخَاطِـبَ الحُـورِ الحِسَـانِ وَطَالِبًـا ... لِوِصَـالِهِنْ بِجَنَّـةِ الحَيَـوانِ
لَـو كُنْـتَ تَـدْرِي مَـن خَطَبْـتَ وَمَـن طَلَبْـ ... ـتَ بَـذَلْتَ مَـا تَحْـوِي مِـنَ الأَثْمَـانِ
أَوْ كُنْـتَ تَـدْرِي أَيْـنَ مَسْـكَنُهَا جَعَلْـ ... ـتَ السَّـعْيَ مِنْـكَ لَهَـا عَلَـىٰ الأَجْفَـانِ[2]



(١) إرشاد العباد إلىٰ سبيل الرشاد (٣٢٣).
(٢) نونية ابن القيم (٣٠).



قيامـهم في السـفر

منـــعَ القـــرآنُ بوعـــدهِ ووعيـــدهِ   مُقَـــلَ العيـــونِ بليلهَـــا لا تهجـــعُ
فَهِمُـــوا عـــنِ الملـــكِ العظـــيمِ كلامـــهُ   فَهمًـــا تـــذلُّ لـــهُ الرقـــابُ وتخضـــعُ[1]

قال أبو الطيب موسىٰ بن بشار: "صحبت محمد بن واسع من مكة إلىٰ البصرة، فكان يصلي الليل أجمع في المحمل جالسا يومئ برأسه إيماءً، وكان يأمر الحادي يكون خلفه، ويرفع صوته حتىٰ لا يفطن له، وكان ربما عرَّس من الليل، فينزل فيصلي، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلا رجلا، فيجئ إليهم، فيقول: الصلاة، الصلاة"[2].

قال عنه القائد المسلم قتيبة بن مسلم، عندما علم أنه قد رفع إصبعه يدعو: "تلك الأصبع الفاردة أو الفارعة، أحبُّ إليَّ من مئة ألف سيف شهير، وسِنانٍ طَرِير"[3].

المحمل: مايوضع علىٰ ظهر البعير للركوب.

عرس: أي توقف للاستراحة أو النوم.

وقال عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر: "بتُّ عند أحمد بن حنبل، فوضع لي ماءً، فلما أصبح وجدني لم أستعمله، فقال: صاحبُ حديث لا يكون له ورد في الليل؟

(١) حلية الأولياء (٩/ ٣٦٩).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٣٤٦)، مختصر قيام الليل (٤٦).

(٣) عن عبد الواحد بن زيد قال: "خرج محمد بن واسع في غَزاة مع قُتيبة، وقد لقيَ التُّركَ في يوم لا يُرىٰ فيه إلَّا الرؤوس طائرةً، فقال قتيبة بن مسلم: انظروا إلىٰ محمد بن واسع، فنظروا، وإذا به في طرف الميمنة رافعًا أصبُعَهُ إلىٰ السماء، فأخبروا قُتيبة، فقال: تلك الأصبع الفاردة أو الفارعة، أحبُّ إليَّ من مئة ألف سيف شهير، وسِنانٍ طَرِير، ثم قال: لا يُخذل جيشٌ فيه محمد بن واسع، احملُوا علىٰ بركة الله، فحملُوا، فانهزمت التُّرك"، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان(١١/ ١٢٣).

قلت: أنا مسافر! قال: وإن كنت مسافراً! حج مسروق فما نام إلا ساجداً"[١].

وقال عمار بن عمرو البجلي: "خرجنا مع محمد بن النضر الحارثي إلىٰ مكة، فما كنا نستيقظ ساعة من الليل، إلا وهو علىٰ بعيره قاعد يقرأ، فكنا نرىٰ أنه لم ينم حتىٰ دخل مكة، وكان إذا نزل فإنما هو في خدمة أصحابه، فيقال له: يا أبا عبد الرحمن، نحن نكفيك! فيأبىٰ، ويقول: أتنفسون عليَّ بالثواب ؟!"[٢].

وعن جندب بن الربيع: "صحبت محمد بن النضر الحارثي في سفينة، فما رأيته نائما في ليل ولا نهار، ولا رأيته يأكل حتىٰ خرج منها"[٣].

وعن أبي إسحاق، قال: "حج مسروق فلم ينم إلا ساجدا علىٰ وجهه حتىٰ رجع"[٤].

وعن محمد بن أبي سارة، قال: (رأيت سالم بن عبد الله قدم علينا حاجا، فصلىٰ العشاء ثم مال إلىٰ ناحية مما يلي باب بني سهم، فافتتح الصلاة فلم يزل يميل يمينا وشمالا حتىٰ طلع الفجر، ثم جلس فاحتبىٰ بثوبه"[٥].

وعن عبد الله بن إدريس، قال: "ما رأيت الليل علىٰ أحد من الناس أخف منه علىٰ أبي حيان التيمي؛ صحبناه مرة إلىٰ مكة، فكان إذا أظلم الليل فكأنه هذه الزنابير إذا هيجت من عشها"[٦].

وعن السري بن يحيىٰ، قال: "كان سليمان التيمي في طريق مكة يتوضأ لصلاة العشاء، ثم يصلي الليل كله في محمله حتىٰ يصبح، ثم يصلي الصبح بوضوء ه ذلك"[٧].

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٢٧٣)، شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣٤).
(٢) التهجد وقيام الليل (٢٢٢).
(٣) مختصر قيام الليل (٥١).
(٤) الزهد للإمام أحمد (٤٨٤).
(٥) التهجد وقيام الليل (١/ ٧٨).
(٦) التهجد وقيام الليل (١/ ١٣٧).
(٧) شعب الإيمان (٤/ ٥٣٠).

وقال هشام بن حسان: "ما رأيت أحداً قط أصبر على طول القيام والسهر من ثابت؛ صحبناه مرة إلى مكة، فكنا إن نزلنا ليلاً، فهو قائم يُصلي حتى يصبح، وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظاً ونحن نسير؛ إما باكياً وإما تالياً"[١].

وكان رحمه الله يضرب به المثل في النسك والعبادة؛ لكثرت عبادته ونسكه.

قال عنه القحطاني في نونيته:

لا تَخْلُ بامْرَأة لَدَيْكَ بِرِيْبَةٍ ... لَوْ كُنْتَ في النُّسَّاكِ مِثْلَ بُنَانِ[٢]

وعن مرة بن ربيعة، قال: "حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة، فما رأيته مضطجعا على المحمل في ليل ولا نهار قط، وكان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب"[٣].

القتب: مايوضع على ظهر البعير للجلوس عليه، وهو أصغر من الرحل.

وقال الحسين بن أبي يزيد: "صاحبت وكيع بن الجراح إلى مكة، فما رأيته متكئاً، ولا رأيته نائماً في محمل"[٤]، وقال عنه يحيى بن أكثم: "صحبت وكيعاً في السفر والحضر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة"[٥]، وكان رحمه الله سراجا من سرج العلم، قال عنه الإمام الشافعي:

شَكَوْتُ إلى وَكيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللهِ لاَ يُهْدَى لِعَاصِي[٦]

---

(١) التهجد وقيام الليل (٢٣٣).

(٢) مجموع القصائد الزهدية (١/ ١٦١)، نونية القحطاني.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٣٦)، البداية والنهاية (١٠/ ١١٧).

(٤) صفه الصفوة (٢/ ٩٩).

(٥) صفه الصفوة (٢/ ٩٩).

(٦) ديوان الشافعي.

وقال الحاكم: "سمعت محمد بن حمدون يقول: صحبت أبا بكر بن إسحاق سنين، فما رأيته قط ترك قيام الليل؛ لا في سفر ولا حضر"[١].

وعن ابن فضيل، سمعت أبي يقول: "ما رأيت كرز بن وبرة قط في ساعة إلا يصلي، وكنا إذا نزلنا المنزل قال بالمحمل فأطبقه، ثم قام يصلي، فصادفنا منزلا ليس فيه ماء، فقلنا: إن ترك الصلاة فاليوم، فضرب بيده علىٰ التراب فتيمم ثم قام يصلي"[٢].

وعن حيان العطار، قال: "أقبلت مع كرز بن وبرة من القادسية، فكان يقرأ ويصلي علىٰ حماره، وينزل فيصلي ركعتين ثم يركب فيصلي علىٰ حماره، ثم يسير هنية ثم ينزل فيصلي ركعتين، وقال لي: أتحب أن تصبر لي نفسك؟ قلت: اصنع ما شئت، فما زال يفعل ذلك حتىٰ دخل الكوفة"[٣]. هكذا كان السلف يحافظون علىٰ أعمالهم.

تصبر لي نفسك: أي تصبر حتىٰ أُصلي.

وعن عبد الله بن إبراهيم، قال أخبرني أبي، قال: "سافر المغيرة بن حكيم إلىٰ مكة أكثر من خمسين سفرا؛ حافيا محرما صائما، لا يترك صلاة السحر في سفره؛ إذا كان السحر نزل فصلىٰ ويمضي أصحابه، فاذا صلىٰ الصبح لحق متىٰ ما لحق"[٤].

وعن عبد السلام بن حرب، قال: "ما رأيت أصبر علىٰ السهر من خلف بن حوشب؛ سافرت معه إلىٰ مكة، فما رأيته نائما بليل حتىٰ رجعنا إلىٰ الكوفة"[٥].

وقال علي بن الحسن بن شقيق: "لم أر أحداً من الناس أقرأ من ابن المبارك، ولا أحسن قراءةً، ولا أكثر صلاةً منه؛ كان يُصلي الليل كله في السفر وغيره، وكان يرتل القرآن ويمده، وإنما ترك النوم في المحمل؛ لأنه كان يصلي وكان

(١) سير أعلام النبلاء، ط ـ الرسالة (١٥/ ٤٨٥).
(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ١٦٢).
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ١٦٣).
(٤) صفه الصفوة (٤٥٨).
(٥) التهجد وقيام الليل (١/ ٧٧).

الناس لا يدرون"[١].

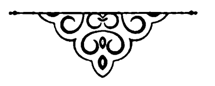
وكان طاوس بن كيسان رحمه الله، لايدع قيام الليل حضرا ولا سفرا عن داود بن إبراهيم، قال: "إن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج، فدق الناس بعضهم بعضا، فلما كان في السحر ذهب عنهم، فنزل الناس يمينا وشمالا، فألقوا أنفسهم فناموا، وقام طاوس يصلي، فقال رجل لطاوس: فإنك قد نصبت منذ الليلة، فقال طاوس: ومن ينام في السحر؟!"[٢].

دق الناس بعضهم بعضا: ازدحموا بشدة. **نصبت:** تعبت.

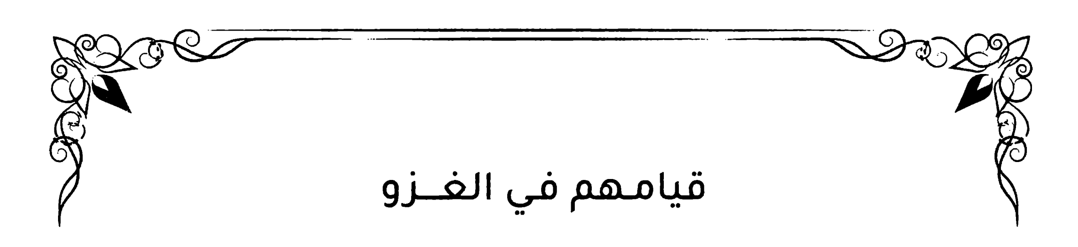
وكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: "سَافَرْتُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مِنْ مَكَّةَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَهُمْ يَسِيرُونَ إِلَيْهَا وَيَنْزِلُونَ بِاللَّيْلِ، فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه يَقُومُ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ حَرْفًا حَرْفًا، ثُمَّ حَكَىٰ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ يَبْكِي حَتَّىٰ تَسْمَعَ لَهُ نَشِيجًا"[٣].

وعَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: "أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُصَلِّي مَعَ الْفَرِيضَةِ فِي السَّفَرِ شَيْئًا قَبْلَهَا وَلاَ بَعْدَهَا، إِلاَّ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي بالأَرْضِ أَوَ علَىٰ بعيره أو علىٰ رَاحِلَتِهِ، حَيْثُما تَوَجَّهَتْ به"[٤].

وقد ورد هذا عن كثير من السلف؛ أنهم حجوا فما ناموا في الحج، ولا في طريقهم إلىٰ الحج رحمهم الله.



(١) الجرح والتعديل (١/ ٢٦٦).
(٢) حليه الأولياء (٤/ ١٤)، الزهد للإمام أحمد (٢٥٥).
(٣) مختصر قيام الليل للمقريزي (١٣٢).
(٤) موطأ مالك (١/ ١٥٥).



قيامهم في الغزو

في اللَّيْلِ رُهبَانٌ، وَعِنْدَ لقائهم ... لِعَدُوهِمْ مِنْ أَشْجَعِ الشجعاني
وَإِذَا بَدَا عَلَمُ الرَهَانِ رأَيتَهُمْ ... يَتَسَابقُونَ بِصَالِح الأعمالِ[1]

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: "كنا نغازي مع عطاء الخراساني، فكان يحيي الليل صلاة، فإذا مر من الليل ثلثه أو أكثر نادانا، ونحن في فساطيطنا: يا عبد الرحمن بن يزيد ويا يزيد بن يزيد ويا هشام بن الغاز، قوموا فتوضؤوا وصلوا؛ فقيام هذا الليل وصيام هذا النهار، أيسر من مقطعات الحديد وشراب الصديد، الوحاء، الوحاء! النجاء، النجاء! ثم يقبل على صلاته"[2].

الوحاء الوحاء: تقال في الاستعجال أي البدار البدار.

النجاءالنجاء: أي الخلاص الخلاص.

وعن أبي عبد الله المقرئ الزاهد، يقول: "كان معنا شيخ في الرباط، يوقظ الأصحاب إذا مضى ثلث الليل ويرغبهم في القيام للتهجد، فإذا رأى منهم نشاطا وتسارعا حمد الله ﷻ، وتلا آيات من القرآن، كقوله ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء:٧٩]، ثم يرفع صوته ويقول:

سل الليل أهل الليل بالسحر ... والقائمين بلا لهو ولا سحر
والقابضين على الأكباد أيديهم ... شدوا الرحيل وهيئوا للسفر

(١) مجموع القصائد الزهدية (١/ ٢٦٦) ، القصيدة لابن القيم الجوزية رحمه الله.
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٢٨)، فضل قيام الليل للآجري (١٣١)، والزهد للإمام أحمد (٥٢٩).

فإذا رأىٰ منهم تثاقلا وتكاسلا يقول: من نام الليل كثيرا لقي الله يوم القيامة فقيرا، ثم يرفع صوته ويقول:

تنبــه مــن منامــك يــا جهــول فنومــك تحــت رمســك قــد يطــول

تأهــب للمنيــة حــين تغــدو عســىٰ تمســي وقــد نــزل الرســول"[١]

الرسول: يريد ملك الموت.

وقال أبو بكر المروزي: "كنت مع أبي عبد الله أحمد بن حنبل نحواً من أربعة أشهر بالعسكر، ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار، فما علمت بختمةٍ ختمها، وكان يُسِرُّ ذلك"[٢].

وقال محمد بن أعين، وكان صاحب ابن المبارك في الأسفار، وكان كريما عليه: "كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم، ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، فقلت أنا برمحي في يدي فقبضت عليه، ووضعت رأسي علىٰ الرمح كأني أنام كذلك، فظن أني قد نمت، فقام فأخذ في صلاة، فلم يزل كذلك حتىٰ طلع الفجر وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أني نائم، وقال يا محمد، فقلت: إني لم أنم! فلما سمعها مني، ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينبسط إلي في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبه ذلك مني لما فطنت له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتىٰ مات، ولم أر رجلا أسرَّ بالخير منه"[٣]. وكان رحمه الله إماما فاضلا، وكان يسكن مرو.

◊ **قال عنه عمار بن الحسن:**

إذا ســار عبــد الله مــن مــرو ليلــة فقــد ســار منهــا نورهــا وجمالهــا[٤]

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٢٩).

(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (٢٦٨).

(٣) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٢٦٦).

(٤) سير أعلام النبلاء، ط ـ الرسالة(٨/ ٣٩١)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان(١٣/ ٢١).

وقال الفقيه أبو الفتح الأشعري معيد النظامية ببغداد، وجامع المختصر في سيرة نور الدين زنكي: "بلغنا عن جماعة من الصوفية ممن يعتمد علىٰ قولهم، أنهم دخلوا القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنجُ، فسمعهم يقولون: إن القسيم بن القسيم – يعنون نور الدين – له مع الله سر؛ فإنه لم يظفر ويُنصر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل؛ فإنه يُصلي بالليل ويرفع يده إلىٰ الله ويدعو، فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله، فيظفر علينا، قال: فهذا كلام الكفار في حقه!!"[١].

جَمَـــعَ الشَّـــجَاعَةَ وَالْخُشُـــوعَ لَدَيْنِـــهِ   مَـــا أَحْسَـــنَ الْمِحْـــرَابَ فِـــي الْمِحْـــرَابِ

وعن أبي إسحاق قال: "كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فواق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو علىٰ أنطاكية، لما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم، أليسوا بشرا مثلكم؟ قالوا: بلىٰ، قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب ونظلم، ونأمر بالسخط وننهىٰ عما يرضي الله، ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني"[٢].

ولما خرج من الشام إلىٰ القسطنطينية واستقر بها ملكه، سأل رجلا ممن اتبعه، كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أخبرك كأنك تنظر إليهم؛ هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون علىٰ من حاربوه حتىٰ يأتوا عليه، فقال: لئن كنت صدقتني؛ ليملكن موضع قدمي هاتين[٣].

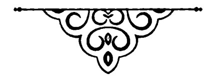
(١) البداية والنهاية، ط ـ دار الفكر (١٢/ ٢٨٣).

(٢) البداية والنهاية، ط ـ دار الفكر (٧/ ١٥).

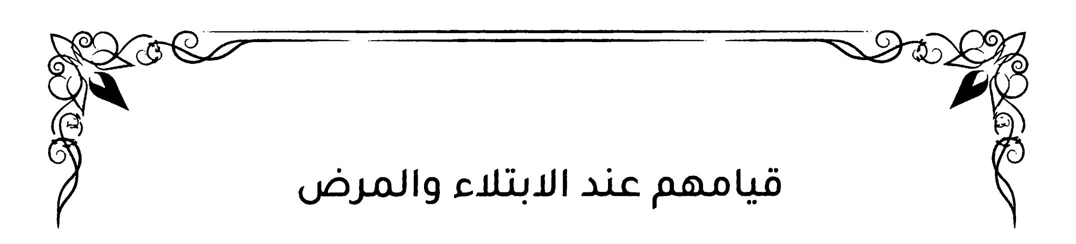
(٣) البداية والنهاية، ط ـ دار الفكر (٧/ ٥٣).

وسأل بطريق دمشق بعض أعوانه عن جيش المسلمين، فَقَالَ: جئتك من عند رجال دقاق، يركبون خيولاً عتاقاً؛ أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك؛ لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر، قال فالتفت إلىٰ أصحابه وقال: أتاكم منهم مالا طاقة لكم به [(١)].

وقد ورد معنا قيام أبي ريحانة رضي الله عنه في الغزو، وقيام صلة بن أشيم وغيرهما، رحم الله الجميع.



(١) البداية والنهاية (٧/ ١٦).



قيامهم عند الابتلاء والمرض

سقوا كأس المحبة فاستقرت قلوبهم وهيجها اليقين
إلى ملك الملوك تسير شوقا وليس لغيره أبدا حنين[١]

عن محمد بن إسحاق، قال: "قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد حاجا، فاعتلت إحدى قدميه، فقام يصلي حتى أصبح على قدم، قال: وصلى الفجر بوضوء العشاء"[٢].

انظر ياعبدالله، كيف كان السلف ﷺ، يحرصون على أوقاتهم وأعمالهم ويحافظون عليها، ولا يفرطون في شيء منها مهما كانت الظروف والأحوال، حتى في وقت الشدة والمرض، وكان أحدهم لايرضى أن يرى غيره يصلي أو يصوم وهو قاعد، وكانوا لايلتمسون لأنفسهم الأعذار كما نفعله نحن اليوم، بل كانوا يصرون على أداء العمل ولو كان أحدهم في أشد الظروف والأحوال.

وعن حبان الأسود، حدثني عبد الواحد بن زيد، قال: "أصابتني علة في ساقي فكنت أتحامل عليها للصلاة، قال: فقمت عليها من الليل، فأجهدت وجعا فجلست، ثم لففت إزاري في محرابي ووضعت رأسي عليه فنمت، فبينا أنا كذلك، إذا أنا بجارية

---

(١) بستان الواعظين ابن الجوزي (٢٧٥). تم التصرف في الأبيات، وأصلها:
سقوا كأس الْمحبَّة فاطمأنت قُلُوبهم وهيجها الْيَقِين
إِلَى ملك تحن إِلَيْهِ شوقا وَلَيْسَ لَهَا إِلَى أحد حنين
يمِيل بهم هبوب الْقرب ميلًا كَمَا مَالَتْ مَعَ الرّيح الغصون

(٢) الزهد للإمام أحمد (٤٩٨)، وشعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٢٤)، والتهجد وقيام الليل (١٩٩).

تفوق الدنيا حسنا تخطر بين جوار مزينات، حتىٰ وقفت علي وهن من خلفها، فقالت لبعضهن: ارفعنه ولا تهجنه، قال: فأقبلن نحوي فاحتملنني عن الأرض، وأنا أنظر إليهن في منامي، ثم قالت لغيرهن من الجواري اللاتي معها: افرشنه ومهدنه ووطئن له ووسدنه، قال: ففرشن تحتي سبع حشايا لم أر لهن في الدنيا مثلا، ووضعن تحت رأسي مرافق خضرا حسانا، ثم قالت للائي حملنني: اجعلنه علىٰ الفرش رويدا لا تهجنه، قال: فجعلت علىٰ تلك الفرش، وأنا أنظر إليها وما تأمر به من شأني، ثم قالت: احففنه بالريحان، قال: فأتي بياسمين فحفت به الفرش، ثم قامت إلي فوضعت يدها علىٰ موضع علتي التي كنت أجدها في ساقي، فمسحت ذلك المكان بيدها، ثم قالت: قم شفاك الله إلىٰ صلاتك غير مضرور، قال فاستيقظت والله، وكأني قد أنشطت من عقال، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتي تلك، ولا ذهب حلاوة منطقها من قلبي: قم شفاك الله إلىٰ صلاتك غير مضرور"[١].

تخطر: تمشي. لا تهجنه: توقظنه.

عن مخلد بن الحسين، قال: "كان بالبصرة رجل يقال له شداد، أصابه الجذام فانقطع، فدخل عليه عواده من أصحاب الحسن، فقالوا: كيف تجدك؟ قال: بخير، ما فاتني حزبي من الليل منذ سقطت، وما بي إلا أني لا أقدر علىٰ أن أحضر صلاة الجماعة"[٢].

وعن ابن سماعة أن أبا يوسف: "كان يصلي بعدما ولي القضاء كل يوم مائة ركعة، وفي رواية: مائتي ركعة، فلم يتركه بعد ما فلج"[٣]؛ أي: بعد ما أصابه الفالج.

وعن ضمرة، قال ابن شوذب: "كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن في المصحف ناظرا، قال: ويقوم به الليل، قال: فما ترك ذلك إلا ليلة نشر رجله، ثم عاود جزأه من

(١) حلية الأولياء(٦/ ١٦١)، التهجد وقيام الليل (٣٢١).

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ١٤٦).

(٣) الجواهر المضية (٢/ ٥٢٣).

الليلة المستقبلة"[١] . انظر يا عبدالله، إلىٰ هـذا التـابعي، تقطـع رجلـه ثـم يقـوم يصـلىٰ في الليلة التالية، ولـم ينتظر حتىٰ تبرأ ساقه رحمه الله !!

وقال أبو مصعب: "كان مالك يطيل الركوع والسجود في ورده، وإذا وقف في الصلاة كأنه خشبة يابسة لا يتحرك منه شيء، فلما ضُرب قيل له: لو خففت في هذا قليلاً! فقال: ما ينبغي لأحد أن يعمل لله عملاً إلا حسنه، والله تعالىٰ يقول: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]"[٢] . ضربه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، حتىٰ خُلعت كتفه رحمه الله .

وقال عبد الرحمن السلمي: "سألت الدارقطنىٰ عـن بشر بـن الوليـد، فقـال: ثقـة، وقال أحمد بن عطيـة: كـان يصـلىٰ في كـل يـوم مائـة ركعـة، وكـان يصـليها بعـد مـا فلـج وشاخ"[٣] .

وعن عبدالله بن الإمام أحمد قال: "كان أبـي يصـلي في كـل يـوم وليلـة ثـلاث مائـة ركعـة، فلمـا مـرض مـن تلـك الأسـواط أضـعفته، فكـان يصـلي في كـل يـوم وليلـة مائـة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سبعا يختم في سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليـال سـوىٰ صـلاة النهـار، وكـان سـاعة يصـلي عشـاء الآخرة ينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلىٰ الصباح يصلي ويدعو، وحج أبي خمس حجات؛ ثلاث حجج ماشيا، واثنتين راكبا، وانفق في بعض حجاته عشرين درهما"[٤] .

وقال مسبح بن سعيد: "كان محمد بـن إسـماعيل البخـاري يختـم في رمضـان كـل يـوم ختمـة، ويقـوم بعـد الـتراويح كـل ثـلاث ليـالٍ بختمـة، وكـان رحمه الله يُصـلِّي ذات يـوم أو ذات ليلة، فلسعه الزنبور سبع عشرة مرة، فلما قضـىٰ صـلاته قـال: انظـروا أي شـيء آذاني في صلاتي! فنظروا، فإذا الزنبور قد ورّمه في سبعة عشر موضعـًا ولـم يقطع صلاته،

---

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ١٧٠).

(٢) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢/ ٥٠).

(٣) الفوائد البهية في تراجم الحنفية(٥٥).

(٤) حلية الأولياء(٦/ ١٦١)، التهجد وقيام الليل (٣٢١).

وقيل له بعد أن فرغ من صلاته: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما لسعك؟ قال: كنت في سورةٍ فأحببت أن أتمَّها!"[١].

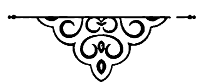
الزنبور: حشرة كبيرة تشبه النحل، ذات لسعة مؤلمة قريبا من العقرب، وتعرف بالدبور.

وعن إسماعيل بن زياد أبو يعقوب، قال: "قدم علينا مرة فاعتل، فقال: أخرجوني إلىٰ الساحل أنظر إلىٰ الماء حتىٰ لا أنام"[٢]؛ لأنه كان يصلي.

وقال عبثر أبو زبيد رحمه الله: "اختفىٰ عندي محمد بن النضر الحارثي من يعقوب بن داود، في هذه العلية أربعين ليلة، فما رأيته نائما ليلا ولا نهارا"[٣].

هذا حالهم مع النوافل، أما الفرائض فكانوا أشد محافظة عليها، عن ابن حيان، حدثني أبي، قال: "كان الربيع بعدما سقط شقه، يُهادىٰ بين رجلين إلىٰ مسجد قومه! وكان أصحاب عبد الله يقولون: يا أبا يزيد، قد رُخص لك، لو صليت في بيتك! فيقول: إنه كما تقولون، ولكني سمعته ينادي: حي علىٰ الفلاح؛ فمن سمعه منكم ينادي حي علىٰ الفلاح، فليجبه ولو زحفا ولو حبوا"[٤].

وعَنْ أَبِي الاحوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قال عن صلاة الفريضة: "... وَلَقَدْ رَأَيْتُنا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومٌ نِفَاقُهُ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يُهَادَىٰ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ"[٥]. مسلم؛ أي: من شدة المرض.



(١) الخشوع في الصلاة(١١٨).
(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ١٢٧).
(٣) مختصر قيام الليل (٦٦).
(٤) الزهد للأمام أحمد(٢٧٥)، الزهد والرقائق لابن المبارك (٢/ ٥٢).
(٥) أحمد (٦/ ١٢٤)، ومسلم برقم (٢٥٧) ، وأبو داود، والنسائي، والطبراني في الكبير، وغيرهم.



من قام عند الكِبر

عن العلاء العبدي، قال: "ضعف أبو إسحاق عن القيام، وكان لا يقدر أن يقوم إلىٰ الصلاة حتىٰ يقام، فإذا أقاموه فاستتم قائما قرأ ألف آية وهو قائم"[(١)].

وقال الجنيد بن محمد: "ما رأيت أعبد لله من السري السقطي، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا، إلا في علة الموت"[(٢)]؛ أي: ما رئي نائما بليل.

وعن محمد بن مسعر، قال: "كان أبي لا ينام حتىٰ يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لف رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي ضل منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلىٰ الفجر، وكان يجهد علىٰ إخفاء ذلك جدا"[(٣)]، وكان ﷺ من أوعية العلم.

قال عبد الله بن داود: "كان مسعر يسمىٰ المصحف؛ لقلة خطأه وحفظه"، وقال سفيان الثوري: "كنا إذا اختلفنا في شيء سألنا مسعرا عنه"[(٤)]

◊ **قال عنه ابن المبارك:**

مَنْ كَانَ ملتمسًا جليسًا صالحًا ... فليأت حلقة مسعر بن كِدَامِ

فِيْهَا السَّكِيْنَةُ، وَالوَقَارُ، وَأَهْلُهَا ... أَهْلُ العَفَافِ، وَعِلْيَةُ الأَقْوَامِ[(٥)]

---

(١) التهجد وقيام الليل (١٩٤).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٤٨٩).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٢١٥)، التهجد وقيام الليل (٢٤٦).

(٤) حلية الأولياء (٧/ ٢١٢-٢١٣).

(٥) تذكرة الحفاظ (١/ ١٤٢).

وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون: "حج واعتمر مائة مرة، وكان إذا رُئي ذُكر الله تعالىٰ! وقال إبراهيم: كان عمرو بن ميمون لما كبر أو تد له في الحائط، فإذا سئم من القيام لله تعالىٰ استعان بالوتد"(١).

وعن أبي بكر بن أبي عياش، سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: "ذهبت الصلاة مني، وضعفت ورق عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران!!"(٢).

وعن سفيان قال: "قال عون بن عبد الله لأبي إسحاق: ما بقي منك يا أبا إسحاق؟ قال: بقي مني أن أقرأ البقرة في ركعة! قال: بقي خيرك وذهب شرك"(٣).

وعن عبد الله بن محمد بن أبي الأسود، عن أبي سلمة رجل من بني سدوس، قال: "كانت لنا عجوز في الحي لم ندركها ولكن أدركها أشياخنا، وكان يقال لها منيرة، فكانت إذا جاء الليل تقول: قد جاء الهول، قد جاءت الظلمة،قد جاء الخوف، وما أشبه هذا بيوم القيامة! قال: ثم تقوم فلا تزال تصلي حتىٰ تصبح"(٤).

وعن مالك، قال: "سئل مرة الهمداني، وكان قد كبر: ما بقي من صلاتك؟ قال: الشطر؛ خمسون ومائتي ركعة!!"(٥).

وعن عبد الرحمن بن يزيد الضبي، قال: "كان أبي يزيد الضبي إذا قام من الليل أطال القيام، وكان له وتد في محرابه يعتمد عليه من طول القيام، قال: ولربما غلبه النوم وهو قائم حتىٰ يسقط، قال: وكان يقول: لا أحب أن أعمد للنوم، أجهد ألا أنام! فإن غلبني كان أعذر لنفسي عندي"(٦).

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (١/ ٥٢)، حلية الأولياء(٤/ ١٥٠).

(٢) التهجد وقيام الليل، ط ـ الرشد (٢٠٤).

(٣) الزهد للإمام أحمد (١/ ٦٠٨)، سير أعلام النبلاء، ط ـ الرسالة (٥/ ٣٩٩).

(٤) التهجد وقيام الليل (٢٠٤).

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (٤/ ٥٢٠).

(٦) التهجد وقيام الليل (١/ ١١٣).

وعن عبدالرزاق، عن ابن جريج، قال: "كان عطاء بعدما كبر وضعف، يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من البقرة، وهو قائم ما يزول منه شيء ولا يتحرك"(١).

وعن عويد بن أبي عمران الجوني، قال: "كانت أمي تقوم من الليل تصلي حتى تعصب ساقيها بالخرق، فيقول لها أبو عمران الجوني [زوجها]: دون هذا يا هذه، فتقول: هذا عند طول القيام في الموقف قليل؛ فيسكت عنها"(٢)؛أي: موقف القيامة.

وعن محمد بن الحجاج بن جعفر بن إياس بن نذير الضبي، قال: "كان أبو بكر بن عياش يقوم الليل في: قباء صوف، وسراويل، وعكازة؛ يضعها في صدره فيتكئ عليها حين كبر، فيحيي ليلته"(٣)، ومات ﷺ وهو ابن ست وتسعين سنة.

وقال القاضي عياض عن محمد بن مسرور العسّال: "...كان يقوم الليل كله، هو وكل من في داره، ولقد ذُكر أنهم باعوا خادمًا سوداء، فرجعت إليهم وقالت: بعتموني من اليهود! فقالوا لها: إنهم مسلمون، قالت: إنهم لا يقومون الليل!!

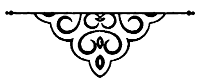
قال: وكان أبو عبد الله هذا، كثير الصلاة والتلاوة؛ يختم كل ليلة ختمة"(٤).

لله قوم شروا لله أنفسهم ... فأتعبوها بزجر الله أزمانا

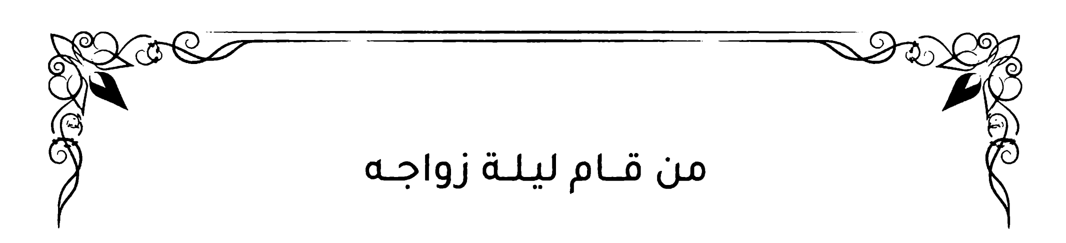
أما النَّهَار فقد وافوا صِيَامهمْ ... وَفِي الظلام تراهم فِيهِ رهبانا

أبدانهم أَتعبت فِي الله أنفسهم ... وأنفس أَتعبت فِي الله أبدانا

ذَابَتْ قلوبهم خوف الْعَذَاب غَدا ... وَقَطعُوا اللَّيْل تسبيحا وقرآنا(٥)



(١) الزهد للإمام أحمد(١/ ٦٢٥)، تاريخ ابن أبي خيثمة المتوفي ستة ٢٧٩هـ (١/ ٢١١).
(٢) حلية الأولياء (٧/ ٢١٥)، التهجد وقيام الليل (٢٤٦)، صفة الصفوة (٢/ ٢٥٥).
(٣) صفة الصفوة(٢/ ٩٥).
(٤) ترتيب المدارك وتقريب المسالك(٦/ ٧٦).
(٥) بستان الواعظين لابن الجوزي (٢٧٦).



من قام ليلة زواجه

حبيب ليس يعدله حبيب ... ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن سمعي وبصري ... ولكن في فؤادي لايغيب[١]

❁ **صلة بن أشيم وزوجته**، رحمهما الله تعالىٰ:

عن رجل من بني عدي، قال: "لما أهديت معاذة إلىٰ صلة، أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيتاً مطيباً، فقام يصلي فقامت فصلت، فلم يزالا يصليان حتىٰ برق الفجر، قال: فأتيته، فقلت: أي عم، أهديت إليك ابنة عمك الليلة، فقمت تصلي وتركتها؟ فقال: أدخلتني أمس بيتاً أذكرتني به النار، ثم أدخلتني بيتاً أذكرتني به الجنة، فما زالت فكرتي فيهما حتىٰ أصبحت"[٢].

❁ **رياح القيسي وزوجته**، رحمهما الله تعالىٰ:

قال أبو يوسف البزار: "تزوج رياح القيسي امرأة فبنىٰ بها، فلما أصبحت قامت إلىٰ عجينها، فقال: لو نظرت إلىٰ امرأة نكفيك هذا، فقالت: إنما تزوجت رياح القيسي، ولم أرني تزوجت جباراً عنيداً! فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته، ثم قالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فلم يقم، فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال:

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٤٣٢)، تم التصرف في البيت الثاني، وأصله:

حبيب ليس يعدله حبيب ... ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ... ولكن عن فؤادي ما يغيب

(٢) صفة الصفوة (٢/ ١٢٩)، البداية والنهاية (٩/ ٢٢).

أقوم، فقالت: مضىٰ الليل، وعسكر المحسنون وأنت نائم!! ليت شعري من غرني بك يا رياح؟! وقامت الربع الباقي"(١).

وقصة عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما معلومة مشهورة، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: زَوَّجَنِي أَبِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيَّ جَعَلْتُ لَا أَنْحَاشُ لَهَا، مِمَّا بِي مِنَ الْقُوَّةِ عَلَىٰ الْعِبَادَةِ؛ مِنَ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ، فَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَىٰ كَنَّتِهِ، حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ وَجَدْتِ بَعْلَكِ؟

قَالَتْ: خَيْرَ الرِّجَالِ أَوْ كَخَيْرِ الْبُعُولَةِ، مِنْ رَجُلٍ لَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا، وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا فِرَاشًا.

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَعَذَمَنِي وَعَضَّنِي بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: أَنْكَحْتُكَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ ذَاتَ حَسَبٍ، فَعَضَلْتَهَا، وَفَعَلْتَ وَفَعَلْتَ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَشَكَانِي.

فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: «أَتَصُومُ النَّهَارَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَمَسُّ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

قَالَ: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَىٰ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ»، قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُنِي أَقْوَىٰ مِنْ ذَلِكَ، - قَالَ أَحَدُهُمَا، إِمَّا حُصَيْنٌ وَإِمَّا مُغِيرَةُ - قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ ثَلَاثٍ»، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ»، قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَىٰ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّىٰ قَالَ: «صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، وَهُوَ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ ﷺ»(٢).



(١) التهجد وقيام الليل (٢٢٥٥)، صفة الصفوة (٢/ ٢٥٥).

(٢) أحمد (٦٤٧٧).

من انقطع للعبادة والنسك من الملوك والأمراء وأعرضوا عن الدنيا وزينتها

۞ علــوان الأغلبي:

كان علوان بن الحسن الأغلبي، يكنىٰ أبا عقال، من ملوك بنىٰ الأغلب، وهم من ملوك المغرب، فانقطع للعبادة، وصحب الشيخ أبا هارون الأندلسي، وكان أبو عقال يقوم الليل، والشيخ هارون ينام الليل، فوجد أبو عقال في نفسه من نوم الشيخ هارون، فقيل له في النوم: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية:٢١] الآية، فلحق أبو عقال بمكة شرفها الله تعالىٰ، ومات بمكة شرفها الله تعالىٰ، وهو ساجد في صلاة الفريضة في المسجد الحرام[١]. رَحِمَهُ الله.

۞ ومنهم السبتي ابن الرشيد:

قال عنه ابن كثير: "أحمد بن الرشيد كان زاهدا عابدا قد تنسك، وكان لا يأكل إلا من عمل يده في الطين، كان يعمل فاعلا فيه، وليس يملك إلا مروا وزنبيلا [أي مجرفة وقفة]، وكان يعمل في كل جمعة [أي كل أسبوع] بدرهم ودانق يتقوت بهما من الجمعة إلىٰ الجمعة، وكان لا يعمل إلا في يوم السبت فقط، ثم يقبل علىٰ العبادة بقية أيام الجمعة"[٢].

---

(١) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٥/ ٢٣٣).

(٢) البداية والنهاية، ط ـ إحياء التراث (١٠/ ١٩٩).

وقال ابن الجوزي: "ولد الرشيد المعروف بالسبتي، ويقال اسمه أحمد رضي الله عنه . عن عبد الله بن الفرج، قال: خرجت يوما اطلب رجلا يرم لي شيئًا في الدار، فذهبت فأشير لي إلىٰ رجل حسن الوجه، بين يديه مرو وزنبيل، فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم، بدرهم ودانق، فقلت: قم، فقام فعمل لي عملا بدرهم ودانق، ودرهم ودانق، ودرهم ودانق.

قال: ثم أتيت يوما آخر فسألت عنه، فقيل لي: ذلك رجل لا يرىٰ في الجمعة إلا يومًا واحدا، يوم كذا، قال: فجئت ذلك اليوم، فقلت: تعمل لي؟ قال: نعم، بدرهم ودانق، فقلت أنا: بدرهم، قال: بدرهم ودانق، فقلت: قم، ولم يكن بي الدانق، ولكن أحببت أن أستعلم ما عنده، فلما كان المساء وزنت درهما، فقال لي: ما هذا؟ قلت: درهم، قال: ألم أقل لك درهم ودانق؟ أف، لقد افسدت علي! فقلت: وأنا، ألم أقل لك بدرهم؟ فقال: لست آخذ منه شيئا! قال: فوزنت درهما ودانقا، فقلت: خذ فأبىٰ أن يأخذه، وقال: سبحان الله، أقول لا آخذه وتلح علي، فأبىٰ أن يأخذه ومضىٰ.

قال: فأقبل عليَّ أهلي وقالت: فعل الله بك، ما أردت إلىٰ رجل عمل لك عملا بدرهم، أن افسدت عليه؟ قال: فجئت يوما أسأل عنه، فقيل لي: مريض، فاستدللت علىٰ بيته فأتيته، فاستأذنت عليه فدخلت وهو مبطون، وليس في بيته شيء إلا ذلك المرو والزنبيل! فسلمت عليه وقلت له: لي إليك حاجة، وتعرف فضل إدخال السرور علىٰ المؤمن؛ أحب أن تجيء إلىٰ بيتي أمرضك، قال: وتحب ذلك؟ قلت: نعم، قال: بشرائط ثلاث، قلت: نعم، قال: لا تعرض عليَّ طعامًا حتىٰ اسألك، وإذا أنا مت أن تدفنني في كسائي وجبتي هذه، قلت: نعم، قال: والثالثة أشد منهما وهي شديدة، قلت: وإن كان.

قال: فحملته إلىٰ منزلي عند الظهر، فلما أصبحت من الغد ناداني: يا عبد الله، فقلت: ما شأنك؟ قال: قد احتضرت، افتح صرة علىٰ كم جبتي، قال: ففتحتها فإذا فيها خاتم عليه فص أحمر، فقال: إذا أنا مت ودفنتني، فخذ هذا الخاتم ثم ادفعه إلىٰ هارون أمير المؤمنين، وقل له: يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك، لا تموتن علىٰ

سكرتك هذه؛ فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت!

فلما دفنته، سألت عن يوم خروج هارون أمير المؤمنين، وكتبت قصة وتعرضت له، قال: فدفعتها إليه وأوذيت أذى شديدا، فلما دخل قصره وقرأ القصة، قال: عليَّ بصاحب هذه القصة، قال: فأدخلت عليه وهو مغضب، قال: تتعرضون لنا وتفعلون، فلما رأيت غضبه أخرجت الخاتم، فلما نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا الخاتم؟ قلت: دفعه إلى رجل طيان، فقال لي: طيان، طيان؟ وقربني منه، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنه أوصاني بوصية، فقال لي: ويحك، قل! فقلت: يا أمير المؤمنين، إنه أوصاني إذا أوصلت إليك هذا الخاتم، فقل له: يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام، ويقول لك: ويحك، لا تموتن على سكرتك هذه؛ فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت!

فقام على رجليه قائما، وضرب بنفسه على البساط، وجعل يتقلب عليه ويقول: يا بني، نصحت أباك!!

فقلت في نفسي: كأنه ابنه، ثم جلس وجاؤوا بالماء فمسحوا وجهه، وقال لي: كيف عرفته؟ فقصصت عليه قصته، قال: فبكى وقال: هذا أول مولود ولد لي، وكان أبي المهدي ذكر إلى زبيدة أن يزوجني، فبصرت بهذه المرأة فوقعت في قلبي، وكانت حسنة فتزوجت بها سرا من أبي، فأولدتها هذا المولود واحدرتها إلى البصرة، وأعطيتها هذا الخاتم وأشياء، وقلت: اكتمي نفسك، فإذا بلغك أني قد قعدت للخلافة فأتيني، فلما قعدت للخلافة سألت عنهما، فذكر لي أنهما ماتا ولم أعلم أنه باق، فأين دفنته؟ قلت: يا أمير المؤمنين، دفنته في مقابر عبد الله بن مالك.

قال: لي إليك حاجة؛ إذا كان بعد المغرب فقف لي بالباب، حتى أخرج إليك، فأخرج متنكراً إلى قبره.

فوقفت له، فخرج متنكراً والخدم حوله، ووضع يده بيدي وصاح بالخدم فتنحوا، وجئت به إلى قبره فما زال ليلته يبكي إلى أن أصبح، ويدير رأسه ولحيته على قبره

يقول: يا بني، لقد نصحت أباك!

قال: فجعلت أبكي لبكائه رحمة مني له، ثم سمع كلاما فقال: كأني أسمع كلام الناس، قلت: أجل، أصبحت يا أمير المؤمنين، قد طلع الفجر! فقال لي: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، واكتب عيالك مع عيالي مع من تهتم به؛ فإن لك علي حقا بدفنك ولدي، وإن أنا مت أوصيت من يلي بعدي، أن يجري عليك ما بقي لك عقب.

ثم أخذ بيدي حتىٰ إذا بلغ قريبا من القصر ويده بيدي، إذا الخدم فلما صاروا إلىٰ القصر، قال لي: انظر ما وصيتك به، إذا طلعت الشمس قف لي حتىٰ أنظر إليك وادعو بك؛ فتحدثني حديثه! قلت: إن شاء الله، فلم أعد إليه"[١].

ومنهم الأمير حميد بن جابر:

عن إبراهيم بن بشار، قال: "كنت يومًا ماراً مع إبراهيم بن أدهم في صحراء، إذ أتينا علىٰ قبر مسنم فترحم عليه وبكىٰ، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرقًا في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله ﷻ منها فاستنقذه.

لقد بلغني: أنه سُر ذات يوم بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته، قال: ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله، قال: فرأىٰ رجلاً واقفًا علىٰ سريره وبيده كتاب فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن فانيًا علىٰ باق، ولا تغترن بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذاتك وشهواتك، فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أن بعده هلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلىٰ أمر الله ﷻ؛ فإن الله قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، قال: فانتبه فزعًا وقال: هذا تنبيه من الله ﷻ وموعظة، فخرج من ملكه لا يعلم به، وقصد هذا الجبل فتعبد فيه، فلما بلغتني قصته وحُدثت بأمره قصدته،

(١) صفة الصفوة (١/ ٤٦٤)، البداية والنهاية، ط ـ إحياء التراث (١٠/ ١٩٩).

فسألته فحدثني ببدو أمره وحدثته ببدو أمري، فما زلت أقصده حتىٰ مات ودفن ههنا، فهذا قبره رحمه الله"(١).

۞ ومنهم الملك صاحب المدينة:

عن عون بن عبد الله: "أن ملكا ابتنىٰ مدينته، فتنوق في بنائها [أي: جَمَّلها]، وصنع طعاما ودعا الناس، فأقعد ناسا عليها علىٰ أبوابها؛ يسألون كل من مر بهم: هل رأيتم عيبا؟ فيقولون: لا، حتىٰ كان آخر من مر بهم شباب عليهم أكسية، فقال لهم: هل رأيتم عيبا؟ قالوا: رأينا عيبين اثنين، فحبسوهم ودخلوا علىٰ الملك، فذكروا له ذلك، قال: ما كنت أرضىٰ بواحدة، فأدخلوهم عليه، قال: رأيتم عيبا؟ قالوا: رأينا عيبين اثنين، قال: ما كنت أرضىٰ بواحدة، فما هما؟ قالوا: يخرب ويموت صاحبها، قال: فتعلمون دارا لا يخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا: نعم، الجنة، قال: فدعوه فاستجاب، فقال: إن خرجت معكم علانية لم يدعني أهل مملكتي، فواعدهم ميعادا فتنكر وخرج معهم، وكان يتعبد معهم، قال: فبينا هو ذات يوم، إذ قال: عليكم السلام، قالوا: ما لك؟ رأيت منا شيئا تكرهه؟ قال: لا، ولكن أنتم تعرفون حالي التي كنت عليها، فأنتم تكرمونني! لذلك، أنطلق فأكون مع قوم لا يعرفون حالي التي كنت عليها فأتعبد معهم"(٢).

۞ ومنهم الملك شمس الدين أبو العز:

قال عنه الصفدي: "كان فارسًا بطلا، لا يقبل في الإقدام عدلا، ولا يريد إلا الممات عن الحياة بدلا، وكان مع ذلك عاقلا، ولم يكن عن تدبير مملكته غافلا، له في القلوب مهابة، وعنده في مقالبة الأيام والليالي إصابة، لمح الدنيا بعين الصدق فعرفها، وتحقق غدرها وسرفها، فترك الملك ونزل عنه لابنه، ونفض ما في يده منه وما في ضبنه"(٣)،توفي رحمه الله سنة ٧١٤هـ.

---

(١) التوابين لابن قدامة (١٥٣).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (١٣/ ٢٤٢).

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر (٢/ ٣٥٨).

نفض ما في يده: أي ألقاه وتركه.　　　ضبنه: حضنه.

❁ **ومن النســاء زوجة أبي شعيب الزاهد:**

عن الجنيد بن محمد، قال: "كان أبو شعيب البراثي أول من سكن براثا، في كوخ يتعبد فيه، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا، كانت ربيت في قصور الملوك، فنظرت إلي أبي شعيب فاستحسنت حاله وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت علىٰ التجرد من الدنيا والاتصال بأبي شعيب.

فجاءت إليه قالت: أريد أن أكون خادمة! فقال لها: إن أردت ذلك فغيري هيئتك... وتجرّدي عما أنت فيه حتىٰ تصلحي لما أردتِ، فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النساك، وحضرته فتزوجها.

فلما دخلت الكوخ رأت قطعةَ خِصافٍ كانت مجلس أبي شعيب تقيه من الندىٰ، فقالت: ما أنا مقيمة فيه حتىٰ تخرج ما تحتك؛ لأني سمعتك تقول إن الأرض تقول لابن آدم: تجعل اليوم بيني وبينك حجابا، وأنت غدا في بطني، فما كنت لأجعل بيني وبينها حجابًا!

فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمىٰ بها، فمكثت معه سنين كثيرة يتعبدان أحسن عبادة، وتوفيا علىٰ ذلك متعاونين"(١).

❁ **ومنهن جوهرة امرأة أبي عبدالله:**

عن حكيم بن جعفر، قال: "كانت جوهرة امرأة أبي عبد الله البراثي جارية لبعض الملوك، فعتقت فخلعت الدنيا ولزمت أبا عبد الله البراثي، فتزوج بها وتعبدت".

وعن أبي عبد الله البراثي، قال: "قالت لي جوهرة [زوجته] يوما: يا أبا عبد الله، النساء يحلين في الجنة إذا دخلنها؟ قلت: نعم، قال: فصاحت صيحة غشي عليها، فلما

(١) حليه الأولياء (١٠/ ٣٣٣)، صفة الصفوة (١/ ٥٧٥).

أفاقت قلت: ما هذا الذي أصابك؟ قالـت: ذكـرت حـالي تلـك ومـا كنـت قـد نلـت مـن الدنيا، فخشيت والله، حرمان الآخرة!".

وعن أبي عبد الله البراثي، قال: "كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول: يا أبـا عبـد الله، كاروان رفث، معناه: قد سارت القافلة"[1].

❁ ومنهن غضيض جارية هشام بن عبدالملك:

كان لهشام بن عبدالملك جارية جميلة ذات أدب وشِعر، يقال لها غضـيض، فبينـا هو ذات يوم قد خلا بهـا في مستشـرف [مكـان عـالي] قـد أعـدت فيـه الفـرش والطيـب، فتذاكرا فيه طرائف الأخبار وبلاغة الآثار، فازداد بها سرورا واجتمعت مسرته.

فإذا صوارخ، فاستشرف هشام، فإذا بجنازة معها فئـام مـن النـاس، ووراء الجنـازة نسوة صارخات، ونادبة فيما بينهن تقول: بأبي المحمول علىٰ الأعواد، المنطلق به إلىٰ الأموات، المخلىٰ في قبره فريدا، والمكون في لحده غريبا، ليـت شـعري أيهـا المنقـول، أنت ممن يناشد حملته: أسـرعوا بـي؟! أم أنـت ممـن يناشـدهم: ارجعـوا بـي ! إلـىٰ مـا تقدموني؟

قـال: فأهملـت عينـا هشـام دموعـا فلهـا عـن لذتـه، وجعـل يقـول: كفـىٰ بـالموت واعظا، فقالت غضيض: قد قطعت نياط قلبي هذه النادبة.

قال هشام: الأمر جد، فنادىٰ الخادم فنزل عن مستشرفه فمضىٰ.

فأغفــت غضــيض في مجلســها، فأتاهــا آت في منامهــا وقــال لهــا: أنــت المفتنــة بجمالك، والملهية بدلالك! كيف أنـت إذا نقـر في النـاقور، وبعثـرت القبـور، وخرجـوا منها إلىٰ النشور، وقوبلوا بالأعمال التي قدموها؟!

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٥٧٥).

فاستيقظت مرتاعة، وراحت من شرابها، فنادت بعض وصائفها، ودعت بماء فاغتسلت، وألقت عنها لباسها وحليها، وتدرعت بمدرعة صوف وحزمت وسطها بخيط، وتناولت عصا وألقت في عنقها جرابا.

واقتحمت مجلس هشام، فلما رآها أنكرها فنادت: أنا غضيض أمتك، أتاني النذير فقرع مسامعي وعيده، وقد قضيت مني وطرا، وقد أتيتك لتعتقني من رق الدنيا.

فقال هشام: شتان ما بين الطربين وأنت في طربك، اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالىٰ، قال: أي موضع تقصدين؟ قالت: أؤم بيت الله الحرام، قال: انطلقي فلا سبيل لأحد عليك، فخرجت من دار الخلافة؛ زاهدة في الدنيا راغبة في الآخرة، سائحة علىٰ وجهها حتىٰ بلغت مكة، وأقامت مجاورة صائمة قائمة، تعود علىٰ نفسها بالغزل في قوتها، فإذا أمست طافت ثم تدخل الحجر وتقول: يا ذخري، أنت عدتي، لا تقطع رجائي وأنلني مناي، وأحسن منقلبي وأجزل عطائي.

فلم تزل في الاجتهاد حتىٰ غير مر الجديدين بشرتها، وطول القيام جسمها، وكثرة البكاء عينيها، وأقرح المغزل بنانها، حتىٰ توفيت - رحمة الله عليها - علىٰ ذلك [١].

الجديدين: الليل والنهار.

ومنهم صاحب مالك بن دينار وجاريته:

قال الموفق رحمه الله: " روي عن مالك بن دينار رحمه الله أنه كان يوما ماشيا في أزقة البصرة، فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رآها مالك نادىٰ: أيتها الجارية، أيبيعك مولاك؟! قالت: كيف قلت يا شيخ؟ قال: أيبيعك مولاك؟ قالت: ولو باعني، كان مثلك يشتريني؟ قال: نعم، وخيرا منك.

(١) التوابين لابن قدامة (٩٥).

فضحكت وأمرت أن يحمل إلىٰ دارها، فحمل فدخلت إلىٰ مولاها فأخبرته، فضحك وأمر أن يدخل إليه فدخل، فألقيت له الهيبة في قلب السيد، فقال: ما حاجتك؟ قال: بعني جاريتك، قال: أو تطيق أداء ثمنها؟.

قال: فثمنها عندي نواتان مسوستان، فضحكوا وقالوا: كيف كان ثمنها عندك هذا؟.

قال: لكثرة عيوبها، قالوا: وما عيوبها؟.

قال: إن لم تتعطر زفرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تمتشط وتدهن قملت وشعثت، وإن تعمر عن قليل هرمت، ذات حيض وبول وأقذار جمة، ولعلها لا تودك إلا لنفسها، ولا تحبك إلا لشغفها بك، لا تفي بعهدك، ولا تصدق في ودك، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك، وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن، جارية خلقت من سلالة الكافور[يريد الحور العين] لو مزج بريقها أجاج لطاب، ولو دعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه، ولو بدا في الليل لسطع نوره، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت، نشأت بين رياض المسك والزعفران، وقصرت في أكنان النعيم، وغذيت بماء التسنيم، فلا تخلف عهدها، ولا يتبدل ودها، فأيهما أحق برفعة الثمن؟!

قال: التي وصفت.

قال: فإنها الموجودة الثمن، القريبة المخطب.

قال: فما ثمنها، رحمك الله؟

قال: اليسير المبذول؛ أن تفرغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتين تخلصهما لربك، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله علىٰ شهوتك، وأن ترفع عن الطريق حجرا أو قذرا، وأن تقطع أيامك بالبلغة، وترفع همتك عن دار الغفلة، فتعيش في الدنيا بعز القنوع، وتأتي غدا إلىٰ موقف الكرامة آمنا، وتنزل غدا في الجنة مخلدا.

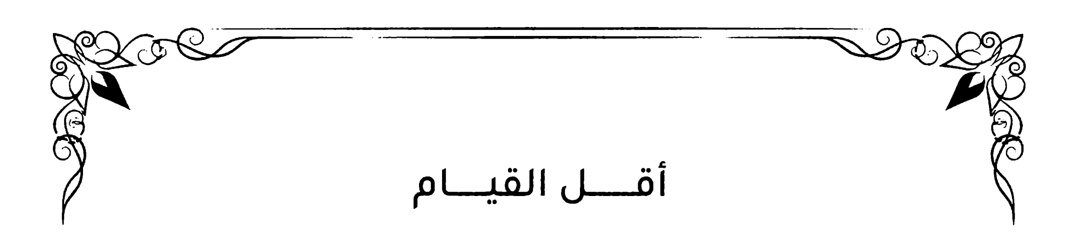
فقال الرجل: يا جارية، أسمعت ما قال شيخنا هذا؟ قالت: نعم، قـال: أفصَـدَق أم كذب؟ قالت: بل صدق وبر ونصح!!

قال: فأنت إذا حرة لوجه الله، وضيعة [أي بستان] كذا وكذا صـدقة عليـك، وأنـتم أيها الخدام، أحرار، وضيعة كذا وكذا لكم، وهذه الدار بما فيها صدقة مع جميع مـالي في سبيل الله، ثم مد يده إلىٰ ستر خشن كان علىٰ بعض أبوابه فاجتذبه، وخلـع جميع مـا كان عليه واستتر به.

قالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مـولاي! فرمـت بكسـوتها ولبسـت ثوبـا خشـنا وخرجت معه، فودعهما مالك ودعـا لهمـا، وأخـذ طريقـا وأخـذا غيـره، فتعبـدا جميعـا حتىٰ جاء الموت فنقلهما علىٰ حال العبادة، رحمة الله عليهما"[١].



(١) التوابين لابن قدامة(٩٤).



أقــل القيــام

عَنْ أَبِي غَالِبٍ مَوْلَىٰ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: "كَانَ ابْنُ عُمَرَ يَنْزِلُ عَلَيْنَا بِمَكَّةَ، فَكَانَ يَتَهَجَّدُ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ لِي ذَاتَ لَيْلَةٍ قُبَيْلَ الصُّبْحِ: يَا أَبَا غَالِبٍ، أَلَا تَقُومُ فَتُصَلِّي وَلَوْ تَقْرَأُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ، فَقُلْتُ: قَدْ دَنَا الصُّبْحُ! فَكَيْفَ أَقْرَأُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: إِنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ"[١].

وهذا حق، ففي الحديث عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟»** قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: **«قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»**[٢]. متفق عليه.

وعَنْ أَبِىٰ سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَالَّذِىٰ نَفْسِىٰ بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»**[٣]. البخاري.

قلت: هذا من فضل الله ﷻ ورحمته بالضعفاء والمساكين وكبار السن؛ أن جعل سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وهي من أقصر السور في القرآن وأيسرها حفظا، تعدل ثلث القرآن، فكل أحد يستطيع حفظها وقراءتها وتكرارها بإذن الله؛ الكبير، والصغير،

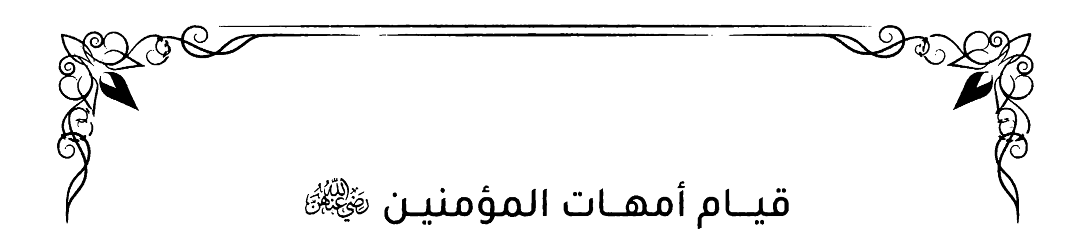
(١) الزهد للإمام أحمد (١٥٦)، وحلية الأولياء (١/ ٣٠٤).

(٢) البخاري (٥٠١٣)، ومسلم (٢٥٩) و(٨١٢) واللفظ له، وأحمد (٩٥٣٥)، والترمذي (٢٨٩٩)، والنسائي في السنن الكبرىٰ (١٠٤٦٠) (١٠٥٢٩)، وابن ماجة (٣٧٨٨)، وغيرهم

(٣) البخاريُّ (٥٠١٣) و (٦٦٤٣) و (٧٣٧٤)، ومالك (١/ ٢٠٨)، وأحمد (١١٣٠٦)، وأبو داود (١٤٦١)، والنسائيّ في الكبرىٰ (١٠٦٧، ١٠٥٣٤)، وابن حبّان (٧٩١)، وغيرهم.

والمريض، فيدركون من سبقهم، ويسبقون من بعدهم، ويدركون مافاتهم من قراءة القرآن وختمه وينالون أجره، فمن قرأها ثلاثا فكأنما قرأ القرآن كاملا من حيث الأجر، فتستطيع أن تقرأها في الدقيقة الواحدة تسع مرات، وذلك يعدل ختم القرآن ثلاث مرات من حيث الأجر، ولهذا كان علماء السلف يكثرون من قراءتها وهم حفظة لكتاب الله ﷻ، ويتنافسون في ذلك، وكان أبو عمر ابن قدامة المقدسي شيخ المقادسة، يقرأها في اليوم ألف مرة رحمه الله، فمنهم من كان يقرأها مائة مرة في اليوم، ومنهم من يقرأها مائتين، ومنهم من يقرأها أكثر من ذلك أو أقل؛ يغتنمون أجرها وفضلها.





قيـام أمهـات المؤمنيـن رضي الله عنهن

كـان أمهـات المـؤمنين رضي الله عنهن مـن أحسـن النسـاء صـياما وقيامـا، وطاعـة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

۞ قيام أم المؤمنين الصديقة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

كانت رضي الله عنها تقوم مع النبي عليه الصلاة والسلام من مبدأ بعثته، فعندما أنزل عليه أول سورة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:١-٤]، قام النبي عليه الصلاة والسلام ومن معه، وكانوا يطيلون القيام؛ فيقومون معظم الليل، حتى نزل التخفيف في آخر السورة: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠].

عن ابن عباس رضي الله عنهما، يقول: "لما نزل أوّل المزمل، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في رمضان، وكان بين أوّلها وآخرها قريبـًا من سنة". (تفسير الطبري سورة الزمر).

وعن قتادة قال: "﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزّمل:٢]: قاموا حولا أو حولين، حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفا بعد في آخر السورة". (تفسير الطبري سورة الزمر).

ولاشك أن خديجة بنت خويلد رضي الله عنها كانت أول من قام الليل من النساء، فما نزلت هذه السورة إلا في بيتها رضي الله عنها.

۞ قيـام أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عـائشـة رضي الله عنها:

كانت رضي الله عنها تطيل القيام وتسرد الصوم، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: "كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يومـًا فإذا هي قائمة تسبح، وتقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]، وتدعو وتبكي وترددها،

فقمت حتىٰ مللت القيام، فذهبت إلىٰ السوق لحاجتي ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي"(١).

وعَنْ عُرْوَةَ: "أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها كَانَتْ تَصُومُ الدَّهْرَ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ"(٢).

وعنه عن أبيه: "أن عائشة رضي الله عنها كانت تسرد الصوم".

تسرد الصوم: أي تصوم بلا انقطاع.

وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: "ما رأيت أحداً من الناس؛ أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام، ولا بشعر، ولا بحديث العرب، ولا بنسب، من عائشة رضي الله تعالىٰ عنها"(٣).

وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، قال: "ما أشكل علينا -أصحاب رسول الله ﷺ- حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً"(٤).

وعن مسروق، أنه قيل له: "هل كانت عائشة رضي الله عنها تحسن الفرائض؟ قال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض"(٥)؛ أي علم المواريث.

وقال عطاء: "كانت عائشة رضي الله عنها أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة".

وعن موسىٰ بن طلحة، قال: "ما رأيت أحداً أفصح من عائشة".

وعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ أَبِي عَلْقَمَةَ، عَنْ أُمِّهِ، أَنَّهَا قَالَتْ: "دَخَلَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمنِ عَلَىٰ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَىٰ حَفْصَةَ خِمَارٌ رَقِيقٌ، فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ وَكَسَتْهَا خِمَاراً كَثِيفاً"(٦).

---

(١) الصفوة (١/ ٤٠٤).

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي(٤/ ٤٩٦).

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٤٩)، وصفة الصفوة (١/ ٤٠٥).

(٤) موطأ مالك (٦/ ١٢٤).

(٥) الحاكم(٤/ ١٢)، والزهد لبن المبارك(١/ ٣٨٢).

(٦) موطأ مالك(٥/ ١٣٣٩).

قيام أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، طَلَّقْتَ حَفْصَةَ وَهِيَ صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَهِيَ زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ، فَرَاجِعْهَا»(١). الحاكم.

قلت: كفى بها شهادة وتزكية من رب العالمين سبحانه وتعالى لأم المؤمنين حفصة رضي الله عنها، وما كلام أهل البدع إلا عن بغض وحقد لها ولأبيها رضي الله عنهما.

قيام أم المؤمنين زينب رضي الله عنها:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ»(٢). متفق عليه.

قيام أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٣). مسلم.

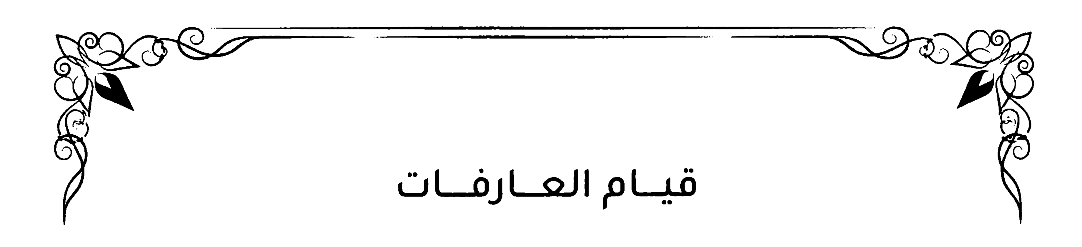
وكذا بقية نساءه عليهن السلام، كن يقمن الليل ويصمن النهار، ويتنافسن في الإنفاق في سبيل الله وعمل الخير، رضي الله عنهن أجمعين.

---

(١) الحاكم (٢/ ١٩٧) وقال: "صحيح على شرط الشيخين"، ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير(٣٠٦) وفي الأوسط (١٥١)، وفي حلية الأولياء(٢/ ٥٠) ، وغيرهم.

(٢) متفق عليه: البخاري (١١٥٠)، ومسلم (٢١٩).

(٣) مسلم (٧٩)، وأحمد (٣٣٠٨)، والترمذي (٣٥٥٥)، والنسائي (١٣٥٢)، وغيرهم، وصححه الألباني في الترغيب والترهيب(١٥٧٤).



قيام العارفات

صَلَاتُكِ نُورٌ وَالْعِبَادُ رُقُودُ   وَنَوْمُكِ ضِدٌّ لِلصَّلَاةِ عَنِيدُ
وَعُمْرُكِ غُنْمٌ إِنْ عَقَلْتِ وَمُهْلَةٌ   يَسِيرُ وَيَفْنَىٰ دَائِبًا وَيَبِيدُ[١]

قال أبوالوليد العبدي: "ربما رأيت غضة وعالية، تقوم إحداهن من الليل فتقرأ: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف في ركعة "[٢].

وكانت حسنة العابدة ﷺ امرأة جميلة، وكانت من الزاهدات العابدات، وكانت ملازمة للقيام والصيام، قالت لها امرأة: تزوجي! فقالت: هاتي رجلا زاهدا، لايكلفني من أمر الدنيا شيئا، ولا أظنك تقدرين عليه! فوالله، مافي نفسي أن أعبد الدنيا، ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدتي رجلا يبكي ويبكني، ويصوم ويأمرني، ويتصدق ويحضني عليها، فبها ونعمت، وإلا فعلىٰ الرجال السلام[٣].

قلت: ينبغي للمسلمة أن تنظر إلىٰ هذه المرأة الطاهرة العفيفة التقية النقية، التي لم تغتر بجمالها كما يفعله الكثير من النساء اليوم، ولم تتباها به مع أنها كانت جميلة، وكان بإمكانها أن تتزوج من تشاء من الرجال، ولكنها رفضت الكثير من الرجال؛ خشية أن تتزوج رجلا يمنعها من قيامها وصيامها، ويشغلها عن دينها، فهي لاتريد إلا رجلا زاهدا عابدا يوافقها في قيامها وصيامها وعبادتها، ولايمنعها من ذلك ﷺ.

---

(١) مختصر قيام الليل (١/ ١٠٥).
(٢) التهجد وقيام الليل (٢١٠)، صفه الصفوة (٢/ ٣٠٢).
(٣) صفه الصفوة (٢/ ٢٥٢).

وكانت زجلة العابدة مولاة معاوية ﷺ من القائمات الصائمات، تقوم الليل وتصوم النهار، فنصحها بعض القراء في الرفق بنفسها، فقالت: "مالي وللرفق بها؟ فإنما هي أيام مبادرة؛ فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدا! والله يا إخوتاه، لأصلين ما أقلتني جوارحي، ولا أصومن له أيام حياتي، ولأ بكين له ما حملت الماء في عيناي، ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمر فيحب أن يقصر فيه؟" [١].

أيام مبادرة: أي سريعة.

وعن عبد الله بن الحسن القاضي العنبري، قال: "كانت عندي جارية أعجمية وضيئة، وكنت بها معجبًا، فكانت ذات ليلة نائمة إلىٰ جنبي فانتبهت فلم أجدها، فالتمستها فإذا هي ساجدة تقول: بحبك لي اغفر لي، فقلت: يا جارية، لا تقولي بحبك لي، قولي: بحبي لك اغفر لي، فقالت: يا بطال، حبه لي أخرجني من الشرك إلىٰ الإسلام، فأيقظ عيني وأنام عينك، فقلت: اذهبي؛ فأنت حرة لوجه الله، قالت: يا مولاي، أسأت إلي؛ كان لي أجران فصار لي أجر واحد" [٢].

وقال أحمد زوج رابعة العدوية الشامية ﷺ "قلت لرابعة، وقد قامت الليل: قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل ! فقالت: سبحان الله! مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت".

قال: "وكان لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها علي، فكانت إذا طبخت قدرا قالت: كلها ياسيدي، فما نضجت إلا بالتسبيح ".

وقالت لي: "لست أستحل أن أمنعك نفسي وغيري، اذهب فتزوج، قال: فتزوجت ثلاثا، وكانت تطعمني اللحم، وتقول: اذهب بقوتك إلىٰ أهلك" [٣].

---

(١) صفه الصفوة (٢/ ٢٥٢).

(٢) صفه الصفوة (٢/ ٢٥٦).

(٣) صفه الصفوة (٢/ ٤٣٣).

انظري يا أمة الله، إلىٰ هذي المرأة التي تخاف الله ﷻ وتخشاه، كيف تخالف هوا نفسها وشهواتها ورغباتها، وتزوج زوجها بمالها، وتطعمه وزوجته الأخرىٰ من طعامها الذي صنعته بيدها طلبا لرضا الله ﷻ؛ لأنها كانت تصوم النهار وتقوم الليل وتنشغل عنه بعبادتها، فخشيت أن تقصر في حقه وهي لاتشعر فيعاقبها الله ﷻ علىٰ ذلك، وماكانت إلا في صلاة وصيام وذكر وطاعة الله ﷻ، ولكنها خشية الله التي تحول بين المرء وقلبه، وبين المرء وشهواته ونزواته.

وعن مسمع بن عاصم المسمعي، قال: "كانت بالبحرين امرأة عابدة، يقال لها منيفة، فكانت إذا هجم الليل عليها، قالت: بخ بخ يا نفس، قد جاء سرور المؤمن، فتتحزم وتلبس وتقوم إلىٰ محرابها، فكأنها الجذع القائم حتىٰ تصبح، فإذا أصبحت وأمكنت الصلاة فإنما هي في صلاة حتىٰ ينادىٰ بالعصر، فإذا صلت العصر هجعت إلىٰ غروب الشمس، هذا دأبها، قيل لها: لو جعلت هذه النومة في الليل، كان أهدأ لبدنك، فقالت: لا والله، لا أنام في ظلمة الليل ما دمت في الدنيا.

قال أبو سفيان: فحدثني رجل من أهلها، قال: فمكثت كذلك أربعين سنة، ثم ماتت".

قال أبو سفيان: "فحدثني رجل من البحرين، يقال له عامر بن مليك، قال: رأيت منيفة بعد موتها في منامي، فقلت: يا منيفة، ما حال الناس هناك؟ فأقبلت علي وقالت: عن أي حالهم تسأل؟ الدار واحدة لأهل الطاعة يتعالون فيها بالأعمال، ولا تسأل عن حال أهل النار، قال: فبكيت والله، من قولها: لا تسأل عن حال أهل النار! ثم وليت فأتبعتني صوتًا: يا عامر، عليك بالجد والاجتهاد؛ لعلك أن تجري في مساعي السابقين غداً، قال عامر: فمرضت والله من هذه الرؤيا شهراً".

قال أبو سيار: "وحدثني عامر بن مليك البحراني، عن أمة قالت: بت ذات ليلة عند منيفة ابنة أبي طارق، فما زادت علىٰ هذه الآية من أول الليل إلىٰ آخره، ترددها

وتبكي وتقول: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١]"(١).

بخ بخ: كلمة تقال عند الإعجاب بالشيء.

وعن ابن شعبة بن دخان: "يذكر أن أم طلق كانت تصلي في كل يوم وليلة أربعمائة ركعة، وتقرأ من القرآن ما شاء الله"(٢).

وعن عبد الله المكي أبي محمد، قال: "كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة، قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها، فقالت: إلهي، غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك!

فإذا كان السحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأهني! أم رددتها علي فأعزى! فوعزتك، لهذا دأبي أبداً ما أبقيتني، وعزتك، لو انتهرتني ما برحت من بابك! ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك"(٣).

انتهرتني: زجرتني وطردتني.

وكانت حفصة بنت سيرين ﷺ، من الزاهدات العابدات الحافظات للقرآن، عن هشام بن حسان، قال: "كانت حفصة تقول لنا: يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب؛ فإني ما رأيت العمل إلا في الشباب".

وقال: "قرأت القرآن وهي ابنة اثنتي عشرة سنة [أي حفظته]، وماتت وهي ابنة تسعين".

وعن هشام: "أن حفصة كانت تدخل في مسجدها [أي مصلاها في بيتها]، فتصلي فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهار

---

(١) صفة الصفوة(٢/ ٢٧٩).

(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ١٥٢).

(٣) صفه الصفوة (٢/ ٢٤٦).

وتركع، ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوأها ونومها، حتىٰ إذا حضرت الصلاة عادت إلىٰ مسجدها إلىٰ مثلها".

وعن مهدي بن ميمون، قال: "مكثت حفصة في مصلاها ثلاثين سنة، لا تخرج إلا لحاجة أو لقائلة".

وعن هشام: "أن ابن سيرين كان إذا أشكل عليه شيء من القراءة، قال: اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ".

وعنه، قال: "اشترت حفصة جارية، أظنها سندية، فقيل لها: كيف رأيت مولاتك؟ فذكر إبراهيم كلاماً بالفارسية، تفسيره: أنها امرأة صالحة، إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً؛ فهي الليل كله تبكي وتصلي!!".

وعن عبد الكريم بن معاوية، قال: "ذُكر لي عن حفصة: أنها كانت تقرأ نصف القرآن في كل ليلة، وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق".

وعن هشام، قال: "كانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل، ثم تقوم في مصلاها، فربما طفئ السراج فيضيء لها البيت حتىٰ تصبح"(١).

الدهر: السنة أو العام.

وعن الحكم بن سنان الباهلي، قال: "حدثتني امرأة كانت تخدم معاذة العدوية، قالت: كانت تحيي الليل صلاة، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار، وهي تقول: يا نفس، النوم أمامك، لو قدمت لطالت رقدتك في القبر علىٰ حسرة أو سرور، قالت: فهي كذلك حتىٰ تصبح".

وعن آسية بنت عمرو العدوية، قالت: "كانت معاذة العدوية تصلي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة، وتقرأ جزأ ها من الليل تقوم به، وكانت تقول: عجبت لعين تنام، وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور!".

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٢٤١). التهجد وقيام الليل (٢٤٧).

يَـا طَوِيْـلَ الرُّقَـادِ وَالْغَفَـلاتِ كَثْـرَةُ النَّـوْمِ تُـوْرِثُ الْحَسَـراتِ
إنَّ فِـيْ الْقَبْـرِ إِنْ نزَلْـتَ إِلَيْـهِ لَرُقَـاداً يَطُـوْلُ بَعْـدَ الْمَمَـاتِ[١]

وعن روح بن سلمة الوراق، قال: "سمعت عفيرة العابدة تقول: بلغني: أن معاذة العدوية لما احتضرها الموت، بكت ثم ضحكت، فقيل لها: مم بكيت ثم ضحكت؟ فمم البكاء ومم الضحك؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم؛ فإني ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر، فكان البكاء لذلك! وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي؛ فإني نظرت إلىٰ أبي الصهباء، قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان، وهو في نفر والله، ما رأيت لهم في الدنيا شبهًا، فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا!

قال: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة"[٢].

أبو الصهباء: زوجها صلة بن أشيم مات قبلها شهيدا.

وكانت رابعة العدوية البصرية ﵀ من الزاهدات العابدات، قالت: "اعتللت علة قطعتني عن التهجد وقيام الليل، ثم رزقني الله العافية، فاعتادتني فترة عقب العلة، فبينا أنا ذات ليلة راقدة، أريت جارية فأدخلتني قصرا، فتلقانا فيه وصفاء بأيديهم المجامر، قالت: أفلا تجمروا هذه المرأة؟ قالوا: قد كان لها في ذلك حظ فتركته، ثم أقبلت علي، فقالت:

صَـلاتُكِ نُـورٌ وَالْعِبَـادُ رُقُـودُ وَنَوْمُـكِ ضِـدٌّ لِلصَّـلَاةِ عَنِيـدُ
وَعُمْـرُكِ غَـنْمٌ إِنْ عَقَلْـتِ وَمُهْلَـةٌ يَسِـيرُ وَيَفْنَـىٰ دَائِبًـا وَيَبِيـدُ

قالت: فما ذكرتها إلا طاش عقلي وأنكرت نفسي، وما نامت رابعة ﵀ بعد هذه الرؤيا بليل حتىٰ ماتت"[٣].

(١) شد الإزار في حط الأوزار(١/ ٣١٦).
(٢) صفه الصفوة (٢/ ٣٤٠).
(٣) مختصر قيام الليل (١/ ١٠٥).

وعن عبيس بن مرحوم، حدثتني عبدة بنت أبي شوال، وكانت من خيار إماء الله، قال: قالت: "كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتىٰ يسفر الفجر، قالت: فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من رقدتها ذلك: يا نفس، كم تنامين وإلىٰ كم لا تقومين؟ أوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا بصرخة يوم النشور، قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتىٰ ماتت"[١].

وعن الربيع، قال: بت أنا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة بالأبلة، فقامت أول الليل ،وهي تقول:

قـام المحـب إلـىٰ المؤمـل قومـة ... كـاد الفـؤاد مـن السـرور يطيـر

◊ فلما كان جوف الليل سمعتها تقول أيضاً:

لا تأنسـن بمـن توحشـك نظرتـه ... فتمـنعن مـن التـذكار في الظـلام

واجهـد وكـد وكـن في الليـل ذا شـجن ... يسـقيك كـأس وداد العـز والكـرم

قال: ثم نادت: [أي عند الصباح] واحرباه، واسلباه!! فقلت: مما ذا؟ فقالت:

ذهـب الظـلام بأنسـه وبألفـه ... ليـت الظـلام بأنسـه يتجـدد[٢]

وعن محمد بن عبد العزيز بن سلمان، قال: "كانت شعوانة قد كمدت، حتىٰ انقطعت عن الصلاة والعبادة، فأتاها آت في منامها، فقال:

أذري جفونـك أمـا كنـت شـاجية ... إن النياحـة قـد تشـفي الحزينينـا

جـدي وقـومي وصـومي الـدهر دائبـة ... فإنمـا الصـوم مـن فعـل المطيعينـا

فأصبحت فأخذت في الترنم والبكاء، وراجعت العمل.

---

(١) التهجد وقيام الليل (١/ ١١٤).

(٢) صفة الصفوة، ط ـ دار الحديث (٢/ ٢٦٦).

وعن الحسن بن يحيي، قال: "كانت شعوانة تردد هذا البيت فتبكي، وتُبكي النساك معها، تقول:

لقــد أمــن المغــرور دار مقامــة ويوشــك يومــًا أن يخــاف كمــا أمــن

وعن روح بن سلمه، قال: قال لي مُضر: "ما رأيت أحداً أقوىٰ علىٰ كثرة بكاء من شعوانة، ولا سمعت صوتاً قط أحرق لقلوب الخائفين من صوتها، إذا هي تشجت ثم نادت: يا مولاي، وبني الموتىٰ، وأخوة الموتىٰ".

وقال أبو عمر الضرير: "سمعتها تقول: من استطاع منكم أن يبكي فليبك وإلا فليرحم الباكي، فإن الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتىٰ إلىٰ نفسه".

وعن الحارث بن مغيرة، قال: "كانت شعوانة تنوح بهذين البيتين:

يؤمــل دنيــا لتبقــىٰ لــه فــوافىٰ المنيــة قبــل الأمــل

حثيــًا يــروىٰ أصــول الفســيل فعــاش الفســيل ومــات الرجــل"[١]

الفسيل: الزرع الصغير.

وكانت أم هارون من الخائفات العابدات، وكانت تأكل الخبز وحده، وكانت تقول: ما أنشرح إلا بدخول الليل، فإذا طلع النهار اغتممت، وكانت تقوم الليل كله فتقول: إذا جاء السحر دخل قلبي الروع .. وسمعت قائلا يقول: خذوها؛ فوقعت مغشيا عليها! وما دهنت رأسها بدهن مدة عشرين سنة، وكانت إذا كشفت رأسها وجد شعرها أحسن من شعر النساء، وكانت إذا عرض لها الأسد في البرية، قالت له: إن كان لك في شيء فكل، فيولي راجعا عنها"[٢]

(١) صفة الصفوة (٤/ ٥٦).
(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور(١/ ٧٠).

وقال مجاهد عن مريم العذراء عليها السلام: "لما قيل لها ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ [آل عمران:٤٣]، قامت حتىٰ ورمت قدماها". تفسير الطبري. وقال: "سجدت حتىٰ قرحت". زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي. وقال الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير في قوله: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى ﴾، قال: "سجدت حتىٰ نزل الماء الأصفر في عينيها". تفسير ابن كثير وعن ابن شوذب، قال: "كانت تغتسل كل ليلة" (١)؛ أي: لقيام الليل.

وعن بلال بن أبي الدرداء، أن أمه عثامة رضي الله عنها كف بصرها، فدخل عليها ابنها يوما وقد صلىٰ، فقالت: أصليتم أي بني؟ قال نعم، فقالت:

عثام مالك لاهية	حلت بدارك داهية
ابكي الصلاة لوقتها	إن كنت يوما باكية
وابكي القرآن إذا تلي	قد كنت يوما تالية
تتلينه بتفكر	ودموع عينك جارية
فاليوم لا تتلينه	إلا وعندك تالية
لهفي عليك صبابة	ماعشت طول حياتيه (٢)

انظر ياعبدالله، وانظري يا أمة الله، إلىٰ هذه الصحابية رضي الله عنها كيف تعاتب نفسها وتلومها علىٰ الصلاة،وعلىٰ عدم قراءة القرآن، وتتحسر علىٰ ذلك وتبكي، مع أنها كفيفة قد ذهب بصرها وكبر سنها رضي الله عنها

هكذا كان نساء السلف رحمهم الله جميعه في قيامهن وصيامهن وعبادتهن وذكرهن لله عز وجل كأزواجهن بل أشد، وكان بعضهن يجتمعن إلىٰ بعض عند القيام؛ ليستأنسن ببعضهن ويؤازرن بعضهن علىٰ قيام الليل وعلىٰ ذكر الله عز وجل

(١) الزهد لأبي داود (١١٤).
(٢) صفه الصفوة (٢/ ٤٣٠)، الزهد للإمام أحمد (٢٥٠).

عن يونس بن ميسرة، قال: "كنا نحضر أم الدرداء، وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله، حتىٰ إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام"(١).

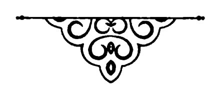
وقال: "كن النساء يتعبدن مع أم الدرداء، فإذا ضعفن عن القيام تعلقن بالحبال"(٢).

قلت: التعلق بالحبال نهىٰ عنه النبي ﷺ.

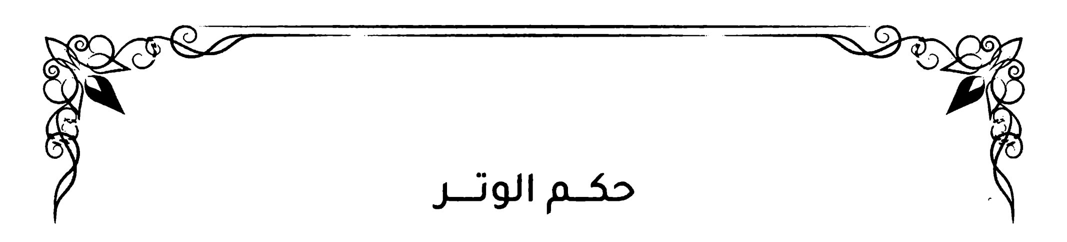
وعن إبراهيم بن عقبة، سمعت أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص، تقول لنسائها في الليل: "احللن عقد الشيطان؛ ليس هذا ساعة نوم"(٣).

وقال السري بن يحيىٰ: "أدركت عواتق الحي يقمن الليل"(٤).

العواتق: الكريمات الحرائر



(١) صفة الصفوة (٢/ ٤٢٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٦٠).
(٣) التهجد وقيام الليل (١/ ٣٢٩).
(٤) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (٢/ ١١٧).



حكم الوتر

الوتر سنة مؤكدة باتفاق جمهور العلماء، ومنهم من أوجبه، كأبي حنيفة وبعض أصحاب أحمد، وهو آكد السنن الراتبة التي تكون قبل الصلاة وبعدها، وكذلك ركعتي الفجر، وكان النبي ﷺ لايدعهما سفرا ولا حضرا، وأقله ثلاث ركعات وهو أدنىٰ الكمال كما قال أهل العلم، وتجزي واحدة.

قال الإمام النووي رحمه الله: "في حكم الوتر: مذهبنا أنه ليس بواجب، بل هو سنة متأكدة، وبه قال جمهور العلماء؛ من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، قال القاضي أبو الطيب: هو قول العلماء كآفة حتىٰ أبو يوسف ومحمد، قال :وقال أبو حنيفة وحده: هو واجب وليس بفرض، فإن تركه حتىٰ طلع الفجر أثم ولزمه القضاء!! وقال الشيخ أبو حامد في تعليقه: "الوتر سنة مؤكدة ليس بفرض ولا واجب، وبه قالت الأمة كلها إلا أبا حنيفة؛ فقال: هو واجب! وعنه رواية: أنه فرض، وخالفه صاحباه [أبو يوسف ومحمد] فقالا: هو سنة، قال أبو حامد: قال ابن المنذر: لا أعلم أحدا وافق أبا حنيفة في هذا"[١].

وسأل شيخ السلام ابن تيمية رحمه الله: في رجل لم يصل وتر العشاء الآخرة: فهل يجوز له تركه؟ فقال: "الحمد لله، الوتر سنة مؤكدة باتفاق المسلمين، ومن أصر علىٰ تركه فإنه ترد شهادته، قال: وتنازع العلماء في وجوبه؛ فأوجبه أبو حنيفة وطائفة من أصحاب أحمد، والجمهور لا يوجبونه، كمالك والشافعي وأحمد؛ لأن النبي ﷺ كان يوتر علىٰ راحلته، والواجب لا يفعل علىٰ الراحلة، لكن هو باتفاق المسلمين سنة

(١) المجموع شرح المهذب (٤/ ١٩).

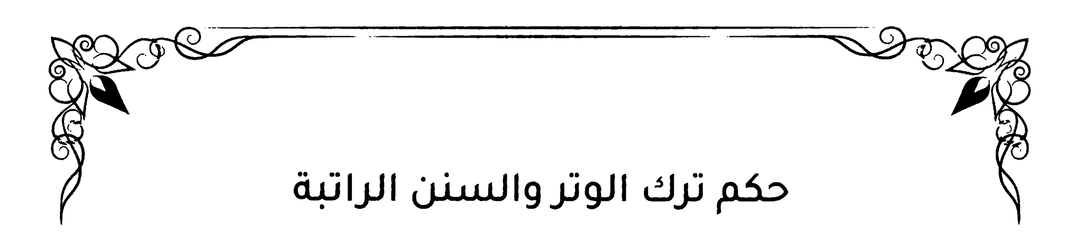
مؤكدة لا ينبغي لأحد تركه، قال: والوتر أوكد من سنة الظهر والمغرب والعشاء، والوتر أفضل من جميع تطوعات النهار، كصلاة الضحىٰ، بل أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل، وأوكد ذلك الوتر وركعتا الفجر، والله أعلم)[١].

وقال ابن الملقن: "أكثر العلماء علىٰ أن الوتر سُنَّة متأكدة، منهم: عليٌّ وعبادة بن الصامت وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي وابن شهاب، وبه قَالَ الثوري والأئمة الثلاثة: مالك والشافعي وأحمد، والليث، وعامة الفقهاء، وقال القاضي أبو الطيب: إنه قول العلماء كافة حَتَّىٰ أبو يوسف ومحمد، قَالَ: وقال أبو حنيفة وحده: هو واجب وليس بفرض، فإن تركه حَتَّىٰ طلع الفجر أثم ولزمه القضاء"[٢].



(١) الفتاوي الكبرىٰ(٢/ ٢٣٧).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح(٨/ ١٧٣).



حكم ترك الوتر والسنن الراتبة

سئل شخ الإسلام ابن تيمية ﵀، عمن لا يواظب على السنن الرواتب؟ فقال: "من أصر على تركها دل ذلك على قلة دينه، وردت شهادته في مذهب أحمد والشافعي، وغيرهما"(١).

وقال الإمام النووي ﵀: "... ومن اعتاد تركها ردت شهادته؛ لتهاونه بالدين وإشعار هذا بقلة مبالاته بالمهمات، وحكى أبو الفرج في غير الوتر وركعتي الفجر، وجهان: أنه لا ترد شهادته باعتياد تركها"(٢).

وقال الزركشي: "من داوم على ترك السنن الراتبة ردت شهادته، لا لارتكابه محرما؛ بل لأن من هذه حاله لا يؤمن أن يترك شيئا من الفرائض"(٣).

وقال في الرعاية: "وترد شهادة من أكثر من ترك السنن الراتبة"(٤).

وقال الإمام السبكي في مجمل كلامه عن ترك السنن: "...كذلك ما حكم فيه بالكراهة من ترك السنن، لابد أن يدل دليل خاص على النهي عنها، وليس لمجرد كونها ترك سنن، ومن جملة ما يستدل به تأكد السنة؛ فإن السنة المؤكدة منها ما يقوى الدليل على كراهة تركها، وبل غالبها كذلك أو كلها، فإن السنة المؤكدة قريبة من الواجب، كما أن المكروه قريب من المحرم، وهما متقابلان، والأشياء تعرف

(١) الفتاوي الكبرى(٢/ ٢٣٧).
(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين للإمام النووي (١١/ ٢٢٣).
(٣) شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٣٣٧).
(٤) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (١٢/ ٤٥).

بأضدادها، فكما أن ترك الواجب حرام، فترك السنة المؤكدة مكروه، ودرجات التأكيد تختلف، فكلما عظمت ظهرت الكراهة، وإذا خفت خفيت"[١].

حكم أداء الوتر بين أذان وصلاة الفجر

إذا لم يتمكن الإنسان من صلاة الوتر إلا بعد طلوع الفجر وقد أذن لصلاة الفجر، جاز له أن يصليها بين الأذان والإقامة.

قال ابن قدامة رحمه الله: "روي ذلك عن: ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وحذيفة وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت وفضالة بن عبيد وعائشة وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعمرو بن شرحبيل رضي الله عنهم".

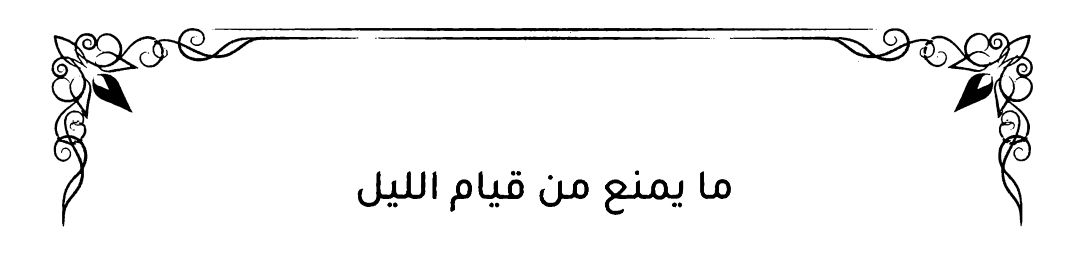
قال: "وبه قال مالك والثوري والأوزاعي والشافعي، وروي عن علي رضي الله عنه أنه خرج بعد طلوع الفجر، فقال: لنعم ساعة الوتر هذه، وروي عن عاصم، قال: جاء ناس إلىٰ أبي موسىٰ، فسألوه عن رجل لم يوتر حتىٰ أذن المؤذن؟ قال: لا وتر له، فأتوا عليًا فسألوه، فقال: أغرق في النزع، الوتر ما بينه وبين الصلاة". [أي صلاة الفجر].

وقال ابن قدامة أيضًا، عن مذهب الإمام أحمد: "ولنا ما روىٰ أبو بصرة الغفاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله زادكم صلاة، فصلوها ما بين العشاء إلىٰ صلاة الصبح: الوتر الوتر**». رواه الأثرم، واحتج به أحمد"[٢].



(١) قضاء الأرب في أسئلة حلب للإمام تقي الدين السبكي (١٤٩).

(٢) المغني لابن قدامة(٢/ ٨٨).



ما يمنع من قيام الليل

فكم بين مشغول بطاعة ربه   وآخر بالذنب الثقيل مقيد

فهذا سعيد في الجنان منعم   وذاك شقي في الجحيم منكد[١]

من الأسباب المانعة من قيام الليل كثرة الذنوب:

عن الحجاج الصواف، قال: "قيل لعبد الله بن مسعود: ما نستطيع قيام الليل؟ قال: أقعدتكم ذنوبكم"[٢].

وعن إسحاق بن إبراهيم الطبري، قال: سمعت الفضيل يقول: "إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطيئتك"[٣].

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، إني أبيت معافىٰ وأحب قيام الليل، وأعد طهوري، فما بالي لا أقوم؟!! فقال الحسن: ذنوبك قيدتك!! وقال له آخر: أعياني قيام الليل؟!! فقال: قيدتك خطاياك[٤].

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: "قلت لأبي سليمان: لم أوتر البارحة، ولم أصل ركعتي الفجر، ولم أصل الصبح في جماعة! قال: بما كسبت يداك، والله ليس بظلام للعبيد؛ شهوة أصبتها"[٥].

---

(١) موسوعة الكتيبات الإسلامية (٢٢/ ٥٤).

(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ٣٧٧).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٩٦).

(٤) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٨/ ٢٨٧).

(٥) حلية الأولياء (٩/ ٢٥٨).

وقال بعضهم: "دخلت علىٰ كرز بن وبرة وهو يبكي، فقلت: أتاك نعي بعض أهلك؟ فقال: أشد! فقلت: وجع يؤلمك؟ قال: أشد! قلت: فما ذاك؟ قال: بابي مغلق وستري مسبل، ولم أقرأ حزبي البارحة، وما ذاك إلا بذنب أحدثته!!"(١).

وعن صالحا المري، عن الحسن، قال: "إن العبد ليذنب الذنب؛ فيحرم به قيام الليل"(٢).

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم ﷺ: إني لا أقدر علىٰ قيام الليل، فصف لي دواء؟!! فقال: لا تعصه بالنهار، وهو يقيمك بين يديه في الليل؛ فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف... (٣).

وقال سفيان الثوري: "حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد، قيل: ما هو؟ قال: رأيت رجلاً يبكي؛ فقلت: هذا مرائي"(٤).

وجاء رجل إلىٰ الحسن البصري، فقال له: إني أعصي الله وأذنب، وأرىٰ الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أني محروم من شيء!! فقال له الحسن: هل تقوم الليل؟ فقال: لا، فقال: كفاك أن حرمك الله مناجاته (٥).

فالذنوب لها تأثير كبير علىٰ حياة الإنسان؛ فهي تقف بطريقه وتصده عن ذكر الله تعالىٰ، وتخذله في أحوج مايكون، وما أهلك الله الأمم السابقة إلا بذنوبهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورىٰ:٣٠].

وفي الحديث عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦).
(٢) التهجد وقيام الليل (١/ ٣٧٩).
(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٧/ ٩٩).
(٤) حلية الأولياء (٧/ ١٧).
(٥) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (١/ ٦٦٥).

يُصِيبُهُ، وَلَا يُرَدُّ الْقَدْرُ إِلَّا بِالدُّعَاءِ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ»[١] . أحمد.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : "إنّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق؛ وإنّ للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق".

وقال الحسن البصري: "إن الرجل ليعمل الحسنة فتكون نورًا في قلبه، وقوة في بدنه؛ وإن الرجل ليعمل السيئة فتكون ظلمة في قلبه، ووهنًا في بدنه"[٢] .

يَـا رَاكِـبَ العِصْـيَانِ وَيْحَـكَ خَلِّهـا ... سَتُحْشَـرُ عَريـا وَوَجْهُـكَ أَسْـوَدُ

وتُـبْ عَـن ذُنُـوْبٍ لا تَـذِلُّ بِـذُلِّهَا ... وحَـافِظْ عَلَـىٰ تِلْـكَ النَّوافِـلِ كُلِّهَـا[٣]

۞ ومنها عدم القيلولة بالنهار:

مر الحسن رحمه الله بقوم في السوق، فرأىٰ منهم مارا، فقال: أما يقيل هؤلاء؟ قالوا: لا، قال: **إني لأرىٰ ليلهم ليل سوء!!** وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال: **"القائلة من عمل أهل الخير، وهي مجمة للفؤاد، مقواة علىٰ قيام الليل"**، وعن مجاهد رحمه الله : "بلغ عمر رضي الله عنه **أن عاملا له لا يقيل، فكتب إليه: أما بعد: فَقِل؛ فإن الشيطان لا يقيل!"**، وعن خوات بن جبير رحمه الله ، قال: **"نوم أول النهار حمق، ووسطه خلق، وآخره خرق"**[٤] .

والقيلولة ثابتة في القرآن والسنة، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور:٥٨].

---

(١) أحمد (٥/ ٢٧٧) و (٢٨٠ و ٢٨٢)، والنسائي (٢٧٣)، وابن ماجة (٩٠) في المقدمة، و (٤٠٢٢) في الفتن، والطبراني في الكبير (١٤٤٢)، والحاكم في المستدرك (١٨١٤)، وغيرهم.

(٢) البيهقي في الشعب (٦٨٢٦)، التوبة لابن أبي الدنيا (١٩٧،١٩٣).

(٣) مجموع القصائد الزهدية(١/ ٤٤٧).

(٤) مختصر قيام الليل (١٠٤)، الزهد للإمام أحمد (٣٨٤).

وفي الحديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْتَعِينُوا بقائلةِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ، وبأَكْلِ السَّحَرِ عَلَىٰ صِيَامِ النَّهَارِ**»(١).

وقال الإمام الغزالي في الإحياء: "القيلولة لمن يقوم الليل كالسحور للصائم"(٢).

ومنها كثرة الأكل بالليل:

فكثرة الأكل بالليل تثقل البدن، وتطغىٰ علىٰ القلب وتثبطه؛ رأىٰ معقل بن حبيب رحمه الله قوماً يأكلون كثيراً، فقال: ما نرىٰ أصحابنا يريدون أن يصلوا الليلة!(٣).

وقال الإمام الغزالي:"كان بعض الشيوخ يقف علىٰ المائدة كل ليلة، ويقول: معاشر المريدين، لا تأكلوا كثيرا؛ فتشربوا كثيرا؛ فترقدوا كثيرا؛ فتتحسروا عند الموت كثيرا!! وهذا هو الأصل الكبير، وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام"(٤).

وجدت الجوع يطرده رغيف ... وملء الكف من ماء الفرات
وقل الطعم عون للمصلي ... وكثر الطعم عون للسبات(٥)

ومنها السهر أول الليل:

فمن سهر أول الليل صعب عليه القيام آخره، والأفضل لمن كان هذا حاله أن يجعل قيامه ووتره قبل نومه، ولاشك أن جوف الليل أفضل؛ لما جاء في الحديث.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "**جَدَبَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ**"؛ يَعْنِي: زَجَرَنَا(٦).

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١١٦٢٥)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٧٤١)، ومختصر قيام الليل(١٠٤).
(٢) نزهة المجالس (١/ ١٢٤).
(٣) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب (٩/ ٤٠٠).
(٤) إحياء علوم الدين(١/ ٣٥٦).
(٥) حلية الأولياء (٧/ ٢١٩).
(٦) أبو داود (٢٥٠)، وابن ماجة (٧٠٣)، وابن خزيمة (١٣٣٩)، وابن أبي شيبة (٦٦٧٨)، وصححه الألباني (٢٤٣٥) الصحيحة.

وقيل جدب: ذم وعاب

وعن هشام بن عروة، قال: "سمعت أبي يقول: انصرفت بعد العشاء الآخرة، فسمعت كلامي عائشة رضي الله عنها خالتي، ونحن في حجرة، بيننا وبينها سقف، فقالت: يا عروة أو يا عرية، ما هذا السمر؟ **إني ما رأيت رسول الله ﷺ نائمًا قبل هذه الصلاة، ولا متحدثًا بعدها؛ إما نائمًا فيسلم، أو مصليًا فيغنم**".

وجاء رجل إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فدعاه على بابه فخرج إليه، فقال: ما حاجتك؟ فقال: الحديث، فأغلق الباب دونه وقال: **"جدب لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحديث بعد العتمة"**.

وعن أبي رافع رحمه الله: كان عمر رضي الله عنه ينش الناس بدرته بعد العتمة، يقول: **"قوموا لعل الله يرزقكم صلاة"**.

وعن خرشة بن الحر: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس بالدرة بعد صلاة العشاء، ويقول: **"أسمر أول الليل ونوم آخره؟!"**.

وعن عمرة رحمها الله: أن عائشة رضي الله عنها، كانت إذا سمعت أحدًا من أهلها يتحدث بعد العشاء، قالت: "أريحوا كُتّابكم"، وكانت ترسل إلى عروة رحمه الله: "يا ابن أختي، أرح كاتبك"، وقالت: "لا سمر إلا لثلاثة: مسافر أو متهجد أو عرس". وكان ناس من قريش يسمرون بعد العشاء، فكانت ترسل إليهم: "أن ارجعوا إلى بيوتكم؛ ليكن لأهليكم فيكم نصيب".

وعن معاوية بن قرة رحمه الله، أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلى العشاء: "يا بني، ناموا؛ لعل الله يرزقكم من الليل خيرا"(١).

وقال سلمان رضي الله عنه "...إياكم وملغاة أول الليل؛ فإن ملغاة أول الليل مهدنة لآخره"(٢)، وفي رواية: "مذهبه لآخره"(٣).

---

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (١١٥).

(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ١٣١).

(٣) مصنف ابن أبي شية (٥٩٧٤)، ومصنف عبدالرزاق (٤٧٢٦).

قال أبو عبيد: "قال أبو زيد وغيره: قوله ملغاة: من اللغو وكثرة الحديث، والمهدنة: من الهدنة وهي السكون، يقال منه: هدنت أهدن هدونا إذا سكنت فلم تتحرك، والذي أراد به سلمان: أنه إذا سهر أول الليل ولغا؛ ذهب به النوم في آخره فمنعه من القيام للصلاة؛ وبعضهم يرويه: مهدرة أول الليل، في موضع ملغاة، وهو قريب المعنىٰ من ذلك"[١].

وقال في الفائق: "الملغاة والمهذرة والمهدنة: مفعلة من اللغو والهذر والهدون بمعنىٰ السكون، والمعنىٰ: إن من قطع صدر الليل بالسمر؛ ذهب به النوم في آخره فمنعه من القيام للصلاة"[٢].

هكذا كان السلف ﵏، يعلمون من أين يؤتون وما أصابهم؛ لأن قلوبهم كانت صافية نقية كالمرآة، يرون ذنوبهم ويحسون بها، كما نرىٰ نحن الأشياء من حولنا ونحس بها، وما ذلك إلا لقلة ذنوبهم وصفاء قلوبهم.

واعلم بأن واحدا من هذه الأسباب، كفيل بأن يمنعك من قيام الليل، فما بالك بمن اجتمعت عليه كلها! نسأل الله السلامة والعافية.

قال أبو إسحاق بن محمد الحكم لأبي بكر الوراق ﵀:

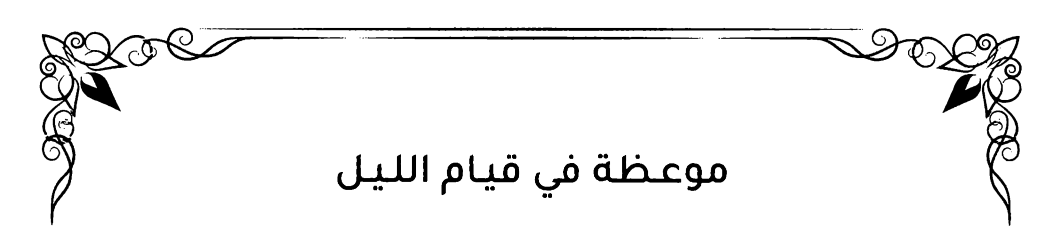
إِنَّ الْجَرَائِمَ أَقْفَلَتْ بَابَ الْهُدَىٰ ... فَالْعِلْمُ لَيْسَ بِفَاتِحٍ أَقْفَالِهَا
إِنَّ الْقُلُوبَ تَنَجَّسَتْ بِبَطَالَةٍ ... فَالسَّعْيُ غَيْرُ مُطَهِّرٍ أَفْعَالَهَا[٣]

اللهم طهر قلوبنا، واغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، واهدنا للحق والصواب يا أرحم الراحمين.



(١) غريب الحديث للقاسم بن سلام (٤/ ١٣١).
(٢) الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٤٣).
(٣) مجموعة القصائد الزهديات للسلمان (١/ ٤٤٦).





موعظة في قيام الليل

كان أَبو ذرٍّ ﷺ يقُول: "يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنِّي عَلَيْكُمْ شَفِيقٌ، صَلُّوا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ، وَصُومُوا الدُّنْيَا لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ، وَتَصَدَّقُوا مَخَافَةَ يَوْمٍ عَسِيرٍ، يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنِّي عَلَيْكُمْ شَفِيقٌ"(١).

وكان أبو معاوية الأسود يقول في جوف الليل: "من كانت الدنيا أكبر همه؛ طال غدا في القبر غمه، ومن خاف الوعيد؛ لهىٰ في الدنيا عما يريد، يا مسكين، إنْ كنت تريد لنفسك فلا تنامن الليل إلا القليل، اقبل من الدين الناصح، إذا أتاك بأمر واضح، لا تهتم بأرزاق من تخلف، فليست أرزاقهم تكلف، وطِّن نفسك للمقال، إذا وقفت بين يدي رب العزة للسؤال، قدم صالح الأعمال عند كثرة الاستعمال، بادر ثم بادر ، قبل نزول ما تحاذر.."(٢)؛ يريد: الموت.

ومن كلام عمر بن ذر "كَمْ مِنْ قَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدِ اغْتَبَطَ بِقِيَامِهِ فِي ظُلْمَةِ حُفْرَتِهِ، وَكَمْ مِنْ نَائِمٍ فِي هَذَا اللَّيْلِ قَدْ نَدِمَ عَلَىٰ طُولِ نَوْمَتِهِ؛ عِنْدَمَا يَرَىٰ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لِلْعَابِدِينَ غَدًا، فَاغْتَنِمُوا مَمَرَّ السَّاعَاتِ وَاللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، رَحِمَكُمُ اللهُ"(٣).

قُمِ اللَّيلَ يَا هَذا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ ... إِلىٰ كَمْ تَنَامُ الليلَ والعُمْرُ يَنْفَدُ
أَراكَ بِطُوْلِ اللَّيلِ وَيْحَكَ نَائِمُ ... وَغَيْرُكَ في مِحْرابِهِ يَتَهَجَّدُ
وَلَوْ عَلِمَ البَطَّالُ مَا نَالَ عابدُ ... مِنَ الأَجْرِ والإحْسَان مَا كَانَ يَرْقُدُ

(١) صفه الصفوة (١/ ٢٢٦) ، الزهد وقيام الليل (٢١٥).
(٢) حلية الأولياء(٨/ ٢٧٢).
(٣) حلية الأولياء (٥/ ١١٣).

فَكَـــمْ قَـــدْ أَكَلْنَـــا والتَّقِيُّـــونَ صُـــوَّمُ ... وَنُمْنَـــا وَهُـــمْ باللَّيْـــلِ يَبْكُـــونَ قُـــوَّمُ

وَلَـوْ مُفْلِـسٌ يَـدْرِي وَهَـلْ أَيْـنَ خَيَّمُـوْا ... لَصَـــامَ وَقَـــامَ الليـــلَّ والنـــاسُ نُـــوَّمُ

فَحَـاذِرْ مِـن الـدُنْيَا وَمِـنْ لَـدْغِ صِـلِّها ... فَلَـــيْسَ لَهَـــا عَهْـــدٌ يَفِـــي لِخِلِّهـــا

أَتَرْقُـــدُ يَـــا مَغْـــرُوْرُ والنـــارُ تُوْقَـــدُ ... فـلا حَرُّهَـا يَطْفَـىٰ ولا الجَمْـرُ يَخْمُـدُ[١]

وكان يحيىٰ بن معاذ يقول: "طوبىٰ لعبد أصبحت العبادة حرفته، والفقر منيته، والعزلة شهوته، والآخرة همته، وطلب العيش بلغته، وجعل الموت فكرته، وشغل بالزهد نيته، وأمات بالذل عزته، وجعل إلىٰ الرب حاجته، يذكر في الخلوات خطيئته، وأرسل علىٰ الوجنة عبرته، وشكىٰ إلىٰ الله غربته، وسأله بالتوبة رحمته، طوبىٰ لمن كان ذلك صفته، وعلىٰ الذنوب ندامته، جآر الليل والنهار، وبكاء إلىٰ الله بالأسحار، يناجي الرحمن، ويطلب الجنان، ويخاف النيران"[٢].

وكان عبيد بن عمير الليثي يقول إذا جاء الشتاء: "يا أهل القرآن، قد طال الليل لصلاتكم، وقصر النهار لصومكم، فاعملوا إن أعياكم الليل أن تكابدوه، وخفتم العدو أن تجاهدوه، وبخلتم بالمال أن تنفقوه؛ فأكثروا من ذكر الله ﷻ"[٣].

وكانت ماجدة القرشية ﵆ تقول: "سكان دار أوذنوا بالنقلة، وهم حيارىٰ يركضون في المهلة ! كأن المراد غيرهم، أو التأذين ليس لهم، والمعني بالأمر سواهم !! آه من عقول ما أنقصها! ومن جهالة ما أتمها ! بؤسا لأهل المعاصي، ماذا غروا به من الإمهال والإستدراج ؟!"[٤].

يركضون في المهلة: أي في الدنيا.

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات للسلمان (١/ ٤٤٦).

(٢) حلية الأولياء (١٠/ ٥٨).

(٣) الزهد للإمام أحمد(٣٠٧).

(٤) صفه الصفوة (٢/ ٢٧٩).

وعَنْ سَالِمِ بْنِ حَجَلٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه بَكَىٰ فِي مَرَضِهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: "أَمَا أَنِّي لَا أَبْكِي عَلَىٰ دُنْيَاكُمْ هَـٰذِهِ، وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَىٰ بُعْدِ سَفَرِي وَقِلَّةِ زَادِي، وَإِنِّي أَمْسَيْتُ فِي صُعُودٍ وَمَهْبَطَةٍ عَلَىٰ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَلَا أَدْرِي إِلَىٰ أَيِّهِمَا يُؤْخَذُ بِي!!"(١).

وعن حوشب بن عقيل: "سمعت يزيد الرقاشي يقول لما حضره الموت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، إلا إن الأعمال محضرة والأجور مكملة، ولكل ساع ما سعىٰ، وغاية الدنيا وأهلها إلىٰ الموت، ثم بكىٰ، وَقَال: يَا من القبر مسكنه، وبين يدي اللهِ موقفه، والنار غدا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لوقوفك بين يدي ربك؟"(٢).

وقال ابن أسباط: "إذا تعبد الشاب؛ قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه، فإن كان مطعمه مطعم سوء؛ يقول: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه"(٣). نسأل الله العفو والعافية.

وعند البيهقي، بسند ضعيف: «... وركعتان من رجل ورع، أفضل من ألف ركعة من مخلط». وهذا صحيح من حيث المعنىٰ، أما من حيث العدد فالله أعلم.

ومن كلام ابن الجوزي رحمه الله: "إخواني، مر الأقران علىٰ مدرجة، وخيول الرحيل للباقين مسرجة، سَار الْقَوْم إِلَىٰ الْقُبُور هملجة، وباتت أَرْوَاح من الأشباح مستخرجة، إِلَىٰ كم هَذَا التسويف والمجمجة؟! بضائعكم كلهَا بهرجة، وطريقكم صعبة عَوْسَجَة، وستعرفون الْخَبَر وَقت الحشرجة، أَيْن من حصَّن الْحُصُون واحترس، وَعمَّر الحدائق وغرس، وَنصب سَرِير الْكبر وَجلسَ، وَظن بَقَاء للنَّفس فخاب الظَّن فِي نفس، نازله

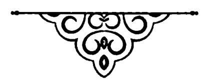
(١) الزهد للإمام أحمد (١٢٦).

(٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٣٢/ ٧٦).

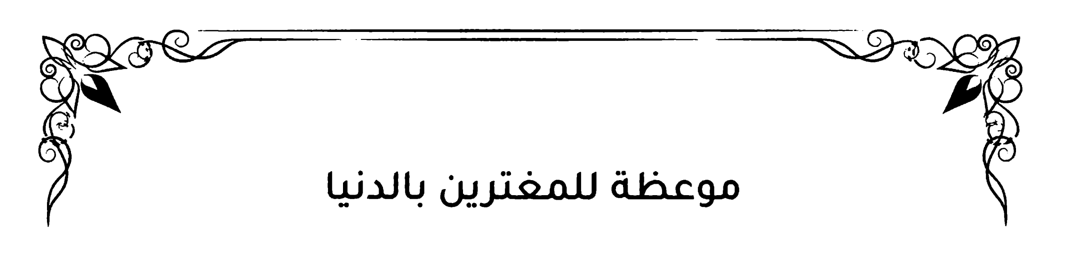
(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر(١/ ٣٨٦).

الْمَوْت، فَلَمَّا أنزلهُ عَن ظهر الْفرس فرس، وَوجه وَجهه إِلَىٰ ديار البلىٰ فانطمس، وَتَركه فِي ظلام ظلمَة بَين الْعَيْب والدنس، فالعاقل من بَادر الندامة فَإِن السَّلامَة خلس"[١].

أَلا أَيهَا الْمَغْرُور وَالْمَوْت نَحوه | خلقت لَهُ تحدو إِلَيْهِ الركائب
أغرك حلم الله أم لست موقنا | بأنك مَبْعُوث غَدا ومحاسب
بأيسر من مِثْقَال حَبَّة خَرْدَل | وَإنَّك مَجْزِي بِمَا أَنْت كاسب[٢]



(١) المدهش لابن الجوزي (٢١٢).
(٢) بستان الواعظين لابن الجوزي (١٤٦)



موعظة للمغترين بالدنيا

كان عبد الملك بن مروان من الملوك الذين مكن الله لهم في الأرض؛ حتىٰ قيل: الملوك أربعة؛ معاوية رضي الله عنه وعبدالملك بن مروان وهشام بن عبدالملك وأبو جعفر المنصور رحمه الله، ولكنه عند الموت ندم علىٰ توليه الملك، وتمنىٰ أنه لم يملك ولم يلج سدة الحكم ساعة من نهار، وأنه عاش حمالا فقيرا، لايعرفه أحد ولا يعرف أحدا!! يحمل علىٰ ظهره ويأكل من قوت يده!! قال عند موته: "ياليتني عشت حمالا، منذ ولدتني أمي إلىٰ أن مت"، وقال:

لعمري لَقَدْ عُمِّرْتُ فِي الدَّهْرِ بُرْهةً ... وَدَانَتْ لِيَ الدُّنْيَا بِوَقْعِ الْبَوَاتِرِ

فَأَضْحَىٰ الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا يَسُرُّنِي ... كَلَمْحٍ مَضَىٰ فِي الْمُزْمِنَاتِ الْغَوَابِرِ

فَيَا لَيْتَنِي لَمْ أَعْنِ بِالْمُلْكِ سَاعَةً ... وَلَمْ أَلْهُ فِي لَذَّاتِ عيشٍ نَوَاضِرِ

وَكُنْتُ كَذِي طِمْرَيْنِ عَاشَ ببلغةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ حَتَّىٰ زَارَ ضَنْكَ الْمَقَابِرِ[1]

برهة: لحظه. **البواتر:** السيوف.

كلمح مضى: أي سريع كلمح البصر، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧].

المزمنات الغوابر: الزمن الماضي.

لم أعن بالملك: لم أعتني به وأطلبه.

---

(١) تاريخ الخلفاء(١٦٦)، تاريخ الإسلام(٦/ ٧٣).

أله: أشغل. طمرين: ثوبين قصيرين، وهما أثواب الفقير.

وقال عند موته -أيضا- عن الدنيا: "إن طويلك لقصير، وإن كبيرك لصغير، وإن كنا منك لفي غرور!!"(١).

فكفى بها من موعظة وعبرة لمن أراد أن يعتبر ويدكر، من رجل ملك الدنيا بأصرها، وذاق حلوها ومرها.

وأشرف أحمد بن يوسف ﷺ وهو بالموت على بستان له، على شاطئ دجلة، فجعل يتأمله ويتأمل دجلة، ثم تنفس، **وقال متمثلا:**

ما أطيب العيشَ لولا موت صاحبه	ففيه ما شئتَ من عيبٍ لعائبه

فما أُنزل حتى مات ﷺ(٢).

وحكى المسعودي، قال: شكوا في موت المعتضد، فتقدم إليه الطبيب وجس نبضه؛ ففتح عينيه ورفس الطبيب برجله فدحاه أذرعًا؛ فمات الطبيب، ثم مات المعتضد من ساعته، **ولما احتضر أنشد:**

تمتع من الدنيا فإنك لا تبقى	وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر، إني أمنته	فلم يبقَ لي حالًا، ولم يرعَ لي حقًّا
قتلت صناديد الرجال فلم أدع	عدوًّا، ولم أمهل على ظنة خلقًا
وأخليت دور الملك من كل بازل	وشتتهم غربًا، ومزقتهم شرقًا
فلما بلغت النجم عزًّا ورفعة	ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا
رماني الردى سهمًا فأخمد جمرتي	فها أنا ذا في حفرتي عاجلًا ملقى

(١) العاقبة في ذكر الموت (١٢٨).

(٢) موسوعة ابن أبي الدنيا (٥/ ٣٧٣).

فأفسدت دنياي وديني سفاهة ... فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقىٰ؟

فيا ليت شعري بعد موتي ما أرىٰ ... إلىٰ نعمة لله أم ناره ألقىٰ؟[(١)]

ولما نزل بهارون الرشيد الموت، أمر بقبره فحفر، فلما اطلع عليه جعل يقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة:٢٨، ٢٩]. ولما حضرت أمير المؤمنين المأمون الوفاة، أمر بجل دابته، ففرش له فاضطجع عليه، ووضع الرماد علىٰ رأسه، وجعل يقول: "يا من لا يزول ملكه، ارحم اليوم من قد زال ملكه"[(٢)].

وقال بكر بن عبد الله: "جمع رجل من بني إسرائيل مالا، فلما أشرف علىٰ الموت قال لبنيه: أروني أصناف أموالي التي جمعت؛ فأتي بشيء كثير، فلما رآه بكىٰ تحسرا، فقال له ملك الموت: ما يبكيك؟ فوالله، ما أنا بخارج من منزلك حتىٰ أفرق بين روحك وبدنك، فقال له: أمهلني حتىٰ أفرقه! قال: هيهات، انقطعت المهلة! فهلا كان هذا قبل حضور أجلك! ثم قبض روحه"[(٣)]. قلت: جامع المال يموت بحسرته، فلا هو أخذه معه ولا أنفقه.

وجمع رجلٌ مالًا كثيرًا، فآتاه ملك الموت، فقال له: اصنع بمالك ما أنت صانع، فإني لست بخارج عنك حتىٰ أخرج بنفسك! فأمر بماله فجمع، فلما رآه قال: لعنك الله من مال، فأنت شغلتني عن عبادة ربي، ومنعتني عن النظر لنفسي [أي العمل لنفسي]، فأنطق الله ﷻ المال، فقال: لما تسبني؟ وبي جلست مجالس الملوك، وبي نكحت المتنعمات، وبي فعلت وفعلت، وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك، ولو أنفقتني في سبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم!! ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ميتا"[(٤)].

---

(١) تاريخ الخلفاء (١/ ٢٧١).

(٢) العاقبة في ذكر الموت (١٣٠).

(٣) العاقبة في ذكر الموت (١٤١).

(٤) العاقبة في ذكر الموت (١٤١).

فما تزود مما كان يجمعه ... إلا حنوطا وأكفان من الخرق
وغير نفحة أعواد تشد له ... فما أقله من زاد لمنطلق[١]

صدق والله، فما أقله من زاد لمنطلق إلىٰ دار الآخرة، ومستقبلا أهوالا عظام، وأمورا جسام، تسيخ فيها الأقدام، وتتفرق فيها الأقوام، و يطول فيها المقام!!

وقال ابن كثير: "...بنىٰ الخليفة العباسي المنصور قصرا، سماه الخلد!! وتأنق فيه [أي جَمَّله]، فرأىٰ رؤيا أفزعته، فقال للربيع: ويحك يا ربيع! لقد رأيت مناما هالني؛ رأيت قائلا وقف في باب هذا القصر، وهو يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله ... وأوحش منه أهله ومنازله
وصار رئيس القصر من بعد بهجة ... إلىٰ جدث يبنىٰ عليه جنادله

فما أقام في الخلد إلا أقل من سنة، حتىٰ خرج إلىٰ الحج عامه هذا، ومرض في طريق مكة، فدخلها مدنفا ثقيلا، وكانت وفاته ليلة السبت لست - وقيل: لسبع - مضين من ذي الحجة"[٢].

قلت: لعل هذه الرؤيا كانت سبب في توبته وعودته إلىٰ الله ﷻ؛ حيث حج ومات في الحج رحمه الله.

◊ **وكان الخليفة العباسي الراضي يردد هذه الأبيات:**

كل صفوٍ إلىٰ كدر ... كل أمر إلىٰ حذر
ومصير الشباب للموت ... فيه أو الكدر
در در المشيب من ... واعظ ينذر البشر

(١) حلية الأولياء(٥/ ٣١٨).
(٢) البداية والنهاية (١٠/ ١٣٦).

أيها الآمل الذي تاه في لجة الغرر
أين من كان قبلنا؟ ذهب الشخص والأثر
ربّ فاغفر خطيئتي أنت يا خير من غفر[١]

ومن كلام السلف: "ارضَ بِالْيَسِيرِ مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ، ولاترَضَ بِالْكَثِيرِ مَعَ خَرَابِ الدِينِ". قلت: هذا هو سبب بلائنا وشقاءنا؛ أنا قدمنا الدنيا علىٰ الدين.

وعن عبدالله بن سهل الرازي، قال: سمعت يحيىٰ بن معاذ يقول: "يا ابن آدم، لا يزال دينك متمزقا، ما دام القلب بحب الدنيا متعلقا"[٢].

نُرقِعُ دُنْيَانَا بتَمْزِيقِ دِينِنَا فلا دينُنَا يَبْقَىٰ ولا ما نُرَقِّعُ
فَطُوبَىٰ لِعَبْدٍ آثَرَ الله وحْدَهُ وجَادَ بِدُنْيَاه لِمَا يُتَوَقْعُ[٣]

وعن الحسن بن محمد الرازي المذكر، قال: سمعت أبي يقول: سمعت يحيىٰ بن معاذ يقول: "الدنيا أمير من طلبها، وخادم من تركها، الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلبها رفضته، ومن رفضها طلبته، الدنيا قنطرة الآخرة، فاعبروها ولا تعمروها، ليس من العقل بنيان القصور علىٰ الجسور"[٤].

وقد قيل: اعمل للدنيا علىٰ قدر مكثك فيها، وللآخرة كذلك.

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنُ وَاللهُ يَا هَذَا لِرِزْقِكَ ضَامِنُ
تُعْنَىٰ بِمَا تُكْفَىٰ وَتَتْرُكُ مَا بِهِ تَغْنَىٰ كَأَنَّكَ لِلْحَوَادِثِ آمِنُ

---

(١) تاريخ الخلفاء (١/ ٢٨٣).
(٢) حلية الأولياء(١٠/ ٥٢).
(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس(٢٣٦).
(٤) حلية الأولياء(١٠/ ٥٣).

أَوَ مَـا تَـرَىٰ الـدُّنْيَا وَمَصْـرَعَ أَهْلِهَـا   فَاعْمَـلْ لِيَـوْمِ فِرَاقِهَـا يَـا خَـائِنُ

وَاعْلَـمْ بِأَنَّـكَ لَا أَبَـا لَـكَ فِـي الَّـذِي   أَصْـبَحْتَ تَجْمَعُـهُ لِغَيْـرِكَ خَـازِنُ

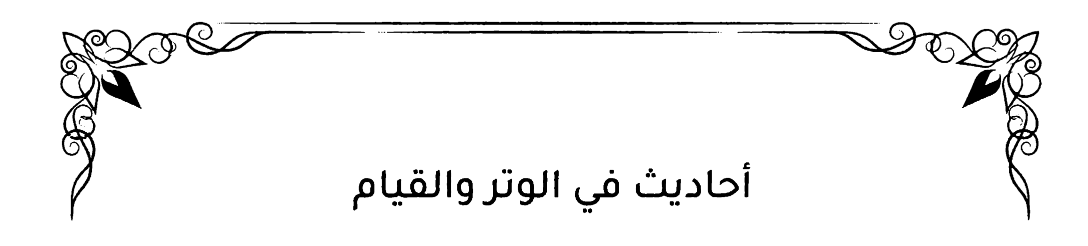
يَـا عَـامِرَ الـدُّنْيَا أَتَعْمُـرُ مَنْـزِلًا   لَـمْ يَبْـقَ فِيـهِ مَـعَ الْمَنِيَّـةِ سَـاكِنُ

الْمَـوْتُ شَـيْءٌ أَنْـتَ تَعْلَـمُ أَنَّـهُ   حُـقٌّ وَأَنْـتَ بِـذِكْرِهِ مُتَهَـاوِنُ

إِنَّ الْمَنِيَّـةَ لَا تُـؤَامِرُ مَـنْ أَتَـتْ   فِـي نَفْسِـهِ يَوْمًـا وَلَا تَسْـتَأْذِنُ[1]



(١) البداية والنهاية (١٥/ ٤٢٩).



أحاديث في الوتر والقيام

أحاديث في حكم الوتر:

قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: إِنَّ الْوِتْرَ لَيْسَ بِحَتْمٍ، وَلَا كَصَلَاتِكُمُ الْمَكْتُوبَةِ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَوْتَرَ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا؛ فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**»[(١)].

وعن بريدة ﷺ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الوتر حق، فمن لم يُوتِرْ فليس منا، الوتر حق، فمن لم يوتِر فليس منا، الوتر حق، فمن لم يوتر فليس منا**»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ، صَلَاةُ اللَّيْلِ**»[(٣)]. مسلم.

وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ الصيامِ بعد رمضانَ، شهرُ اللهِ المحرَّمُ، وأفضلُ الصلاةِ بعدَ الفريضة، صلاةُ الليلِ**»[(٤)]. مسلم.

وعن أَبي هريرة ﷺ قال: «**أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ**»[(٥)]. متفقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) ابن خزيمة (١٠٦٧) واللفظ له، وأحمد (١٢٦٠)، وابن ماجة (١١٦٩)، والترمذي (٤٥٣)، والبزار (٦٨٥)، والنسائي ٣(١٦٧٦)، والحاكم (١١١٨)، أبو داود (١٤١٦)، وغيرهم، وصححه الألباني (٥٩٣) الترغيب والترهيب.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٤١٩)، وضعفه الألباني.

(٣) أحمد (٢/ ٣٤٤)، ومسلم (١١٦٣)، وأبو داود (٢٤٢٩)، والترمذي (٤٣٨)، والنسائي (٣/ ٢٠٦)، وابن خزيمة (١١٣٤)، وابن حبان (٣٦٣٦)، والحاكم (١/ ٣٠٧)، وغيرهم.

(٤) رواه مسلم (١١٦٣)، والترمذي (٤٤٠) و (٧٥٠)، والنسائي في الكبرىٰ (١٣١٤)، وابن ماجة (١٧٤٢)، وأحمد (٨٠٢٦)، وأبو داود (٢٤٢٩)، وصحيح ابن حبان (٢٥٦٣)، وغيرهم.

(٥) البخاريٰ (٤/ ١٩٧ ـ فتح)، ومسلم (٢/ ١٥٨ ، ١٥٩)، وأحمد (٢/ ٤٥٩)، والنسائیٰ (١/ ٣٢٧). وغيرهم.

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَيْسٍ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: "لَا تَدَعْ قِيَامَ اللَّيْلِ؛ «فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسِلَ صَلَّىٰ قَاعِدًا»" (١).

وقت الوتر والقيام:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَأَوْسَطِهِ، وَآخِرِهِ، فَانْتَهَىٰ وِتْرُهُ إِلَىٰ السَّحَرِ» (٢). متفق عليه.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ قال: «اجْعَلُوا آخِرَ صلاتكم بالليل وِتراً» (٣). متفق عليه.

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ» (٤). مسلم.

وعن عَمرَو بن العاص رضي الله عنه، يقول: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ عز وجل زادكم صلاةً، فصلُّوها فيما بين العشاء إلىٰ الصبح: الوترَ الوترَ» (٥)، ألا وإنَّه أبو بصرة الغِفاري.

---

(١) أحمد(٢٦١١٤)، وأبو داود(١٣٠٧)، والحاكم(١١٥٨)، وغيرهم، وصححه الألباني(٦٣٢) الترغيب والترهيب.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٩٩٦)، ومسلم (٧٤٥) واللفظ له، وأحمد(١٧٠٧١)، وأبو داود(٦٥٠).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١/ ١٢٧)، ومسلم (٢/ ١٧٣)، وأحمد (٤٧١٠)، وأبو داود (١٤٣٨) والنسائي (٣/ ٢٣٠ و٢٣١)، وابن خزيمة (١٠٨٢).

(٤) رواه مسلم(١٦٢) و(٧٥٥)، وأحمد(١٤٤٣٤) و(١٤٢٥٦)، والترمذي (٤٥٥)، وابن ماجة (١١٨٧)، وابن خزيمة (١٠٨٦)، وغيرهم، وقال الألباني: "صحيح" الترغيب والترهيب(٥٩٣).

(٥) رواه أحمد(٢٧٢٢٩)، والطبراني في المعجم الكبير(٢١٦٧)، والحاكم (٦٥١٤)، وغيرهم، وصححه الألباني (١٠٨) السلسلة الصحيحة وفي الترغيب والترهيب(٥٩٦).

وعَنْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ» (١). مسلم.

أفضل أوقات الوتر والقيام:

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ أَخْبَرَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَىٰ اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ﷺ وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ؛ وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ؛ وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا» (٢) متفق عليه.

وعن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ» (٣).

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ» (٤). مسلم.

عدد ركعات الوتر والقيام:

وعن عبد الله بن أبي قيس، قال: سألتُ عائشةَ ﷺ بكم كان يوتر رسولُ الله ﷺ؟ قالت: «كان يوتر بأربع وثلاث، وسِتّ وثلاث، وثمان وثلاث، وعشْر وثلاث، ولم يكن يوتر بأنْقَصَ من سبع، ولا بأكثر من ثلاثَ عشرةَ» (٥).

---

(١) مسلم (١٤٢)، وأبو داود (١٣١٣)، والترمذي(٥٨١)، والنسائي(١٧٩٠)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه: البخاري(١١٣١)، ومسلم (١٨٩)، وأبو داود (٢٤٤٨)، والنسائي (١/ ٣٢١)، وأحمد (٢/ ١٦٠و٢٠٦).

(٣) رواه الترمذي برقم(٣٥٧٩) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ"، والنسائي في الكبرىٰ(٥٧١)، وابن خزيمة في صحيحه (١١٤٧)، والحاكم(١١٦٢)، وصححه الألباني(٦٢٨) الترغيب والترهيب.

(٤) مسلم رقم(١٦٦) (٧٥٧)، وأحمد (٣/ ٣١٣ و٣٣١)، وصححه الألباني(٦٢٣) الترغيب والترهيب.

(٥) أخرجه أحمد (٢٥١٥٩)، وأبو داود (١٣٦٢)، والسنن الكبرىٰ للبيهقي(٤٨٠٤)، وصححه الألباني في سنن أبي داود(١٣٦٢).

زاد في رواية: «لم يكن يوتر ركعتين قبل الفجر، قلت: ما يوتر؟ قالت: لم يكن يدع ذلك»، ولم يذكر فيها: «ست، وثلاث». أحمد.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ صَلاَةِ اللَّيْلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّىٰ رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّىٰ**»[1]. متفق عليه.

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الْوِتْرُ حَقٌّ، فَمَنْ شَاءَ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، وَمَنْ شَاءَ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ، وَمَنْ شَاءَ أَوْتَرَ بِثَلَاثٍ، وَمَنْ شَاءَ أَوْتَرَ بِوَاحِدَةٍ**»[2]. أحمد.

وعَنْ عَائِشَةَ ؓ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»[3]. متفق عليه.

ما يُقرأ في الوتر:

عن عبد العزيز بن جريج ؒ، قال: سَأَلْنا عائشةَ: بأي شيء كان يوتر رسولُ الله ﷺ؟ قالت: «**كان يقرأ في الأولىٰ بـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، وفي الثانية بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون:١]، وفي الثالثة بـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١] والمعوِّذتين**»[4]. أحمد.

---

(١) متفق عليه: البخاري(٩٩٠)، ومسلم(١٤٥) (٧٤٩)، ومالك في الموطأ(٢٩٨)، وأحمد(٥٠٣٢)، وغيرهم.

(٢) أحمد(٥/ ٤١٨)، وأبو داود(١٤٢٢)، والنسائي(١٧١٠) واللفظ له، وابن ماجة(١١٩٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٧٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٠٢ و٣٠٣)، وصححه الألباني، عند ابن ماجة (١١٩٠)، وصحيح الجامع (٧١٤٧).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري(٤٨٣٧) ومسلم رقم (٢٨٢٠).

(٤) أخرجه أحمد(٢٥٩٠٦)، وأبو داود رقم (١٣٨٠)، والترمذي (٤٦٣)، وابن ماجة(١١٧٣)، والحاكم في المستدرك (٣٩٢١)، والبيهقي في الكبرىٰ (٤٨٥١)، وصححه ووافقه الذهبي، وغيرهم، وصححه الألباني في المشكاة(١٢٦٩)، وغيرها.

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَىٰ مِنَ الْوِتْرِ بِـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾»[(١)]. أحمد.

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْوَتْرِ بِـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[(٢)]. أحمد.

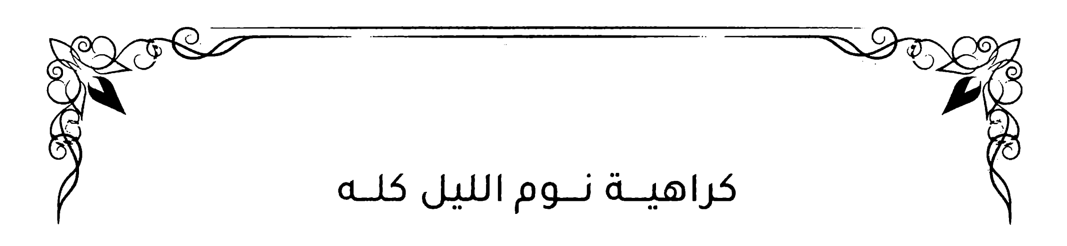
وعَنِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْوِتْرِ بِـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وَ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ»[(٣)]. أحمد.



(١) أحمد(٢١١٤١)، أبو داود (١٤٢٣)، والنسائي (١٧٣٠) واللفظ له، وابن ماجة (١١٧١)، والحاكم(٣٠١٦)، وصححه الألباني في سنن النسائي (١٧٣٠)، وغيرها.

(٢) رواه أحمد(٢١١٤٢)و(١٥٣٥٥)، وأبو داود (١٤٣٠)، والنسائي(١٧٠١)، وابن حبان (٢٤٥٠)، وصححه الألباني في سنن النسائي(١٧٠١)، وغيرها.

(٣) أحمد (١٥٣٥٤)، والنسائي في المجتبىٰ (٣/ ٢٤٤-٢٤٥)، وفي الكبرىٰ (١٠٤٣٥) و (١٠٥٧٣)، وفي عمل اليوم والليلة (٧٣٧) و (٧٣٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٤٦٩٧)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٩٨).



كراهيـة نـوم الليل كلـه

عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: ذُكِرَ عند رسولِ الله ﷺ رجل، فقيل: ما زال نائمًا حتىٰ أَصبحَ، ما قام إلىٰ الصلاة، فقال: «ذاك رجل بالَ الشيطانُ في أُذُنِه، أو قال: في أُذُنَيه»(١). متفق عليه.

وعن جَابِرٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَىٰ إِلَّا عَلَىٰ رَأْسِهِ جَرِيرٌ مَعْقُودٌ حِينَ يَرْقُدُ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِذَا قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ انْحَلَّتِ الْعُقَدُ، وَأَصْبَحَ خَفِيفًا طَيِّبَ النَّفْسِ، قَدْ أَصَابَ خَيْرًا»(٢). أحمد.

الجَرِيرُ: الحبْل

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ، سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ»(٣).

الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر.

الجواظ: الجموع المنوع.

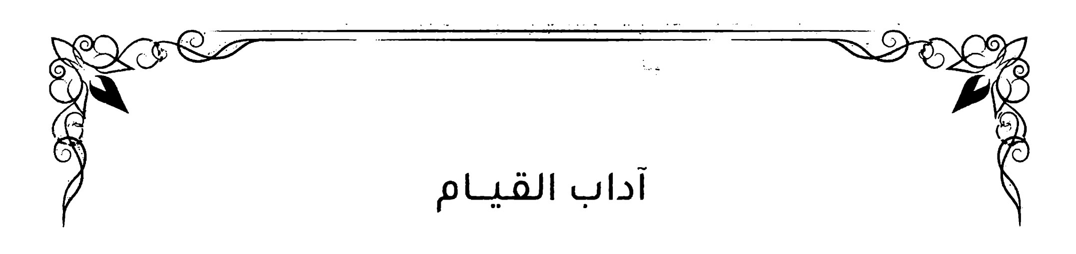
السخاب: كثير اللغط والضجيج والصياح.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٢/ ٦٦)، ومسلم (٢/ ١٨٧)، أحمد (٣٥٥٧)، وابن ماجة (١٣٣٠)، والنسائي (٣/ ٢٠٤).

(٢) رواه ابن خزيمة (١١٣٣)، وأحمد (٣/ ٣١٥)، وابن حبان (٢٥٥٤)، وصححه الألباني (٦١٤) الترغيب والترهيب.

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ١٩٤، رقم ٢٠٥٩٣)، وابن حبان (١/ ٢٧٣، رقم ٧٢)، والديلمىٰ (١/ ١٥٣، رقم ٥٥٨)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٣٠٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح، علىٰ شرط مسلم".



آداب القيـام

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ، حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّىٰ وَهُوَ نَاعِسٌ؛ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ» (١). متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: كَانَتْ عِنْدِي امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟» قُلْتُ: فُلَانَةُ، لَا تَنَامُ بِاللَّيْلِ، فَذُكِرَ مِنْ صَلَاتِهَا، فَقَالَ: «مَهْ! عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا»، وزاد مسلم: «وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ» (٢). متفق عليه.

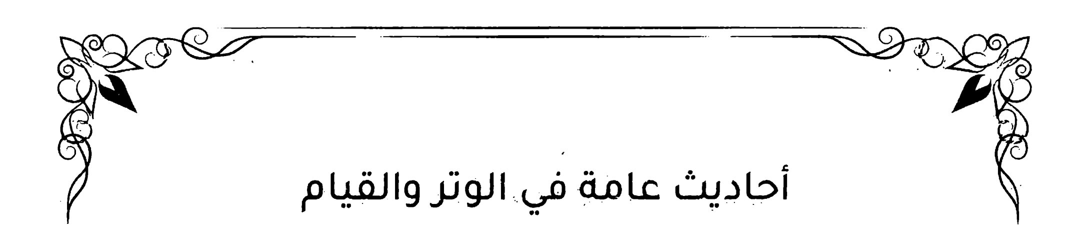
وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ؛ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ» (٣). متفق عليه.



(١) متفق عليه: البخاري(٢١٢)، ومسلم(٢٢٢) (٧٨٦)، ومالك، وأصحاب السنن، وابن خزيمة، والطبراني، وغيرهم.

(٢) متفق عليه: البخاري(١١٥١)، ومسلم(٢٢١و٧٨٥).

(٣) متفق عليه: البخاري(١١١٥)، ومسلم(٧٨٤).



أحاديث عامة في الوتر والقيام

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحِمَ اللهُ رجلاً قامَ من الليـلِ فصلَّىٰ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِن أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا الماءَ، رَحِمَ اللهُ امرأة قَامَتْ من الليل فصلتْ وأيقظتْ زوجَها، فإنْ أَبَىٰ نضحتْ في وجهه الماءَ» (١).

وعن عائشة ﷺ، قالت: «كان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي من الليل، فإذا أوترَ قال: قُومي فَأَوتِري يا عائشةُ» (٢). أخرجه مسلم.

وعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» (٣). متفق عليه.

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، قَالَ أَبُو مَالِكٍ الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ» (٤).

---

(١) أخرجه أحمد(٢/ ٢٥٠و٤٣٦)، وأبو داود (١٣٠٨)، وابن ماجة (١٣٣٦)، والنسائي (٣/ ٢٠٥).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٧٤٤)، وأحمد (٦/ ١٥٢).

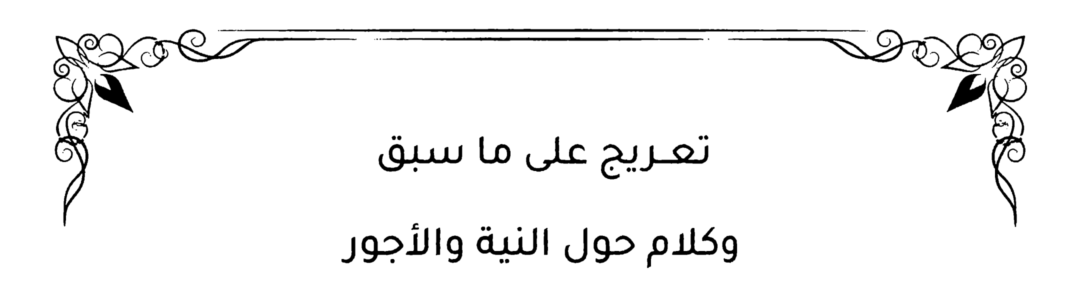
(٣) البخاري(٧٥٢٥)، ومسلم(٢٦٦)، أحمد(٤٥٥٠)، والترمذي(١٩٣٦)، النسائي في الكبرىٰ(٨٠١٨)، وابن ماجة(٤٢٠٩)، والطبراني في الأوسط(٢٦٨٨)، وغيرهم.

(٤) أحمد(٦٦١٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢١٣٧)، وصحيح ابن حبان (٥٠٩)، الطبراني في الكبير (٣٤٦٦)، والحاكم(٢٧٠) وقال: "هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين"، وصححه الألباني (٦١٧و٦١٨) الترغيب والترهيب.

وأخرج مالك عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة: "أن عمر بن الخطاب ﷺ فَقَد سليمان بن أبي حَثْمة في صلاة الصبح، وأن عمر غدا إلى السوق - ومسكن سُليمان بين المسجد والسوق - فمرَّ على الشِّفَاء أم سليمان ﷺ، فقال لها: لم أرَ سليمان في الصبح! فقالت له: إنه بات يصلِّي فغلبته عيناه، فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة، أحب إليَّ من أن أقوم ليلة"(١). رواه مالك.



(١) موطأ مالك(٣٢٨)، قال الألباني: "صحيح" في المشكاة(١٠٨٠).



تعـريج علـى ما سبق وكلام حول النية والأجور

أخي الكريم، لقد استبان لك طريق القوم، ورأيت اجتهادهم وحرصهم على الطاعات وعمل الخيرات والمسابقة إليها، والإعراض عن الدنيا وزهرتها؛ فهذه الدنيا لم تكن تعنيهم، ولم يلتفتوا إليها يوماً من الأيام، وكان كل همهم هو التزود للآخرة، أما الدنيا فما كانت إلا مطية وراحلة ارتحلوها إلى الدار الآخرة، وما كانت إلا مزرعة زرعوها؛ ليحصدوا ثمارها يوم القيامة.

يَا زَارِعَ الخَيْرِ تحصُدْ بَعْدَهُ ثَمَراً ... يَا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الخطرِ[1]

وما كانت إلا ميدان سباق، تسابقوا فيها للفوز بالجنات، وبمرضاة رب الأرض والسماوات، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]، وما كانت إلا سوقاً تاجروا فيها إلى الدار الآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف:١٠]، وقال ﷺ «رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَى!»، فأين أعمالنا من أعمالهم؟ وأين نحن منهم؟! فالبون بيننا وبينهم كبير، والمسافة بعيدة، واللحاق بهم قد يكون مستحيلا، إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى! ويحتاج إلى جهد كبير وزمن طويل، فإذا كنت تريد اللحاق بالقوم فالزم طريقهم، واعمل كما عملوا، وقدم كما قدموا، فإن عجزت عن العمل فلا تعجزن عن النية، فإن النية مطية، وإن النية تبلغ مالا يبلغه العمل، ويبلغ الإنسان بنيته ما لا تبلغه همته، فأصلح نيتك، واجعل نيتك دائما صالحة وظنك حسناً، فمن نوى بصدق نال الأجر وإن لم يعمل، ومن لم ينو لم ينل الأجر وإن عمل!

(١) مجموعة القصائد الزهديات(١/ ١٧٢).

ومن طلب الشهادة بصدق نالها وإن مات على فراشه، وإنما الأعمال بالنيات، فلابد من إصلاح النية أولاً، والعزم على أدائها ثانيا، وإخلاصها ثالثا، فإذا نوى الإنسان عمل الخير وتعذر عليه ولم يستطيع أداءه، فقد وقع أجره على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠]، وغزى ﷺ فقال: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا، مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا وَلا سَلَكْتُمْ طَرِيقًا، إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ؛ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[١]. مسلم. فما أعظم كرم الله ﷻ وفضله علينا!! فله الحمد والشكر دائمين.

واعلم بأن الأجر على قدر النية؛ فمن كانت نيته عظيمة كان أجره عظيماً، ومن كانت نيته ضعيفة كان أجره على قدر نيته، ولايظلم ربك أحداً.

وضعف النية في ثلاثة أمور: في مقدارها، والتردد فيها، وعدم إخلاصها.

(١) **فمقدارها**: كمن نوى أن يختم القرآن، ومن نوى أن يقرأ سورة واحدة، فتعذر الأمر على الاثنين ولم يستطيعا أن يعملا شيئاً؛ فالأول ينال أجر ختمة كاملة، والثاني ينال أجر سورة! فانظر إلى الفرق بينهما، كم هو كبير!! مع أن الاثنين لم يعملا شيئاً، وكل ذلك لمجرد النية فقط!

ومن كلام السلف: "مسافات الآخرة تقطع بالقلوب"؛ فقد يعيش الإنسان زمناً قصيراً، ولكن يعمل مالا يعمله غيره في سنين، وكانت خلافة عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله– سنتين، فعمل مالم يعمله بنو أمية في عشرات السنين!!

(٢) **أما التردد فيها**: فكمن نوى عمل الخير ولكنه لم يعزم عليه، كمن أعطى رجلاً مالاً، فلا يدري يجعله صدقة أم ديناً؛ فأجره ليس كمن تصدق به من أول مرة. والتردد في النية وتأخيرها وتأخير العمل، يضعف الأجر، وقد يُمنع الإنسان بسببه

(١) رواه مسلم(١٥٩)، وأحمد(١٢٨٧٤)، وابن ماجة(٢٧٦٥) واللفظ له، وقال الألباني: "صحيح"(٣٨١٥) المشكاة.

أجر العمل، فالتوبة عند الموت ليست كالتوبة قبله، والصدقة عند الموت ليست كالصدقة قبله، وأمور كثيرة! والفرق بينه وبين من لم ينو: أن هذا تردد في توبته حتى جاءه الموت، ولم يتوب والعياذ بالله، فربما ردت توبته! والآخر نوى التوبة وعزم، ولكنه منعه مانع؛ فهذا كمن تاب توبة نصوحا، فتوبته تقبل إن شاء الله.

◇ **وقيل:**

إِذا كنـــت ذَا رَأْي فكُـــن ذَا عَزِيمَـــة ... فَـــإِن فَسَـــاد الـــرَّأْي أَن يتـــرددا

(٣) **أما إخلاص النية:** فإن العمل لا يقبل إذا كان لغير الله ﷻ: «فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته لما هاجر إليه، ومن كانت هجرته لله ورسوله، فهجرته لله ورسوله»، ومن خلط بين الأمرين ليس كمن أخلص العمل لله ﷻ، فمن قال: سأصوم غداً أو أتصدق غداً، ليس كمن نوى وكتم؛ فمن كتم خير ممن أعلن، وربما أنه لا يصوم ولا يتصدق؛ فيكون من الكاذبين، والعياذ بالله.

◇ **وصلاح النية منوط بصلاح القلب؛ فمن صلح قلبه صلحت نيته، وصلاح القلوب بيد الله ﷻ، فاللهم أصلح قلوبنا واهدنا للحق.**

وينبغي للإنسان أن يجتهد في إصلاح نيته، وينوي الخير دائما ولو كان لا يستطيع أداءه، ويجتنب عمل الشر ولا ينويه، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ ﷺ، قَالَ: «**ضَرَبَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَثَلَ الدُّنْيَا مَثَلَ أَرْبَعَةٍ مِنَّا: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَآتَاهُ مَالًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ فِي مَالِهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ آتَانِيَ اللهُ ﷻ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، لَفَعَلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ؛ فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ وَيُنْفِقُهُ فِي الْبَاطِلِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ عِلْمًا وَلَا مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللهَ آتَانِي مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، لَفَعَلْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا يَفْعَلُ؛ فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ**»[1]. أحمد.

---

(١) أحمد(١٨٠٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى(٧٨٢٨) واللفظ له، وابن المبارك في الزهد(٩٩٩)، وابن ماجة(٤٢٢٨)، والطبراني في الأوسط(٤٣٦٧) والكبير(٨٦٢)، وصححه الألباني (١٦) الترغيب والترهيب.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[1]. متفق عليه.

❁ ومضاعفة الأجور في العمل كمضاعفة الأجور في النية، قائمة على ثلاثة:

علىٰ قدر المشقة، وإتقان العمل، وإخلاصه؛ فقد يعمل العمل الواحد عدة أشخاص، يتفاوتون في الأجور، كلا علىٰ حسب: جهده وإخلاصه وإتقانه لعمله.

(١) **فيكون الأجر على قدر المشقة:** كما جاء في الحديث: «الأجر علىٰ قدر المشقة»؛ فمن حج ماشيا ليس كمن حج راكبا، ومن عفَّ وهو يشتهي ليس كمن عفَّ وهو لا يشتهي، ومن تصدق وهو فقير ليس كم تصدق وهو غني: «سبق درهم ألف درهم» ، وصلاة القاعد علىٰ النصف من صلاة القائم إلا لعذر، ومن عفا وصفح وهو قادر ليس كمن عفا وصفح وهو عاجز، وأجور المستضعفين والمساكين والمرضىٰ والعجزة، ليس كأجور الأصحاء والأقوياء والأغنياء، إذا تساووا في العمل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠] ، ويؤتي الله فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

(٢) **ويكون الأجر على قدر الإتقان:** فمن عمل عملا فأتقنه ليس كمن أخل به، فمن أدىٰ الصلاة علىٰ وقتها، وأكمل شروطها وأركانها وواجباتها وسننها، ليس كمن أخرها وأنقص أركانها وشروطها وسننها، ومن صلىٰ بثوب مغصوب أو فيه تصاوير أو لا يستر أو فيه نجاسة، ليس كمن صلىٰ بثوب ساتر مباح نضيف لا تصاوير فيه، وكذلك من صام وحج، وأطلق نظره في الحرام وسب وشتم، ليس كمن عف وكف، وقس علىٰ هذا.

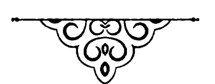
---

(١) متفق عليه: البخاري(٦٤٩١)، ومسلم(٢٠٦).

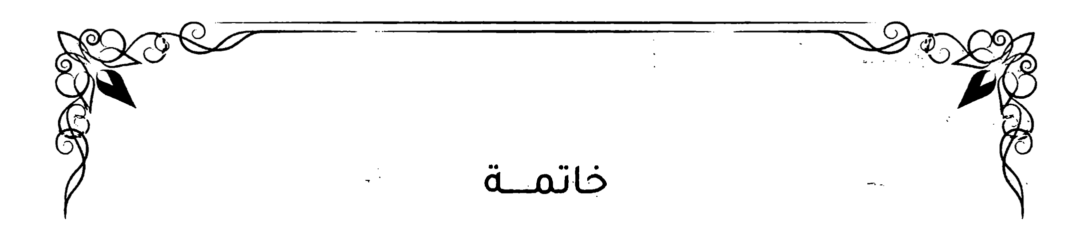
(٣) ويكون الأجر على قدر الإخلاص: فمن تصدق في السر ليس كمن تصدق وأعلن، إلا إن كان هناك أمر يقتضي ذلك، فمن تصدق وكتم، وصلىٰ وكتم، وصام وكتم، وعف وكتم، وعمل الخير وكتم، ليس كمن عمل ذلك وأعلن أو امتن بعمله، وقد يستدعىٰ الأمر الإعلان لسبب؛ فهناك أمور لايصلح فيها إلا الإعلان، كصلاة الجمعة والجماعات، والزواج والطلاق، والبيع والشراء، ونحوها.

وكل هذه الأمور قائمة علىٰ أمرين، وهما: الخوف من الله ﷻ، والرغبة فيما عنده؛ فعلىٰ قدر خوف العبد من ربه، ورغبته فيما عنده، يكون إتقانه وإخلاصه لعمله واهتمامه به، وعلىٰ قدر ركونه للدنيا واطمئنانه إليها وتعلق قلبه بها، يكون تقصيره وتفريطه وعدم إخلاصه لعمله.

قـد آنَ بعـد ظـلامِ الجهـلِ إبصـارِي ... الشـيبُ صُـبْحٌ يناجِيني بإسـفارِ
لَيـلُ الشـبابِ قصـيرٌ فاسْـر مُبْتـدِرًا ... إنّ الصَّـباح قُصَـارىٰ المُـدْلِجِ السـارِىٰ
كَـم اغتـراريَ بالـدنيا وزُخْرُفِهـا ... أَبْنـي بِنَاهـا علـىٰ جُـرْفٍ لَهَـا هَـارِي
وَوَعْـدِ زُورٍ وعَهْـد لاَ وَفَـاء لَـه ... تَعلَّـمَ الغَـدْرَ منهـا كُـلُّ غَـدّارِ
دارٌ مآثِمُهَـا تَبْقـىٰ ولَـذّتُها ... تَفْنـىٰ ألا قُبِّحَـتْ هَاتيـكَ مِـن دارِ
فَلَيـتَ إذ صـفِرت ممـا كَسَـبْتُ يَـدِي ... لـم تَعتِلـقْ مِـن خَطَايَاهَـا بـأَوْزَارِ
لـيس السـعيدُ الـذي دُنيـاه تُسـعِدُهُ ... إن السَّـعِيدَ الـذي يَنْجُـوَ مِـن النـارِ
الملـك إن لـم يقـم بـالحق سائسـه ... عمـا قليـل لأهـل الملـك ضـرار
لابـارك الله في دنيـا إذا انصـرمت ... لـذاتها كـان عقبـىٰ أهلهـا النـار[1]



(١) التبصرة لابن الجوزي(٢/ ٤٨)، مجموعة القصائد الزهديات(١/ ٤٨٢).



خاتمة

تم بحمد الله وفضله، وأسأل الله العلي القدير أن يجازي خيرا كل من أعانني عليه، ولو بكلمة واحدة أو فائدة، وكل من وقف من ورائي حتى أكملته.

ولقد بذلت فيه قصارى جهدي؛ ليكون صيبا نافعا بإذن الله ﷻ، فما كان فيه من خير وصواب فمن الله وحده لاشريك له، وماكان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والعياذ بالله من ذلك.

وأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخرا لي عنده يوم الدين، يوم لاينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه جواد كريم، وأسأله أن يغفر لي ولوالدي وأولادي وأهل بيتي وإخواني ومشايخنا وللمسلمين والمسلمات، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يَا رَاكِبًا نَحْو الْمَدِينَة قَاصِدا ... بلغ سَلامِي للنَّبِي مُحَمَّد
وَقل الصَّلَاة عَلَيْك يَا علم الْهدى ... مَالاح نجم فِي السماءِ وَفرقد

تم الفراغ منه غرة شعبان ١٤٤٢هـ





الفهرس


بحمد الله تم